فقه الذكر والدعاء

تأليف

محمد بن أحمد بن بدوي
الدسوقي الشنشوري

مؤلف

كفاية المسلم في الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم

دار الجيل
بيروت

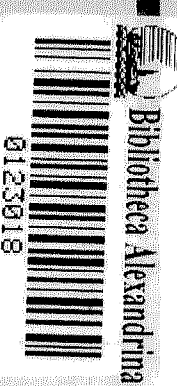

فقه الذكر والدعاء

فقه الذكر والدعاء

تأليف

محمد بن أحمد بن بدوي
الدسوقي الشنشوري

مؤلف

كفاية المسلم في الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

المقدمة

كل مخلص للدين، مهتمٌّ بأمر مستقبل الإسلام يهُوله أن يظل كثير من الناس منصرفين عن الاهتمام بسنة الرسول ﷺ الصحيحة ودراستها، وإعمالها في حياتهم إلى أقوال العلماء والمشايخ.

وقد وعظ العلماء ـ ولا يزالون يعظون ـ إلى التوجه إلى السنة، لكن الناس من كثرة إلفهم لما هم عليه، ومن كثرة ما يصب في آذانهم من متناقضات، ومن بطء تقبلهم لمقتضيات الحياة الجديدة، أصبحوا قليلي الاستجابة للوعظ. لكن من الحق القول إن الوعظ لم يطور نفسه لملاقاة كل هذا والتعامل معه بكفاءة.

وإذا كان المرض بالناس في أجسامهم، فإن مسؤولية التعامل معه قسمة بينهم وبين أطبائهم. أما المرض في الأفكار والنفوس والأخلاق فإن على المتيقظين وحدهم كلَّ الأعباء.

والذكر والدعاء من الميادين التي يقف فيها تجديد الفكر الديني وجهاً لوجه أمام المألوف والمعتاد، وأمام تغير الحياة، وضرورة فَهْمِ التغير، والتعامل معه بإيجابية قبولاً لبعضه ورفضاً لبعضه، وإقناعاً بما يجب رفضه وما يجب إبقاؤه، إذ لا يزال طائفة كبيرة من الناس يرددون أوراداً وأدعية مما صاغه المشايخ لأنفسهم، بصيغات وكيفيات أقل ما فيها أنها لم ترد عن الرسول ﷺ، ولا صحابته، فوق أنها لم تعد مستساغة في هذا العصر.

وقد ألف في الذكر والدعاء النووي في كتابه الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار، ومحمد بن الجزَري الدمشقي في كتابه: (عدة الحصن الحصين)، وابن السني في كتابه: (عمل اليوم والليلة)، والملك حسن صديق خان ملك بهويال في: (نزل الأبرار) كثيراً من الضعيف.

وقد رأيت أن الحاجة أصبحت ماسة، بل ومحتِّمة لتناول الذكر والدعاء بمنهج جديد يحقق جميع فوائد الكتب السابقة، ويتلافى قصورها، ويحوز ما شرد عنها، فجمعت مادته ـ على شمولها ـ من أصح ما ورد حتى اكتملت فوائده وانتظمت فرائده، ثم رأيت أنه يجب ـ مع الاقتصار على الصحيح من الذكر والدعاء ـ توضيح أمور تتعلق بهما قصرت عنها الكتب السابقة. لذلك فقد راعيت في هذا المؤلف أموراً، والتزمت منهجاً هذا ملخصه:

١ ـ الاقتصار على الصحيح من الذكر والدعاء، وقد وجدت أنه لم يشرد عن متناولها شيء يخص الذكر والدعاء، مع عزوه إلى مصادره بدقة.

٢ ـ إعطاء القرآن الكريم القدرَ اللائق به من التناول لتلاوته وكيفيتها وآدابها، وأدعيته وأذكاره، وإماطة ما غشاها من خرافات.

٣ ـ استقصاء جميع صيغ الذكر والدعاء ـ وما يتعلق بهما ـ الموجودة في الصحيحين. أما من غيرهما فقد نقلت عن النووي وابن الجزري وصاحب نزل الأبرار وكتب السنة الأخرى ما صرح الأئمة بصحته.

٤ ـ كثيراً ما أذكر الحديث الوارد في الذكر والدعاء كاملاً قصْدَ أن يتنسم الذاكر أريج الرياض النبوية، وقصد أن يضيف ذلك إلى معلوماته إضافات قيمة تساعد على فقه الذكر والدعاء، واذكر رواية البخاري فيما اتفق معه فيه مسلم.

٥ ـ إبراز ذكر القلب وتفصيله والعبادة بالتفكير وبمزاولة العلوم الطبيعية.

٦ ـ التنبيه على البدع المصاحبة للذكر والدعاء في صيغه وكيفيته وأوقاته وأماكنه.

٧ ـ الكلام على التوسل والتوسيط بين الله وعباده.

٨ ـ التنبيه على ما يلتحق بالدعاء من الأحجبة والتمائم وعدية يس، والذكر والدعاء بالألفاظ الأعجمية.

٩ ـ ضمنت الكتاب مباحث مبتكرة يثيرها المستوى الحضاري والعلمي الذي بلغه العالم اليوم مثل الدعاء والعلم والقضاء والقدر.

١٠ ـ تناولت حفظ اللسان مما يكب الناس على مناخرهم في جهنم مثل الغيبة.

١١ ـ تناولت المباح من الكلام الذي توسع في منعه المتزمتون.

١٢ ـ في حفظ اللسان أبرزت الأحاديث بما فيها من أوامر ونواه، ولم أتوسع في توضيح الاصطلاحات من مثل مكروه أو حرام ارتفاعاً بمستوى القارئ إلى الأذواق الرفيعة من الاكتفاء في إطاعة الأوامر واجتناب النواهي بمجرد الأمر دون بحث في صوارفه عن الوجوب، وبمجرد النهي دون بحث عن صوارفه عن التحريم.

الرموز والاصطلاحات

خ = البخاري؛ م = مسلم؛ خ وم = المتفق بين البخاري ومسلم.

أولا: للبخاري. مثال: خ: ٦٦ ـ باب فضل التسبيح/ ٨٠ الدعوات ح ١. وقد يكون هكذا: خ: ح ١/٦٦ ـ باب فضل التسبيح/ ٨٠ الدعوات.

التفسير: خ = البخاري؛ ٦٦= رقم الباب يليه اسم الباب. ٨٠ = رقم كتاب الدعوات يليه اسم الكتاب.

وهذا من اقتراحي وتعديلي لترقيم المستشرقين في المعجم المفهرس، ومفتاح كنوز السنّة، وترقيم طبعة السلفية لفتح الباري. والأرقام المعدَّلة لا تختلف عن السابقة إلا قليلاً جداً.

ثانيا: مسلم. مثال: م: ١٦ ـ باب تستر المغتسل/٣ ـ كتاب الحيض ح ٧٣.

التفسير: م = مسلم؛ ١٦ = رقم الباب يليه اسم الباب. والرقم ٣ هو رقم كتاب الحيض يليه اسم الكتاب. ورقم الباب ورقم الكتاب من طبعة الحلبي بترقيم الاستاذ محمد فؤاد عبدالباقي. ورقم الحديث من طبعة الشعب لشرح مسلم للنووي. واسم الباب والكتاب من طبعة التحرير لمسلم المصوَّرة من طبعة استامبول، ولم ترقم هذه الطبعةُ الكتبَ ولا الأبوابَ ولا الأحاديث.

وطبعة الشعب لشرح مسلم لم تذكر الأبواب ولم ترقِّمها ولم ترقِّم الكتب.

الباب الأول

في الذكر

الفصل الأول

في معاني الذكر

الذكر والذكرى بكسر الذال فيهما، والذكر والذكرة بضم الذال فيهما ضد النسيان. وذَكره بلسانه بتخفيف الذال، وبقلبه ذِكرا وذِكرى وذُكْرا وذُكْرة وتذكَّر الشيء، وأذكره غيرُه، وذكَّره غيرهُ، والتذكرة ما تستذكر به الحاجة.

الذكر في اصطلاح علم النفس

هو في علم النفس، وبلغته استحضار الصور والمعاني التي مرّت بالإنسان مُحَسَّة بإحدى الحواس أو مقروءة سواء اصطحب هذا الاستحضار بالتعبير اللساني أم لم يصطحب، والذكر باللسان بالمعنى اللغوي مستخدم أيضاً في علم النفس.

الذكر في الاصطلاح الديني

لا تخرج معاني الذكر ومشتقاته غالباً في الاصطلاح الديني عنها في اصطلاح علم النفس. قال القرطبي في شرح قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: أصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور، وسمي الذكر باللسان دلالة على الذكر القلبي. غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم.

من معاني الذكر في القرآن الكريم والحديث الشريف

وردت مادة الذكر ومشتقاتها في القرآن الكريم والسنة الشريفة في صيغ

كثيرة تبلغ في القرآن وحده مائتين وأربعاً وسبعين. ومن المعاني الواردة فيهما:

١ ـ ذكر اللسان بالثناء على الله تعالى بتحميده وتسبيحه وتكبيره، وتعداد نعمه، وإجراء هذا على القلب والتفكر فيه صورة من صوره.

٢ ـ ذكر العمل والعبادة بأنواعها: الجسمية مثل الصلاة والجهاد، والعقلية مثل العقائد والعلوم المادية الدينية، والمالية مثل الزكاة، ولا يستقل بعمل من الأعمال وصف واحد، ومنها:

أ ـ الصلاة في قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [سورة الجمعة، الآية ٩].

ب ـ الخطبة والصلاة يوم الجمعة في حديث التبكير يوم الجمعة في قوله ﷺ: (فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر).

جـ ـ بعض أفعال الحج في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٠٣].

٣ ـ التدبر والتفكير، ومنه:

أ ـ في الآيات الكونية في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [سورة مريم، الآية ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩١].

ب ـ فيما تأتي به الرسل في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٣١]، وفي قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٧١].

جـ ـ في نعم الله تعالى في قوله جل وعز: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٣١].

٤ ـ الخبر والتفسير والعلم في قوله تعالى: ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾

[سورة الكهف، الآية ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿فَٱسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية ٤٣].

٥ ـ القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة الحجر، الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ [سورة الأعراف الآية ٦٣].

٦ ـ الوعظ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً﴾ [سورة الفرقان، الآية ٧٣]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٩].

٧ ـ ضد النسيان في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا ٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [سورة الكهف، الآية ٦٣]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦٨].

٨ ـ الشرف والصيت: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [سورة الزخرف، الآية ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الشرح، الآية ٤].

٩ ـ الدعاء والاستغفار في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ [سورة الأعراف، الآية ٢٠٥]، قال أبو جعفر النحاس: لم يختلف في أن المقصود بالذكر هنا الدعاء، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٣٥].

الفصل الثاني

أقسام الذكر

كما يقع هذا المبحث في علم النفس ومناهج العلوم، فإنه يقع بالقدر نفسه في دائرة التعبد والذكر.

أنواع الذكر القلبي

أ ـ إجراء الذكر والدعاء على القلب دون التلفظ به.

ب ـ استحضار معاني ما نذكر به أو ندعو به مصاحباً للنطق، أو تالياً له، أو سابقاً عليه.

ج ـ التفكير وهو العملية العقلية الاستدلالية استنباطاً أو بَعد استقراء.

العبادة بالتفكير ـ درجاته

١ ـ التذكر وهو استحضار ما دخل خبرتنا الحسية عن طريق إحدى الحواس الخمس أو بغيرها من طرق المعرفة.

٢ ـ التصور: وهو تركيب صورة ذهنية لموقف أو حادث سبق إلى خبرتنا على ما كان عليه.

٣ ـ التخيل: وهو تركيب صورة ذهنية لموقفٍ أو حادث سبق أو سيأتي بحرية أكثر في اختيار العناصر وحذف بعضها وإضافة عناصر جديدة.

٤ ـ التفكير: وهو الاستدلال مما يدركه إنسان حسياً أو مما يتذكره أو يتصوره أو يتخيله على حقائق جديدة.

والدرجات الثلاث الأولى للعمليات العقلية لا يمكن أن تخرج عناصرها عما دخل في خبرتنا الحسية، وعما تلقيناه من معلومات، ومن هنا جاء الاستبعاد بل والاستحالة للتفكير في ذات الله تعالى وكنه صفاته، وقصر ميدان التفكير على مخلوقات الله المُحسَّة.

وإذا كانت الصور والمعاني المستحضرة معاني جزئية مثل الظواهر الكونية أو آيات الله في الآفاق بقصد الاستدلال على قوانينها وحكمتها وطرق الاستعاذة منها، وعلى قدرة خالقها كان منهج الاستدلال هو المنهج الاستقرائي، وملخصه بحث الجزئيات للوصول إلى القواعد والقوانين الكلية.

وإذا كانت المعاني المستحضرة معاني كلية أو قواعد تم التوصل إليها بطريق الاستقراء أو كنصوص دينية مثل سعة رحمة الله تعالى للوصول منها إلى طرد اليأس، وإلى الإقدام على التوبة كان منهج الاستدلال منهجاً استنباطياً.

ويجري التفكير في البحث العلمي، وفي الاستبصار النفسي على هذين المنهجين.

موضوعات التفكير

ويكون موضوع التفكير عملية محاسبة وتقويم للنفس ونقد ذاتي لأفعالها حيث تكون النفس في هذه الحالة لوَّامة، وفيه يستحضر الإنسان مواقفه وأفعاله ليرى نواحي النقص فيها للوصول إلى التحسين.

وقد يكون موضوع التفكير في خطط للمستقبل تحسيناً للحاضر، وعلاجاً لما فيه من قصور من أمور المعاش والمعاد.

وقد يكون التفكير في أمراض المجتمع والأفراد ابتغاء الوصول إلى تشخيصها وطرق علاجها باستعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحسين الوعظ وطرقه والقدوة.

وقد يكون موضوع التفكير في العلوم المادية استقراءً للوصول إلى القوانين العلمية أو استنباطاً منها لوجوه تطبيقها.

والتفكير في العلوم المادية ودراستها عبادة وذكر يثاب عليه الإنسان بأسباب:

١ - إنه يوصل إلى عمق إدراك عظمة الله تعالى وقدرته، وتقوية الخشية من الله قال تعالى بعد إشارات واضحة إلى عدد من العلوم الطبيعية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢٨].

٢ - إنه السبيل الوحيد إلى قوة المسلمين دفاعاً عن دينهم وكيانهم، وبه لا بدونه يكونون أو لا يكونون.

لذلك وردت الإشارات والأوامر صريحة في طلب ذلك النوع من الذكر، ومدحه ومدح القائمين به.

١ - كل الآيات القرآنية التي تتضمن لفظ آية أو آيات إنما تشير إلى الذكر بالتفكير أو تأمر به أو تمدح القائمين به.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان ١٩١ و١٩٢].

هاتان الآيتان أصل عظيم في موضوعات التفكير، وفي ارتباط الذكر اللساني والتفكير القلبي، وفي الجمع بين الذكرين وبين الدعاء وفي مدح الذاكرين بهما.

٢ - كما أنه في الآيات التي فيها التفكر والتذكر والتعقل والنظر والاعتبار واستخدام السمع والبصر والفؤاد والسير في الأرض إنما توجه إلى تلك الأنواع من الذكر وتمدح القائمين به بأنهم هم الخلاصة من بني آدم.

وحسب القارئ منها آيات العلوم في فاطر والروم، ففيهما إشارات وتوجيهات إلى علوم لم تتبلّر، وتأخذ تسمياتها الحالية إلا في العصور

الحديثة، ففي الروم تشير الآيات من ١٩ ـ ٢٥ إلى العلوم الآتية على الترتيب:

١ ـ علوم الحياة بإخراج الحي من الميت والميت من الحي وإحياء الأرض بعد موتها.

٢ ـ تكوين المادة الحية من التراب وعلم التغذية.

٣ ـ علم الاجتماع الأسري، وأهم روابط الأسرة من المودة والرحمة.
٤ ـ علم الفلك.
٥ ـ علوم الإنسان في اختلاف الألسنة والألوان.
٦ ـ علوم الاقتصاد والابتغاء من فضل الله.
٧ ـ علم الطبيعة الجوية (المتيورولوجيا).
٨ ـ النواميس الكونية في قيام السموات والأرض.

أما آيتا العلوم من فاطر (٢٧ و٢٨) فتشيران إلى العلوم الآتية على التوالي:

١ ـ علوم المناخ
٢ ـ علوم النبات.
٣ ـ علم طبقات الأرض (الجيولوجيا).
٤ ـ علوم الإنسان.
٥ ـ علم الحيوان.

وإذا ذهبنا نستقصي الذكر والعبادة بالتفكير كما جاءت في القرآن الكريم فإننا سنذهب إلى مدى بعيد يستحق الانفراد بموضوعه، وما فيه من تفصيلات منها علاقة القرآن بالعلم تأثيراً بالتوجيه إليه ووضع المنطلقات والفروض أمامه ووضع المناهج له، وتأثراً بالعلم في تفسير القرآن الكريم.

وقد يبدو لبعض القراء في هذا مجازفة وانسياقاً غير منهجي في تيار تجدد في هذا العصر واشتد الإغراء للسير فيه من وصل القرآن بالعلم ووصل

الفصل الثالث

ذكر اللسان

ضربان:

الأول: ذكر الله تعالى بالثناء عليه والاعتراف بنعمه والاستغفار وتلاوة القرآن.

الثاني: ذكره تعالى بدعوة الخلق إليه، وإرشاد أهل الإسلام إلى ما يصحح منهجهم للحياة الدنيا والآخرة.

حكم الذكر وفضله:

قد ورد الأمر بالذكر والدعاء بمعانيهما الواسعة صريحاً في القرآن والسنة المطهرة ـ والأمر يفيد الوجوب ما لم يصرفه عنه صارف، بل جاء الأمر بالإكثار من الذكر. قال تعالى: ﴿**يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان ٤١ و٤٢].

وقد ورد هذا الأمر بكل أنواع الذكر: القلبي بدرجاته، واللساني بدرجاته، والعملي بأنواعه، وورد الذكر والدعاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة محكياً عن الأنبياء والصالحين والملائكة وأهل الجنة والمخلوقات غير الآدمية.

وقد حظي الذكر مفسراً بالعلم والصلاة والحج من الأصوليين والفقهاء بالنصيب الأوفر من عنايتهم إذ عدُّوها من الفرائض. أما الذكر باللسان بدرجاته

الفصل الثالث

ذكر اللسان

ضربان:

الأول: ذكر الله تعالى بالثناء عليه والاعتراف بنعمه والاستغفار وتلاوة القرآن.

الثاني: ذكره تعالى بدعوة الخلق إليه، وإرشاد أهل الإسلام إلى ما يصحح منهجهم للحياة الدنيا والآخرة.

حكم الذكر وفضله:

قد ورد الأمر بالذكر والدعاء بمعانيهما الواسعة صريحاً في القرآن والسنة المطهرة ـ والأمر يفيد الوجوب ما لم يصرفه عنه صارف، بل جاء الأمر بالإكثار من الذكر. قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان ٤١ و٤٢].

وقد ورد هذا الأمر بكل أنواع الذكر: القلبي بدرجاته، واللساني بدرجاته، والعملي بأنواعه، وورد الذكر والدعاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة محكياً عن الأنبياء والصالحين والملائكة وأهل الجنة والمخلوقات غير الآدمية.

وقد حظي الذكر مفسراً بالعلم والصلاة والحج من الأصوليين والفقهاء بالنصيب الأوفر من عنايتهم إذ عدُّوها من الفرائض. أما الذكر باللسان بدرجاته

وبالقلب بدرجاته، فلم يضعوه إلا في إطار المندوبات والمسنونات والآداب لما يذكرونه من صوارف للأمر عن الوجوب. لكن بعض العلماء قد عبر عن تأكيد طلب الذكر اللساني والقلبي. قال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص للمجاهد في وقت الحرب، ولرخّص لزكريا في صيامه عن الكلام ثلاث ليال سوياً[1]. ونقل القرطبي عن قتادة: افترض الله على عباده ذكره أشغل ما يكونون عند الضرب بالسيف[2].

ومما جاء في فضل الذكر من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿... والذَّاكِرِينَ الله كَثيراً والذَّاكِراتِ أعَدَّ الله لَهُم مغفرةً وأجراً عَظيماً﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾ [سورة طه، الآية ١٢٤].

ومما جاء في فضل الذكر والدعاء من الحديث النبوي ما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ؛ قال: قال النبي ﷺ: مَثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر مَثل الحي والميت[3]، وما رواه أبو هريرة؛ قال ﷺ: يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة[4]، وعن أبي هريرة؛ قال ﷺ: سبق المفَرّدون[5] قالوا: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات[6].

---

(١) و(٢) القرطبي ص ٨٣ جـ ٨ طبعة الشعب.

(٣) متفق عليه: البخاري في ٦٦ ـ باب فضل الذكر من ٨٠ كتاب الدعوات، ومسلم في ٢٩/٢٠٥ باب استحباب صلاة النافلة في بيته من ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين.

(٤) متفق عليه: البخاري في ١٥ باب قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ من ٩٧ كتاب التوحيد، ومسلم في ١/باب الحث على ذكر الله تعالى من ٤٨ ـ كتاب الذكر.

(٥) قال ابن الأعرابي: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهي.

(٦) مسلم في ٣/باب الحث على الذكر والدعاء من ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء.

وقد جاء في فضل الذكر أحاديث يولع بذكرها وتردادها طوائف من المسلمين، ويتطاولون بها إلى التفضيل المطلق للذكر على الجهاد وسائر العبادات، ومنها ما روى الترمذي وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد[1]، قال ﷺ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله. وروى الطبراني في الكبير وابن أبي شيبة في مصنفه، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، عن معاذ؛ قال ﷺ: ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ثلاث مرات[2].

هل يعدل الذكر الجهاد؟

يستدل قوم بهذه الأحاديث وبآية: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[3] على أن الذكر أفضل من جميع العبادات، وتطاول كثير من هذا البعض حتى زعم إمكان الاكتفاء بذكر اللسان عن جميع العبادات، ويا ليتهم قصدوا الذكر بجميع معانيه القرآنية فلا منازع في هذا، ولكنهم رفعوا الذكر باللسان إلى هذه المرتبة ولو كان بالصيغ والكيفية التي لم يعرفها النبي ﷺ ولا الصحابة ولا التابعون ولا السلف الصالح. وقد أغرب الغزالي جداً حين زعم في الإحياء أن ذكر الله مع خفته على اللسان أنفع وأفضل من جميع العبادات[4]. وهذا القول غني عن أن يُنَبَّهَ إلى مجافاته للصواب.

وقد استشكل صاحب نزل الأبرار - وغيره - ذلك، فقال: الجمع بين الأحاديث المشتملة على تفضيل بعض الأعمال أن ذلك يجري باعتبار الأشخاص والأحوال. فمن كان مطيقاً للجهاد فأفضل أعماله الجهاد، ومن

(١) الحاكم من المتساهلين في الأسانيد.

(٢) من نزل الأبرار.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

(٤) ص ١٤ من شرح عدة الحصن الحصين لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف.

كان كثير المال فأفضل أعماله الصدقة، ومن كان غير متصف بإحداها فأفضل أعماله الذكر والصلاة[1]. أ هـ وهذا القول قابل للمناقشة لمنافاته لقاعدة: الثواب على قدر المشقة فضلاً عن أن تفاضل الأعمال مبدأ مقرر، وقد بوب بهذا البخاري في كتاب الإيمان.

وقال ابن الجزري في المفتاح شرح كتابه عدة الحصن الحصين: الذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل، والمجاهد الذاكر أفضل من الذاكر بلا جهاد، ومن المجاهد الغافل. فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون[2] وهذا تعبير زخرفته المحسنات اللفظية، ولا تُتصور من المجاهد بروحه وما له غفلة.

وما ذكره الملك حسن صديق خان من الاستشكال تكلف بما لا يلزم ألجأ إليه الاعتداد بجميع الأحاديث اعتداداً متساوياً بالرغم من تفاوت درجاتها في الصحة، وهذه الأحاديث والأقوال التي تفيد أفضلية الذكر على جميع العبادات معارضة بأحاديث أقوى منها وأصح سنداً ومتناً منها ما رواه الشيخان.

فأما الآية الكريمة: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٤٥]، فقد فسرت بأن ذكر الله لكم بالثواب أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم، وقيل: ذكر الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن أفضل من كل شيء، وعن الضحَّاك: ولذكر الله عند ما يُحرِّم فيترك الناس أجلُّ الذكر، وقال ابن عطية: وذكر الله أكبر على الإطلاق، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من مراقب، والحركات التي في الصلاة لا تأثير لها في النهي، والذكر النافع هو مع العلم وإقبال القلب ـ أما ما لا يتجاوز اللسان ففي مرتبة أخرى[3]. وفي قول ابن

---

(١) و(٢) شرح عدة الحصن الحصين، ص ١٤.

(٣) القرطبي في تفسير الآية رقم ٤٥ من سورة العنكبوت.

عطية: إن الحركات التي في الصلاة لا تأثير لها نظر، فليس أبعث على الخشوع في القلب من الركوع ووضع الجباه في الأرض.

وأما الذي يعارض كون الذكر بمعناه الضيق اللفظي أفضل الأعمال ما رواه الشيخان عن أبي هريرة، قال: قيل للنبي ﷺ ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: لا تستطيعون. قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: لا تستطيعون، وقال في الثالثة: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القائم الصائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله(1)، وما رواه الشيخان أيضاً عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال: لا أجده. قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك(2)، وما روى الشيخان في حديث طويل عن ثواب المجاهد أن كل حركات فرسه له فيها حسنات(3) وفي شرح الحديث في الفتح قال عياض: اشتمل الحديث على تعظيم أمر الجهاد لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفات المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة والصيام، واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً، وقال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال.

التوازن بين العبادات

تقوم عبادات الإسلام على التكامل والتوازن بحسب مقتضيات المصلحة الإسلامية العليا. فيجب ألا تشغل عبادة عن عبادة إلى درجة

---

(1) متفق عليه: البخاري في باب فضل الجهاد من ٥٦ ـ كتاب الجهاد، ومسلم في ٢٩/١١١ باب فضل الشهادة في سبيل الله من ٣٣ ـ كتاب الإمارة.

(2) متفق عليه في المرجعين السابقين.

(3) متفق عليه: البخاري من ٤٨ باب الخيل لثلاثة من ٥٦ الجهاد ومسلم في: ٦/٢٤ باب إثم مانع الزكاة من ١٢ ـ كتاب الزكاة.

الإهمال بلا مبرر من المصلحة الإسلامية العليا. ونحن نشاهد عند طوائف من المسلمين تغليب الذكر باللسان، وجعله قصاراهم من التدين، والضابط في هذا التوازن هو استلهام حياة النبي ﷺ في موازنته بين العبادات. ويمكن تشبيه حياة الرسول ﷺ بتذكرة الطبيب التي يقوم تأثيرها في الشفاء والوقاية من المرض على التوازن الدقيق بين المقادير والأنواع الواردة في التذكرة.

الباب الثاني

في الدعاء

الفصل الأول

تعريف الدعاء

الدعاء في اللغة النداء، وفي الشرع التوجه إلى الله تعالى بطلب دفع ضر أو جلب خير. وفسر البخاري الدعاء بالإيمان.

والدعاء مطلوب ومأمور به من الله عز وجل، بل يستفاد وجوبه من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر، الآية ٦٠]، إذ جعل الدعاء والعبادة شيئاً واحداً، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخِفْيَةً﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٠].

وعن أنس، قال ﷺ: لا تعجزوا في الدعاء، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد[١]. وعن أبي هريرة، قال ﷺ: إن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني[٢]، وعن أبي هريرة، قال ﷺ:

(١) رواه ابن أبي شيبة وابن حبان وأهل السنن الأربعة وصححه الترمذي من ص ١٨ من عدة الحصن الحصين.

(٢) رواه مسلم في: ١٩/٦ باب فضل الذكر والدعاء من ٤٨ كتاب الذكر.

ليس شيء أكرمَ على الله من الدعاء[1].

وجاء الحث على الدعاء ممثلاً في حكايته عن الأنبياء والصالحين والملائكة المقربين حملة العرش. فمن دعاء الصالحين قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [سورة الكهف، الآية ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [سورة السجدة، الآية ١٦].

وعن دعاء الأنبياء جاء في القرآن الكريم دعاء زكريا ونوح وإبراهيم ويوسف وسليمان وأيوب ويونس وغيرهم عليهم الصلاة والسلام.

وعن دعاء الملائكة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر، إلى آخر الآيات ٧ ـ ٩]، وجاء في الحديث الشريف ما رواه الشيخان عن أبي هريرة، قال ﷺ: أحدكم ما قعد ينتظر الصلاة في صلاة ما لم يحدث، تدعو له الملائكة: اللهم اغفر له اللهم ارحمه[2]، وما روياه أيضاً عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً[3].

والدعاء ضرورة بشرية يفزع إليها الإنسان تعبيراً عن ضعفه البشري عند مواجهة ما لا طاقة له به، ومنه قوله تعالى في شأن الإنسان بصفة عامة: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنْسَانَ ضُرًّا دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو

---

(١) أخرجه أصحاب السنن والحاكم وقال صحيح الإسناد من كتاب الدعاء للدكتور محمد السيد الطنطاوي.

(٢) متفق عليه: البخاري في ٦١ باب الحدث في المسجد من ٨ ـ كتاب الصلاة، ومسلم في: ٢٥٧/٤٩ باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة من ٥ ـ كتاب المساجد.

(٣) متفق عليه: البخاري في: ٢٧ باب قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ من ٢٤ كتاب الزكاة ومسلم من ١٥٧/١٧ باب في المنفق والممسك من ١٢ الزكاة.

إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ وَجَعَلَ للهِ أَنْدَاداً﴾ [سورة الزمر، الآية ٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنْسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ [سورة يونس، الآية ١٢].

هل الدعاء أفضل أم السكوت أفضل؟

ذكر النووي عن القشيري الاختلاف في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضاء؟[1] هذا السؤال صوفي المنزع وسبب الاختلاف واه ومتكلف لكثرة الآيات والأحاديث الصحيحة التي تطلب الدعاء وتأمر به، وتنهى عن عدم الدعاء، وتحكيه عن الأنبياء والملائكة حتى الكفار، والدعاء لا يتعارض مع الرضا فوضعهما موضع التقابل ليس من روح هذا الدين ولا نصوصه.

إن الإسلام يعترف بالضعف البشري، ولا يعترف بالتسامي المزعوم عن مقام النبي ﷺ. والأنبياء قبله، فقد بوب البخاري في ١٦ باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع أو وا رأساه، أو اشتد بي الوجع من ٧٥ ـ كتاب المرض، وقول أيوب: إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، وساق في الباب أحاديث فيها قول عائشة أمام الرسول ﷺ وعلى مسمع منه: وا رأساه! ورد الرسول ﷺ قائلاً: بل أنا وا رأساه!.

(١) الأذكار ص ١٧٥.

الفصل الثاني

الدعاء والتوسل

أولاً: الدعاء غير المضمون بأي توسل ومنه:

أ ـ الاكتفاء بالدلالة المتضمنة فيه على الافتقار إلى الله تبارك وتعالى، وكفى به من وسيلة لمن يتأمل. ومنه في القرآن دعاء زكريا ﷺ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٨٩]، ومنه دعاء موسى ﷺ: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٢١]، ومنه دعوات إبراهيم ﷺ ﴿رَبِّ هَبْ لِي حِكْماً وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآيتان ٨٣ ـ ٨٧]، ومن السنة قوله ﷺ في الاستسقاء: اللهم أغثنا اللهم أغثنا! وقوله ﷺ في الحديث نفسه حين أضر بالناس المطر: اللهم حوالينا ولا علينا[1]، ومنها قوله ﷺ في حديث عيادته سعد بن أبي وقاص: اللهم اشف سعداً! ثلاث مرار[2].

٢ ـ الاكتفاء بعرض الأمر ووصف الحالة والافتقار والمطلوب معروف من السياق، ومنه قول سيدنا نوح: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ﴾ [سورة هود، الآية ٤٥]، ومنه قول سيدنا موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص،

(١) متفق عليه: البخاري في ٣٤ باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة من ١١ كتاب الجمعة، ومسلم في: ٢/٨ باب الدعاء في الاستسقاء من ٩ كتاب الاستسقاء.

(٢) رواه مسلم في: ١/٦ ـ باب الوصية بالثلث من ٢٥ ـ كتاب الوصية.

الآية ٢٤]، ومنه في السنة عن أنس، أن أبا طلحة احتبس على زوجته أم سليم حين ضربها المخاض وهو عائد من سفر مع النبي ﷺ إلى المدينة، فقال: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى. ولم يطلب أبو طلحة شيئاً قال أنس: تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد[1].

٣ ـ الدعاء بعرض الأمر ووصف الحالة والافتقار وذكر المطلوب، ومنه دعاء سيدنا زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ ٱمْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [سورة مريم، الآيتان ٤ ـ ٦].

ثانياً: الدعاء مع التوسل ومنه: التوسل بتوسيط المخلوق بين الله تعالى وعباده:

لا يزال بعض العلماء ـ لمزيد الأسف يتكلف الدفاع عما تصنع العامة من دعاء غير الله، والطواف حول قبور الصالحين، والنذر لأصحابها، وشد الرحال إليها، وتقبيل أعتابها. ولا يخفى ما في هذا الدفاع من تشجيع على الاستمرار في إهدار قيمة العمل وفي تثبيت التواكلية الفاشلة. ومن الغريب أنهم يجرئون العامة بالدفاع عن سلامة عقيدتهم من الاعتقاد بأن الأولياء والصالحين يضرون أو ينفعون، مع أن ما يفعله أكثر العامة صارخ بأنهم يعتقدون في هؤلاء الصالحين الضرّ والنفع.

وتحت ضغط الدعوة الإصلاحية أصبح الدفاع عما تفعله العامة منحصراً تقريباً في أنهم يسألون بهؤلاء الصالحين، أو أنهم يوسطونهم في دعاء الله تعالى بالنيابة عنهم. غير أن ضغط الدعوة الإصلاحية لم يصل بفعل هؤلاء المدافعين إلى كثير من العامة، فلا يزال منهم من يدعو أصحاب القبور

(١) مسلم في ٢٠ باب فضائل أبي طلحة الانصاري من ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة.

مباشرة، ومن يطوف بقبورهم ومن يقبل أعتابها، ومن يشد إليها الرحال، ويقدم لأصحابها النذور.

وبدون الدخول في تفاصيل الجدل القائم بين الدعوة الإصلاحية وبين الداعين إلى البقاء على القديم بكل ما فيه، أسوق هنا بعض مبادئ لا يمكن الجدال فيها:

١ ـ أن الله تعالى قريب منا كما قال في محكم كتابه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٦]، وتوسيط الأموات من البشر بين الله وعباده في أي صورة يفترض البعد.

٢ ـ نصوص القرآن وصحيح السنة قاطعة في قصر العبادة والاستعانة على الله تعالى. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر، الآية ١٣]، وجاء في حديث ابن عباس قول النبي ﷺ: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله[١].

٣ ـ لم يثبت أن الصحابة أو التابعين أو السلف الصالح وسَّطوا أحداً من الأموات بينهم وبين الله تعالى، بأن يدعوا لهم بالنيابة عنهم بله أن يدعو الله تعالى بهم. ولم يتوسل الصحابة بالنبي ﷺ بعد موته، ولم يسألوا الله تعالى به وهو حاضر بينهم أو غائب عنهم، بل كانوا يطلبون إليه وهو حي أن يدعو لهم وهذا مستفيض في السنة الصحيحة. وبعد وفاة النبي ﷺ لم يستسق عمر به بل استسقى بالعباس بأن طلب إليه أن يدعو الله، ويصلي بهم صلاة الاستسقاء[٢].

وأخرى وهي من الطرافة بحيث تستحق أن تذكر. قال بعضهم: إن قرب الله تعالى المذكور في آية: ﴿فإنِّي قَرِيبٌ﴾ فإنما هو لعباده الذين

---

(١) رواه الترمذي في أحاديث القيامة من الباب ٥٩ ص ٦٦٧ حـ ٤ برقم ٢٥١٦ .

(٢) رواه البخاري من ٣ ـ باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا من ١٥ ـ كتاب الاستسقاء.

وصفهم بأنهم يمشون على الأرض هوناً، وبما أننا لسنا من الذين يمشون على الأرض هوناً، فإن الله ليس قريباً منا. ونقول لهؤلاء السذج: ما لكم لا تمشون على الأرض هوناً؟ ما الذي يمنعكم؟ كما نقول: كلنا عباد الله حتى الذين أسرفوا على أنفسهم.

٤ ـ إن هؤلاء الذين يدافعون عن توسيط الموتى من خلق الله لا يستطيعون أن يقولوا: إن هذا التوسيط أفضل من دعاء الله تعالى بلا واسطة، بل يحتالون لجعل التوسيط جائزاً مع أفضلية إفراد الله تعالى بالدعاء. ونحن نلتزم الأفضل، وندعو إليه ولا نوسط بيننا وبين الله أحداً من الموتى، ولا يلومنا أحد على فعل الأفضل، وترك المفضول على تسليم جوازه إلا أن يكون للمفضول ما يرجحه مما لا علم لنا به من اتجاهات في القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب.

ثالثاً: التوسل المشروع ومنه:

١ ـ التوسل بالإيمان وأمثلته من القرآن الكريم:

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٦].

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٥٣].

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩٣].

ومن أمثلة التوسل بالإيمان والإدلال به ما روى البخاري عن توسل سارة زوج سيدنا إبراهيم لما أراد بها الجبار سوءاً قال الحديث: قامت تتوضأ وتصلي، فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي فلا

تُسَلِّط عليَّ الكـافر، فغُطَّ حتى ركض بـرجله، وكـررت ذلـك ثـلاث مـرات، وتكرر الغط من الجبار ثلاث مرات[1].

٢ ـ التـوسل بـالأعمال الصـالحة، ومن أروع مـا ورد في ذلـك مـا رواه الشيخان من قصة أصحاب الغار الثلاثة الـذين آواهم المطر إلى غـار انحطت على بـابه صخـرة، فتـوسلوا إلى الله بصـالـح أعمـالهم، فتـوسـل الأول ببـره لوالديه، وتوسل الثاني بتنمية أجر أجير رفض استلام أجـره حتى صار منـه بقر كثير، وتوسل الثالث بعزوفه عن الفاحشة وقد أمكنه الله منها من ابنة عمه التي كان يحبها أشدَّ ما يحب الرجال النساء[2].

٣ ـ الدعاء والتوسل بالاعترف بالذنب، ومنه قوله تعالى على لسـان آدم وحـواء، : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَـا أَنْفُسَنَـا وَإِنْ لَمْ تَغْفِـرْ لَنَا وَتَـرْحَمْنَـا لَنَكُـونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٢٣]، ومنه قول قوم سيدنا مـوسى حين ندمـوا على اتخاذهم العجل: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٤٩].

ومنه في السنة المطهرة ما جاء في سيـد الاستغفار وسيـأتي قريبـاً، ومنه الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لسيـدنا أبي بكـر: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفـرة من عندك وارحمني إنـك أنت الغفور الـرحيـم.

٤ ـ الـدعاء مـع التوسـل بـالثنـاء على الله، ومنـه في القـرآن الكـريم: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَـا وَبَيْنَ قَوْمِنَـا بِٱلْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ﴾ [سورة الأعراف الآية ٨٩].

٥ ـ الاستعانة بالصلاة كما أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِـٱلصَّبْرِ والصَّلاةِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٤٥]، ومن السنة دعاء الاستخارة وسيـأتي إن شاء الله.

---

(١) رواه البخاري في ١٠٠ ـ باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه من ٣٤ ـ كتاب البيوع.

(٢) متفق عليه: البخاري في ٩٨ ـ باب إذا اشترى شيئاً بغير إذنـه فرض من ٣٤ ـ كتـاب البيوع، ومسلم في: ٢٧/٩٧ قصة أصحاب الغار والتوسل بصالح الأعمال من ٤٨ كتاب الذكر.

الفصل الثالث

الدعاء والعلم الطبيعي

يعترف العلم الديني بالدعاء ويترتب الإجابة عليه عاجلاً أو آجلاً في الدنيا أو في الآخرة. أما العلم الطبيعي فله من الدعاء موقف يحتاج إلى بيان زيفه من حقيقيه.

يبدو الدعاء، وكأنه طلب لأن يُخْلف الله سنته، ويبطلَ القوانين الطبيعية فيشفي المريض، ولما تتهيأ أسباب شفائه المعروفة، وتقضي الحاجات من غير طرائقها التي جعلها الله لها أسباباً، وهذا الفهم يهيِّىء للعلم مجالاً للتصادم مع الدعاء.

إن الروابط التي يعترف بوجودها الدين بين الدعاء والإجابة لم يتناولها العلم، ولن يتناولها بمنهجه الحالي. إن العلم لا يمد ميدانه إلى ما وراء الظواهر المادية المحسة، ولا وراء ما اكتشف من قوانين علمية إلا بمقدار ما تشير إليه القوانين العلمية إشارة مباشرة من الأسباب المجهولة لظواهر معلومة أو من الظواهر المجهولة لأسباب معلومة. أما الأسباب البعيدة فلا يتناولها العلم بدراسة، ومن ثم فلا يتناولها بنفي ولا إثبات بل يقترب مستأنياً في حذر وبمنهج لأقرب ما يُظن من أسباب.

هذا والعلم يعترف ويفترض دائماً اتساع ميدان المجهول بنسبة مطردة مع اتساع دائرة المعلوم، فالعلم يعترف بوجود مجهولات لا تحصى وراء كل

معلومة يصل إليهـا بتقنين أو حتى ملاحـظة ويعترف العلم بصـراحة بـأن وراء ما نعلم كثيراً مما لا نعلم لا من المعلولات فقط، ولكن من العلل أيضاً.

والقضاء والقدر مـا هو إلا القـوانين التي نعلمها والتي لا نعلمهـا، لكن الناس قد درجوا على خطأ عقلي لتسهيل حياتهم هو أن القضاء والقـدر هو مـا لا نعلم فقط من سنن إلٰهيـة، ومن المتـداول على السنـة والهيئـات الـرسميـة والقانونية أن ما لا نستطيع أن نلصقه من أسباب الحـوادث بإنسـان محدد إنمـا مرجعه إلى القضاء والقدر، وأن ما نفلح في الصاقة بإنسان ننفي عنه مسؤوليـة القضـاء والقدر كـأن الإنسان وإرادتـه عنصر قـائم بـذاتـه مستقـل عن القضـاء والقدر.

وتقع الرابطة بين الدعاء وإجابته في نطاق القضـاء والقدر في المستـوى الأعلى عن تناول العلم في المرحلة الحاضرة، ولذلك فالعلم لا يستطيع ـ ولا يـدَّعي ـ إثبات ذلـك ولا نفيه، وليس معنى عجـز العلم عن إثبـات شيء هـو بـالضـرورة نفي لـذلـك الشيء، وذلـك مـا يغلط فيـه ويغـالط المضللون من الملحدين الذين يهرفون بما لا يعرفون.

وقد نقل العقاد في كتابه عقائد المفكرين في القرن العشرين من كتـاب الصـلاة للدكتور الكسيس كـاريل: ومن الجهـل بالصـلاة أن يقال: إنهـا أشبه شيء بـأن يـطلب الإنسـان من الله أن يخـل بنـظام الكـون، وبغيـر الأسبـاب والمسببـات لأن المصلي وعقائـده وإلهامـاته جـزء من نظام الكـون وسبب من الأسباب التي يحيط بها علم الله.

الفصل الرابع

الدعاء والقضاء والقدر

نَفِرٌّ بالدعاء من قدر الله إلى قدر الله، نفر من قدر محذور إلى قدر مأمول، ونطلب النقلة من قدر واقع لا يوافقنا فيما يبدو إلى قدر محتمل نرجوه، بمنهج عُمَري، فلله در عمر بن الخطاب لقد قال في القضاء والقدر قولاً لا نحتاج بعده للطرفين المتناقضين، ولا للطرف الموفق، لا للجبرية ولا للقدرية ولا للموفقين بينهما. ولكننا قوم خَصِمون.

روى الشيخان في حديث وباء الشام أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر وقد أمر بالعودة بعد مشورة المهاجرين والأنصار: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت لو كان لك إبل هبطتْ وادياً به عُدوتان إحداهما خَصْبة والأخرى جَدْبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله؟ وإن رعيت الجدية رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال: إن عندي في هذا علماً. سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. قال: فحمد اللهَ عمرُ ثم انصرف، وفي رواية، قال عمر أيضاً: أرأيت أنه لورعي الجدبة أكنت مُعَجِّزه؟ قال نعم. قال: فَسِرْ إذن، فسار.

لقد فقه عمر والمهاجرون والأنصار الذين استشارهم عمر فريقاً بعد فريق الموقف السليم من القدر، فلم يقحم أحد منهم القدر أثناء المناقشة في صواب الإقدام على الوباء أو خطئه لا قبل استبيان الصواب ولا بعد استبيانه،

وإنما أقحمه أبو عبيدة بعد صدور القرار بالعودة. ولم يسلم أبو عبيدة من تقريع عمر وغمزه واستعظام هذا القول منه. لقد فقه عمر والصحابة من المهاجرين والأنصار أن كل ما نفعله باجتهاد ومشاورة وموازنة بين الأخطار يجب أن يتم بدون نظر إلى القدر وبدون اعتبار له، وأن يكون النظر منحصراً في الموازنات والدراسات. وإنما تتم معرفتنا بموافقة فعلنا للقدر بعد أن يتم اختيارنا الحر وبعد أن يقع الفعل.

وحتى بعد وقوع الفعل الخاطئ، وبعد معرفتنا بموافقته للقدر فإن التعجيز لاحق بالمخطئ، والمسؤولية آخذة بخناقه وهذا ما جرت له الحياة والقوانين في أنحاء العالم، فلا أحجام من تفكير أو تدبير بسبب القدر، ولا اعتذار به عما نرتكب من حماقات.

فنحن نلوذ بما في قدر الله من دواء بما في قدر الله من داء، كما لاذ عمر بما في قدر الله من وقاية مما في قدر الله من وباء.

ولا محل ـ مع ما سبق ـ لشبهة مؤداها أن المدعو به إذا كان قد قدر لم يكن من وقوعه بد أَدَعَا به العبد أم لم يدْعُ، وإن لم يكن قد قدر لم يقع سواءً دعا به العبد أم لم يدع. فمثل ذلك لا يقال في اتخاذ الأسباب المادية في أمورنا المعتادة، فإننا لا نقول: إن كان الزرع قد قدر لم يكن من وقوعه بد أُسْقِيَ الزرع أو لم يُسق، وإن لم يكن قد قدر لم يقع سواء أُسْقِيَ الزرع أو لم يسق.

فالدعاء من الأسباب التي أمرنا باتخاذها، وقد أنزله الغزالي منزلة الأسباب المادية سواء بسواء في ترتيب النتائج عليه. قال: فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فهو سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة كما أن التُّرس سبب لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، وليس من شرط الاعتراف بالقدر ألا يحمل السلاح، وألا تسقى الأرض، والذي قدر الخير قدره بسبب، والذي قدر الشر قدر لدفعه سبباً[1].

(١) ص ٦٣ من كتاب الدعاء للدكتور محمد سعيد طنطاوي.

وليست المشكلة هنا عويصة على الحل إلا عند الجبرية ، لكن المشكلة الحقيقية مشكلة عصرية هي كيف يكون الدعاء سبباً لدفع بلاء أو جلب مصلحة؟ كيف يكون غير المادي سببا في حصول المادي؟ كيف يكون الدعاء سبباً في شفاء مرض فيه جراثيم وتغيرات عضوية في جسم الإنسان؟ .

إن القدر من السعة والإحاطة والعلو بحيث يسع أقوى ما تتسع له الطاقة البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل من اجتهاد في اتخاذ الأسباب مؤيدة بالعلم، فهو يسع ترتب الشقاء على تناول الدواء، وترتب الهلاك على ترك تناوله، وبحيث يسع تخلف أحدهما أو كليهما مع توفر سببه المعتاد حين تتدخل أسباب أخرى مما في قدر الله، وبحيث يسع الاستجابة للدعاء اللامادي بالتأثير في المرض المادي.

إن الصعوبة توجد فقط عند مَنْ لا يسع عقله تصور أن يكون وراء الأسباب المحسَّة بوسائلنا الحالية أسباباً قد تتناولها وسائل مستقبلة أو أسباباً قد ترقى إلى حيث يوجد العالم اللانهائي من الروابط المجهولة بين المعلولات ماديها وغير ماديها، وبين العلل ماديها وغير ماديها في مستويات من الغيب تعلو ثم تعلو حتى مستوى القانون الأعلى، قانون: (كن).

الفصل الخامس

لماذا لا يقبل جميع الدعاء؟

تدور العلة مع المعلول وجوداً وعدماً. ذلك ما يقوله قانون العليَّة المعروف في العلم. . ومن الملاحظ أن الإجابة لا تدور مع الدعاء وجوداً وعدماً. فلا نستطيع أن نقول بإن هناك رابطة عليّة ـ فيما يبدو لنا بين الدعاء والاستجابة.

إن دوران العلة المادية مع المعلول المادي وجوداً وعدماً مشروط بعدم تدخل علل أخرى في مسار التأثير فتضعفه أو تحجبه تماماً، وذلك في مستطاع الإنسان معرفته بل والتحكم فيه. وكذلك رابطة التأثير بين الدعاء والاستجابة مشروط بعدم تدخل علل أخرى لكننا لا نعرف عنها شيئاً بل هي في علم الله تعالى الذي لا نصل إليه، وقد نعرف منها شيئاً، ومنه:

١ ـ إننا قد ندعو بجلب خير عاجل قد يكون شراً لنا في الآجل، وقد ندعو بدفع شر عاجل قد يكون خيراً لنا في الآجل، وذلك لا يعلمه إلا الله، وكلنا يدرك الحكمة في عدم استجابة الوالد لكل طلبات ابنه، ولله المثل الأعلى.

٢ ـ إننا قد ندعو على أنفسنا في ساعات تأنيب الضمير، فلو استجاب الله مثل هذا الدعاء لهلكنا.

٣ ـ لو استجاب الله دعاء كل امرئ في غيره لفسدت الأرض.

٤ ـ إننا نفقد الشروط التي عبرت عنها الآيات والأحاديث لإجابة الدعاء من مثل قوله تعالى: ﴿إنما يَتَقَبَّلُ ٱللَّهَ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٧]، وفي الحديث: إن رسول الله ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك[1]؟.

٥ ـ إن إجابة الدعوة قد تكون إجابة مباشرة أو تعويضية، فعن عبادة بن الصامت، قال ﷺ: ما على الأرض مسلم يدعو بدعوة إلا آتاه الله إياها أو يصرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم[2].

---

(١) م: ٦٦/١٩ ـ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب/١٤ ـ كتاب الزكاة.

(٢) الترمذي رقم ٣٣٨١/٩ ـ باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة/٤٩ ـ كتاب الدعاء.

الفصل السادس

الدعاء ليس بديلاً من العمل

إن الإسلام معروضاً في القرآن الكريم ومترجماً ومعاشاً في حياة الرسول ﷺ أصدقَ ترجمة، وأصدقَ عيش، إن هذا الإسلام يضع في العمل الصالح كل أسباب التأثير في حياة الإنسان للدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية ٣٩]، وقال ﷺ: يا فاطمة اعملي لا أغني عنك من الله شيئاً[١].

وقد كان ﷺ يعد للأمور كلها عدتها، ويرسم لها خطتها، ويحتاط لأمره بالكتمان والتورية فيما يحتاج إلى ذلك، ويرسل العيون حتى ليقول القائل: إنه لم يترك لتدخل السماء ثغرة.

وفي غزوة بدر مثلاً لم يبدأ الرسول ﷺ بالدعاء، لكنه لجأ إليه بعد أن استكمل كل ما في الطاقة البشرية من جهد، ثم دعا وألح في الدعاء حتى سقط عنه رداؤه، وحتى أشفق عليه أبو بكر، وقال له: بعضَ مناشدتك ربَّك يا رسول الله! حتى ليقول القائل حينئذ: إن الرسول قد وضع في الدعاء كل أسبابه، وعلق عليه وحده كل رجائه.

أما المسلمون اليوم ففيهم من سوء الوعي بدينهم ما يجعلهم يغفلون

---

(١) خ وم، خ: ١١ ـ باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟ ٥٥ ـ كتاب الوصايا.

(٢) وم: ٨٧/٣١٨ ـ باب من قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾١ ـ الإيمان.

اتخاذ الأسباب، بل ويدعو متصوفهم أن ينجيه الله من شرك اتخاذ الأسباب، وإن أخذوا منها اختاروا أهونها على أنفسهم بصرف النظر عن فعاليته، ووضعوا فيها كل همهم، فتارة يعتمد فريق منهم في استنزال النظر على قراءة البخاري وتارة يكتفون بالدعاء، وتارة يكتفون بالتعاليق عليها الشعارات، فقد ملأوا الدنيا بلافتات الحماس، ولطخوا الحيطان بالشعارات عشية النكسة عام ١٩٦٧.

وقد كان كافيهم ليتيقظوا ما برهنت عليه التجارب المتوالية من فساد تصرفاتهم، ومن عدم أخذهم بأسباب النجاح إذا لم تكفهم البراهين العقلية والنقلية على هذا الفساد. وأمثلة التجارب على ذلك لا تحصى، ومنها:

قال الأستاذ محمد عبده[1] إنه رأى قميص كوبريللي مصطفى باشا آخر قائد عثماني حارب في المجر، والذي تقلص بعد قتله ظل السلطنة العثمانية سنة ١١٠٢ هـ، ورأى ذلك القميص في دار المجر، وقد نقشت عليه الآيات القرآنية، وخاتم الإمام الغزالي، واستعاذة الجلجلوتية، وأمثال ذلك من الطلاسم وغريب الخواتيم أ هـ.

والأمر غير محتاج إلى تعليق إذ لم تمنع آيات القرآن المكتوبة ـ غير المعمول بها ـ ولا الجلجلوتية التي جميع أسماء الله فيها أعجمية تثير حسرة المسلم، واشمئزاز غير المسلم. وليس من قبيل الصدف أن يكون انحسار الإسلام عن أوروبا على أيدي القادة الذين ينقشون الجلجلوتية على قمصهم.

٢ ـ وقد عاب الجبرتي على المصريين استعانتهم في حرب نابليون بالذكر وقراءة البخاري، وتساءل الجبرتي ـ لله دره ـ: هل كان نبيهم يحارب الكفار بقراءة القرآن أم بالعمل بما فيه؟.

٣ ـ وقد استعان الأتراك على حرب اليونان بقراءة البخاري في

مكن ذلك صاحب كتاب منهج الإمام محمد عبده من التفسير.

المساجد، وكان رد الفعل لهذا وأمثاله مدمراً بالهزيمة أمام اليونان ثم بثورة مصطفى كمال.

٤ ـ واستعان عرابي على حرب الإنجليز بالذكر، وكانت النتيجة احتلال إنجلترا مصر ما يقرب من قرن من الزمان.

٥ ـ ويستشير بعضنا في مصر في أعلى المستويات الأرواح في الحرب والسلام مع إسرائيل.

هذه تجارب خمس وهي قل من كثر فهل من سميع أو من بصير؟.

فالدعاء والتوكل على الله ليسا بديلاً من العمل والجهد بل الدعاء سبب من أسباب يلجأ إليه المسلم ضمن ما يلجأ إليه من أسباب.

الفصل السابع

مناسبات الدعاء

مناسبات الدعاء غير محددة فهي تشمل كل خير للدنيا والآخرة، ودفع كل مكروه في الدنيا والآخرة مما لا تتناوله قدرة الإنسان أصلاً كالتجاوز عن السيئات وغفرانها، ومما لا تستقل به قدرة الإنسان كالشفاء من الأمراض، وتيسير الرزق، وحتى ما تستقل به قدرة الإنسان التي أعطاها الله إياها كالمشي والأكل وغيره، ويدعو الإنسان لنفسه ولغيره ويطلب دعاء غيره من الأحياء الصالحين في كل ذلك.

طلب الدعاء من الأفضل

أولاً: للنفس والأهل: عن عبد الله بن بُسر، قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي، فقربنا إليه طعاماً ووَطْبة[1]، فأكل منها، ثم أُتي بتمر، فكان يأكله ويلقي النوى بين أصبعيه، ويجمع السبابة والوسطى، ثم أُتي بشراب فشربه، ثم ناوله الذي عن يمينه، فقال أبي: ادع الله لنا، فقال: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم فاغفر لهم وارحمهم[2].

ثانياً: طلبه لغيره: عن عبد الله بن عباس في حديثه الطويل عن سؤاله لعمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى فيهما: ﴿**إن تتوبا**

---

(١) قربة صغيرة للبن.

(٢) رواه مسلم في: ٢٢/١٥٦ باب استحباب وضع النوى خارج التمر من ٣٦ كتاب الأشربة.

إلى الله فقد صَغَتْ قلوبكما. . .﴾[1] قال عمر فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئاً غير أَهَبة ثلاثة[2]، فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فإن فارساً والروم قد وُسِّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله[3].

وطلب أبو موسى من الرسول ﷺ أن يستغفر له وأبلغه طلب أبي عامر أن يستغفر له وسيأتي في الدعاء عند الوضوء[4].

طلب الدعاء من المفضول

ذكر النووي أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر. ومن أول ما يستدل به ما رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح. عن عمر بن الخطاب، قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة، فأذن لي، وقال: لا تنسنا يا أُخَيَّ من دعائك، وقد طلب الله عز وجل من الذين آمنوا أن يصلوا على النبي ويسلموا عليه تسليماً.

وعن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أُويس لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار والدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لهم[5] وفي رواية: مروه فليستغفر لكم[5]. وفي رواية عن جابر: فأقبل، قال عمر: فاستغفر لي، فاستغفر له[6].

---

(١) سورة التحريم، آية ٤.

(٢) جمع إهاب وهو الجلد قبل الدباغ.

(٣) متفق عليه: في البخاري في ٨٤ باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها من ٦٧ كتاب النكاح. وفي مسلم في: ٣١/٥ - باب في الايلاء من ١٨ كتاب الطلاق.

(٤) متفق عليه في البخاري في ٥٥/٢٣ باب غزاة أوطاس من ٦٤ كتاب المغازي، وفي مسلم في: ٣٨/١٦٨ باب فضائل أبي موسى والأشعريين من ٤٤ كتاب فضائل الصحابة.

(٥) رواه مسلم في: ٥٥/٢٢٤ باب فضائل أويس القرني من ٤٤ كتاب فضائل الصحابة.

(٦) رواه مسلم في الباب السابق والكتاب السابق.

طلب الدعاء للآخرين

في رواية من أحاديث رجم ماعز، قال ﷺ: استغفروا لماعز بن مالك، فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. قال: فقال رسول الله ﷺ: لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم[1]. وعن أبي هريرة، قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة يومَ الذي مات فيه، فقال: استغفروا لأخيكم[2].

دعاء النبي ﷺ لنفسه ولأمته

قد دعا النبي ﷺ لنفسه ولأمته بصفة عامة، ولأفراد وأقوام معينين بأسمائهم وبصفاتهم، وأمر في القرآن الكريم بكل ذلك، وهذا مقتضى كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

فأما دعاؤه ﷺ لنفسه، فعن عائشة، قالت: سمعت النبي ﷺ وهو مستند إليَّ يقول: اللهم اغفر لي وارحمني وألحِقني بالرفيق الأعلى[3]. وعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة[4]. وقد أُمِرَ الرسول ﷺ في القرآن أن يدعو لنفسه في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾ [سورة الإسراء، الآية ٨٠]، وفي قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [سورة طه، الآية ١١٤]، وفي قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان ٩٧ و٩٨].

وقد أُمِرَ الرسول ﷺ أن يدعو للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٢٩]، وفي قوله تعالى:

---

(١) رواه مسلم في: ٥/٢٠ باب من اعترف على نفسه بالزنا من ٢٩ كتاب الحدود.

(٢) متفق عليه: البخاري في ٦١ باب الصلاة على الجنائز في المصلى والمسجد في ٢٣ كتاب الجنائز، ومسلم في: ٢٢/٨٤ باب في التكبير على الجنازة من ١١ كتاب الجنائز.

(٣) متفق عليه: في البخاري في ٨٣ باب مرض النبي ﷺ ووفاته من ٦٤ كتاب المغازي، وفي مسلم في: ١٣/٨٧ باب فضل عائشة من ٤٤ كتاب فضائل الصحابة.

(٤) رواه البخاري في ٣ باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة من ٨٠ كتاب الدعوات.

﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية ١٢]، كما امِر ﷺ أن يدعو لنفسه وللمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد، الآية ٢٠].

دعاؤه ﷺ لأفراد معينين بأسمائهم

فقد دعا لسعد بن أبي وقاص فقال: اللهم اشف سعداً وأتْمِم له هجرته[١]، ودعا لعُبَيد أبي عامر ولأبي موسى الأشعري، فقال: اللهم اغفر لعُبيد أبي عامر، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس، وقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مُدخلاً كريماً[٢]. ودعا ﷺ لجرير بن عبد الله فقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً[٣]. ودعا لأبي أوفى حين أتاه بصدقته، فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى[٤]. وعن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة قال: اللهم أنج عيَّاش بن أبي ربيعة اللهم أنْج سلَمة بن هشام اللهم أنج الوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين. اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف، وأنه ﷺ قال: غِفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله[٥].

دعاء النبي ﷺ للمعينين باوصافهم

من ذلك دعاؤه ﷺ للأنصار والمهاجرين: إذ قال في حفر الخندق:

---

(١) رواه البخاري في ١٣ باب وضع اليد على المريض من ٧٥ كتاب المرضى.

(٢) متفق عليه: في البخاري في ٥٥ باب غزاة أوطاس من ٦٤ كتاب المغازي، وفي مسلم في: ٣٨/١٦٨ باب فضائل أبي موسى الأشعري والأشعريين من ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة.

(٣) متفق عليه: في البخاري في ١٦٢ باب من لا يثبت على الخيل من ٥٦ كتاب الجهاد، وفي مسلم في: ٢٩/١٣٨ ـ باب فضائل جرير من ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة.

(٤) متفق عليه: في البخاري في ٦٤ ـ باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة من ٢٤ ـ كتاب الزكاة، وفي مسلم في: ٥٤/١٨٠ باب الدعاء لمن أتى بصدقته من ١٢ كتاب الزكاة.

(٥) في البخاري في ٢ ـ باب دعاء النبي: اجعلها عليهم سنين كسني يوسف من ١٥ ـ كتاب الاستسقاء.

اللهم إن العيش عيش الآخرة فأكرِم الأنصار والمهاجرة[1]، ومنه ما جاء في حديث عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ في بيتي هذا يقول: اللهم مَن ولِي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرقَّ بهم فارفق به[2].

أما الدعوة الكبرى فقد اختبأها النبي ﷺ لأمته في الشفاعة. روى الشيخان عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي دعوة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[3].

الدعاء للنفس قبل الغير

روى مسلم في حديث أبي بن كعب الطويل عن لقاء موسى بالخضر أن رسول الله ﷺ قال عندما ذكر قتل الخضر للغلام: رحمة الله علينا وعلى موسى! لولا أنه عَجِل لرأى العجب. قال: وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه[4].

الدعاء بأدعية الأنبياء التي في القرآن الكريم

أدعية سيدنا نوح: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَاراً﴾ [سورة نوح، الآية ٢٨]، و ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ﴾ [سورة المؤمنين، الآية ٢٩].

دعوات سيدنا إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٨]، و ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ. . .وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآيات ٨٣ ـ ٨٧]، و ﴿رَبِّ

---

(١) متفق عليه: في البخاري في ١١٠ باب البيعة في الحرب من ٥٦ كتاب الجهاد، وفي مسلم في: ١١٧/٤٤ باب غزوة الأحزاب من ٣٢ ـ كتاب الجهاد.

(٢) رواه مسلم في: ١٩/٥ باب فضيلة الإمام العادل من ٣٣ ـ كتاب الإمارة.

(٣) متفق عليه: في البخاري في ١ باب لكل نبي دعوة مستجابة من ٨٠ كتاب الدعوات، وفي مسلم في: ٣٠٦/٨٤ ـ باب اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته من ١ كتاب الإيمان.

(٤) رواه مسلم في: ١٦٧/٤٦ باب فضائل الخضر من ٤٣ ـ كتاب الفضائل.

ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [سورة إبراهيم، الآيتان ٤٠ و ٤١].

دعاء زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٣٨]. دعاء موسى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٥١].

الدعاء للبلاد وأهلها

عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم يعني أهل المدينة[١]. وعن عائشة؛ قالت: قال النبي: اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد وانقل حُمَّاها إلى الجُحْفة اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا[٢].

دعاء الأبناء لآبائهم

من قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [سورة الإسراء، الآية ٢٤]، ومن قول سيدنا إبراهيم: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلضَّالِّينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٨٦].

الدعاء للصبيان

عن أسامة بن زيد: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويُقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما[٣]، وعن السائب بن يزيد، قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول

---

(١) متفق عليه: في البخاري في ٥٣ ـ باب بركة صاع النبي من ٣٤ ـ كتاب البيوع، وفي مسلم في: ٤٣٤/٨٥ ـ باب فضل المدينة من ١٥ ـ كتاب الحج.

(٢) متفق عليه: في البخاري في ٤٣ ـ باب الدعاء برفع الوباء والوجع من ٨٠ ـ كتاب الدعوات، وفي مسلم في: ٤٤٩/٨٦ ـ باب الترغيب في سكنى المدينة من ١٥ ـ كتاب الحج.

(٣) رواه البخاري في ٢٢ ـ باب وضع الصبي على الفخذ من ٧٨ ـ كتاب الأدب.

الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجِع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة[1].

الدعاء للغير لمسامحته بدلاً من مساءلته

سيأتي في التودد إلى الناس

الدعاء لمن أساء

سيأتي في التودد إلى الناس

دعاء المظلوم

دعاء المظلوم مستثنى من عموم النهي عن السب واللعن بقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [سورة النساء، الآية ١٤٨]، وقد حذَّر النبي ﷺ منها في قوله لمعاذ: واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب[2].

الدعاء على النفس

قد ورد النهي عن الدعاء على النفس في حديث عن أم سلمة، قال ﷺ: لا تدْعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤمِّنون على ما تقولون[3]. وعن أنس أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفَتَ فصار مثل الفَرْخ، فقال له رسول الله ﷺ: هل كنت تدعو بشيء أو تسألهُ إياه؟ قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنتَ مُعاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله! لا تُطيقه أو لا تستطيعه. أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[4]؟ لكن قد ورد

---

(١) رواه البخاري في ١٨ ـ باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له من ٧٥ ـ كتاب المرضى.

(٢) متفق عليه: في البخاري في ٩ ـ باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم في ٤٦ كتاب المظالم، وفي مسلم في ٧/٢٩ ـ باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله من ـ كتاب الإيمان.

(٣) رواه مسلم في: ٧/٤ ـ باب إغماض الميت والدعاء له إذا حضر من ١١ كتاب الجنائز.

(٤) رواه مسلم في: ٧/٢٢ باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا من ٤٨ ـ كتاب الذكر

أن عائشة قد دعت على نفسها، فقد روى الشيخان عن عائشة، أن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه فطارت القرعة لعائشة وحفصة وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك تنظرين وأنظر؟ فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة. فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر، وتقول: يا رب سلط علي عقرباً أو حية تلدغني ولا أستطيع أن أقول له شيئاً[1].

الدعاء على الكفار والظالمين وأصحاب المعاصي

وهو استثناء من قاعدة النهي عن السب والشتم واللعن التي سيأتي الكلام عليها، ومنها ما جاء في القرآن الكريم من دعاء الأنبياء على أقوامهم، مثل دعاء سيدنا نوح: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ [سورة نوح، الآية ٢٦]، ودعاء سيدنا موسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَالِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [سورة يونس، الآية ٨٨].

الدعاء على المعينين بأسمائهم

قنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رِعْل وَذِكْوان وعُصيَّة وبني لِحيان[2]. ودعا رسول الله ﷺ على قريش حين ألقَوْا سَلَى الجَزور على ظهره وهو يصلي، فقال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات... ثم سمى: اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط[3].

---

(١) متفق عليه: في البخاري في ٩٨ باب القرعة بين النساء إذا أراد سفراً من ٦٧ - كتاب النكاح، وفي مسلم في: ١٣/٩٠ - باب فضل عائشة من ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة.

(٢) رواه البخاري في ٢٨ باب غزوة الرجيع من ٦٤ كتاب المغازي.

(٣) متفق عليه في البخاري في ٧٤ - باب إذا أُلقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد صلاته من ٤ - كتاب الوضوء، وفي مسلم في: ٣٩/٩٨ باب ما لقي النبي من أذى المشركين من ٣٢ - الجهاد.

الدعاء على المعينين بأوصافهم

قد دعا الرسول ﷺ على الأحزاب: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم[1]. ودعا عليهم حين شغلوه عن صلاة العصر: ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن صلاة الوسطى حين غابت الشمس[2]. وعن سعيد بن جبير، قال: مر ابن عمر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامَوْنها. فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا[3]. وسئل أنس: أحرَّم رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: نعم ما بين كذا إلى كذا لا يقطع شجرها من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[4]. وفي صحيفة علي: . . . فمن أحدث فيها (أي المدينة) حَدَثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً[5].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: لعَن الله السارق يسرق البيضة فتُقطع يده، ويسرق الحبل فتُقطع يده[6] وعنه، وعن ابن عمر، قال ﷺ: لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة[7].

---

(١) خ في ٢٩ - باب غزوة الأحزاب من ٦٤ المغازي.

(٢) خ و م: خ في ٢٩ غزوة الأحزاب من ٦٤ المغازي، وم في: ١٩٢/٣٦ باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى صلاة العصر من ٥ المساجد.

(٣) خ و م: خ في ٢٥ ما يكره من المُثلة من ٧٢ الذبائح والصيد، وم في: ١٢/٥٥ النهي عن صبْر البهائم من ٣٤ الصيد.

(٤) خ و م: خ في ٦ أثم من آوى محدثاً من ٩٦ الاعتصام. و م في: من ٨٥/٤٣٢ فضل المدينة من ١٥ الحج.

(٥) خ و م: خ في ٥ - ما يكره ٥ من التعمق والتنازع في العلم من ٩٦ الاعتصام. و م في: ٨٥/٤٣٦ فضل المدينة من ١٥ - الحج.

(٦) خ و م: في خ في ٧ لعن السارق من ٨٦ الحدود، وفي م: ١/٧ - حد السرقة/٢٩ - الحدود.

(٧) خ في: ٨٣ الوصل في الشعر من ٧٧ اللباس.

الفصل الثامن

الابتداع في الدعاء التكلف

بساطة الدعاء

بساطة الدعاء أمر ملاحظ في جميع أدعية القرآن الكريم والسنة الصحيحة. انظر إلى دعاء القرآن الكريم: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١١٨]، وقوله ﷺ: اللهم أغثنا، وقوله ﷺ: اللهم اشف سعداً كما أن السجع في الدعاء مطلوب تجنبه. وبوب البخاري فقال: ٢٠ باب ما يكره من السجع في الدعاء من ٨٠ كتاب الدعوات، وساق عن ابن عباس قوله: فانظر السجع من الدعاء، فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب[1]، وانظر أين هذا من دعاء منسوب إلى السيد البدوي وفيه: . . . وأسألك ببديع منيع رفيعِ سترك، وأسألك بقدْر مقدرا اقتدار قدرتك. . . وبمكنون تكوين كائن سرك؟

دعاء الدجالين وغير الصالحين وكتاباتهم وشعوذتهم

من الأفكار الضالة السائدة ـ وما أكثرها في مجتمعنا الإسلامي ـ عند قطاع عريض من العامة الخوف من دعاء الدجالين ومن كتاباتهم، وما يسمونه بالعمل من أنواع السحر.

ومن المؤلم أنه تسود بين الناس اعتقادات بأن هؤلاء الدجالين يتقربون

---

(١) خ في: ٢٠ ما يكره من السجع في الدعاء من ٨٠ الدعوات.

إلى أوليـائهم المزعـومين بـالتـوضؤ بـاللبن والـدوس على المصحف في المـراحيض، ولا يمنعهم ذلـك من اللجـوء إليهم وطلب دعـائهم وأحجبتهم، ودفع الأجور السخية ليعملوا لهم عملاً يرغبون فيه ولو كـان بالضـرر لعباد الله أو يبـطلوا لهم عملاً مـزعومـاً، وكلما ازداد كفـر هؤلاء الـدجـالين كلمـا كـان الخوف منهم أكبر والـرغبة في اللجـوء إليهم أشد، ولا يخفى مـا في ذلك من الكفـر باعتقـاد أن الذي يحـادُّ الله ويكفر بـه بتلك الممارسـات قـادر على أن يجلب نفعاً أ و يدفـع ضرًّا بـرغم أن الله تعالى يـدافع عن الـذين آمنوا، وأنـه وليهم كما جاء في القرآن الكريم.

الذكر والدعاء بالألفاظ الأعجمية

من الأفكار الضالـة المترسبـة إلى الآن من عصور الجهـالة، والمتسـربة إلى تـراثنا في ظـلام هذه العصـور من اليهود أن لغـة يـوم القيـامـة هي اللغـة السريانية وأن اسم الله الأعظم باللغة السريانية.

لم أقل إن التسرب هو من الصهيونيـة، فإن هـذا الجيل لم يقـدر له أن يكتشف بـل أن يعي أن الصهيونيـة موجـودة من قديم، وأنهـا تعمـل من قبـل الرسالة وفي أثنائها ومن بعدها، وهذه كلمـات أكتبها وأرجـو ألا تكون صـرخة في واد أو نفخـة في رمـاد. كـان من الإرهـاب الفكـري المسلط علينـا لعـدم الاقتراب منها ما جاء على لسان صاحب مركز مؤثر في الإعلام في هذا العصر من قوله تندّراً عن أمر قصر فيه العرب في أمريكا: وسيقول قائل: إن هـذا من عمل الصهيونية. كلام ذوو جهين وسلاح ذو حدين. حقـاً إننا يجب أن ننسب كل فشل يصيبنـا إلى تقصيرنـا، وبهذا القـدر من الوعي بـالمسؤولية يجب ألا نخرج من حسابنا إسهام الصهيونية في تخييب كل سعي لنا، وتثبيط كـل همة وتقويض كل بناء.

لا أدري متى ستتعلم السريانية التي يجري بها الاختبار يوم القيامة؟ كما لا أدري لماذا لا تكون لغة القيامة هي اللغة العربية، ولمـاذا لا يكون اسم الله الأعظم باللغة العربية؟.

ومن ذلك الضلال تلك المنظومة التي تسمى الجلجلوتية، وهي منظومة من شعر ركيك سخيف فيها دعاء بألفاظ وأسماء يدعون أنها أسماء الله باللغة السريانية، وقد سبقت الإشارة إلى شؤم هذه الجلجلوتية على الإسلام في أوروبا على يد الذي سطرها على قميصه.

اسم الله الأعظم

تحيط بما ورد في بعض الأحاديث غير الصحيحة عن اسم الله تعالى أعظم من جميع أسمائه الحسنى، أفكار من شأنها ألا تسود إلا في المجتمعات التواكلية المتخلفة التي تتشهّى سبباً واحداً سحرياً يكون مغنياً عن معاناة اتخاذ الأسباب، تلك المجتمعات التي تريد الدنيا والآخرة في صفقة واحدة بل في كلمة واحدة، مجتمعات السحر والطلاسم والمعجزات والكرامات.

فقد روى الحاكم ـ وهو من المتساهلين في التصحيح ـ عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال ﷺ: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين[1].

وأشدّ ما هو منكر فيما يتعلق باسم الله الأعظم هذا ـ ومثله في ذلك مثل قصيدة الجلجلوتية الركيكة وعدية يس والأحجبة والتمائم والسحر ـ أن الدعاء بها مجاب، ولو من الظالم الذي يعرف من نفسه الظلم، ولو كان الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، ولو كان ممن مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، بمعنى أنها حاكمة على الله، وليس الله حاكماً عليها. ولهؤلاء سلف فقد كان كفار مكة يعتقدون ـ كما روى الشيخان ـ في حديث إلقائهم القذر على رسول الله ﷺ وهو يصلي ـ أن الدعاء في ذلك البلد مكة مستجاب من أي داع ولو كان من محمد الخارج على معتقداتهم أو محمد الذي هو في اعتقادهم على غير حق.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك وصححه.

ومن ذلك الاعتقاد في أن اسم الله الأعظم متضمن في الجلجلوتية التي هي في غاية من الركاكة والرداءة، وأسماء الله تعالى فيها كلها أعجمية.

عدية يس والعتاقة

ومن هذه الأفكار الضالة الاعتقاد في عدية يس، وأنها وما يصاحبها من دعاء حتمي الإجابة، وترى العامة يخافون منها أكثر من خوفهم من دعوة المظلوم، ويتحاشون من يشتهر بقراءتها ولو كان من غير الأنقياء، وينسبون لها من الخوارق ما تنخلع منه قلوب السذج، ويا ليتهم ينسبون إليها التأثير في الظلمة والمجرمين، ولكنهم يعتقدون فيها حتمية التأثير سواء أكان قائلها تقياً أو غير تقي محقاً أو غير محق، وسواء كان المستهدف منها ظالماً أو مظلوماً. والله سبحانه يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٧]، ويقول: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [سورة النساء، الآية ١٤٨]، ويقول الرسول ﷺ لمعاذ: واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب. فما دام الإنسان لا يظلم، ولا يعتدي فيجب ألا يخاف إلا الله وألا يخشى من هؤلاء المحترفين للدعاء والتمائم وعدية يس.

ومن الأفكار السائدة كذلك الاعتقاد في حتمية العتق من النار بما يسمونه بالعتاقة وهي قراءة سورة الصمد[1] مائة ألف مرة وهبتها للميت وحرصهم على أن يكون ذلك في الأيام التالية للوفاة، مستندين في ذلك إلى حديث شديد الضعف رواه البزار، والعتق من النار أكبر وأوسع مدى وأعمق أسباباً من مجرد مائة ألف من الصمدية تشتري بدراهم معدودات.

---

(١) وهي المعروفة بسورة الإخلاص: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * . . .﴾.

الباب الثالث

في أمور تتعلق
بالذكر والدعاء معاً

الفصل الأول
في تفاضل الذكر والدعاء وتصاحبهما وانفرادهما

ورد في صحيح السنة تفضيل بعض الذكر والدعاء على بعض، وبوب البخاري أفضل الاستغفار. وروي عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ: سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت. أنت خلقتني إلخ[1]. وروى مسلم عن سمرة بن جندُب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[2]، وروي أيضاً عن أبي ذر، أن رسول الله ﷺ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده[3]، وروي عن أبي ذر أيضاً؛ قال: قال رسول الله ﷺ ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله. قال: أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده[4].

تصاحب الذكر والدعاء وانفرادهما وترادفهما

قد ينفردان، فينفرد ذكر واحد أو دعاء واحد في آية واحدة أو حديث واحد، وقد سبق لذلك أمثلة وتلحق أمثلة إن شاء الله.

---

(١) ح: ١/٢: ـ أفضل الاستغفار/ ٨٠ ـ الدعوات.

(٢) م: ١٤/٢ ـ كراهة التسمية بالأسماء القبيحة/٣٨ ـ الآداب.

(٣) م: ٢٢/٨١ ـ فضل سبحان الله وبحمده/٤٨ ـ الذكر.

(٤) المرجع السابق الحديث رقم «٨٢».

وقد يتصاحبان في نص واحد: آية أو حديث، وهذا هو الأكثر، فقلما ينفرد ذكر عن دعاء وأمثلة هذا في القرآن الكريم والسنة الشريفة أكثر من أن تحصى. فمن ذلك في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآيتان ١٢٧ و١٢٨]، ومن السنة: اللهم ربَّ السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا وربَّ كل شيء، فالقَ الحب والنوى، منزلَ التوراة والإنجيلَ والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء.. اقض عنا الدَّيْن وأغننا من الفقر(١)

ويترادف الذكر والدعاء، فيطلق كل منهما على الآخر، فقد ترجم البخاري في ٨٠ ـ كتاب الدعوات في ٥٠ ـ باب الدعاء إذا علا عقبة، وساق حديثاً فيه التكبير عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا عَلَوْنا كبرنا، فقال النبي ﷺ: أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً. وترجم أيضاً في هذا الكتاب في الباب ٣٤ ـ الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع، وساق الحديث وفيه التكبير والتهليل والحمد والثناء، فعن عبد الله بن عمر؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف ثلاث تكبيرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وحده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. كما ترجم في الكتاب نفسه في الباب رقم ٢٧ الدعاء عند الكرب للحديث المتفق عليه عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم. لا إله الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم(٢)، وهو ذكر محض.

---

(١) م: ١٧/٥٨ ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع/٤٨ ـ كتاب الذكر.
(٢) م: ٧٦/٣٩٦ ـ باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج/١٥ ـ الحج.

وكذلك كان الصحابة لا يفرقون بين الذكر والدعاء في بعض عباراتهم. فعن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: اللهم ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد[1].

كما يترادف الدعاء والصلاة، ففي الحديث المتفق عليه، أن الملائكة تصلي على الذي ينتظر الصلاة يقولون: اللهم اغفر له! اللهم ارحمه[2]!.

---

(١) م: ١٧٧/٤٠ ـ ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع/٤ ـ الصلاة.

(٢) خ و م: خ: ١/٦١ ـ الحدث في المسجد/ ٨ ـ الصلاة. وم: ٢٦١/٤٩ ـ فضل الجماعة وانتظار الصلاة/٥ ـ المساجد.

الفصل الثاني

الذكر والدعاء من حيث الإطلاق والتقييد

الذكر والدعاء المطلقان هما غير المرتبطين بوقت أو مكان أو حالة أو عبادة أخرى وغير المحددين بعدد، ومثله تلاوة القرآن الكريم ومجموعة من أذكار القرآن الكريم والسنة المطهرة.

والتقييد يكون بالوقت مثل أذكار الصباح والمساء، وعند النوم والاستيقاظ، ويكون بالمكان مثل بعض أذكار الحج وبعض الأماكن كما سيأتي في مواضعه. ويكون بحالة أو موقف مثل أذكار المرض والكسوف والخسوف ولقاء الأعداء ـ إلخ. ويكون بالتحاقه بعبادة من العبادات مثل أذكار الصلاة الداخلة فيها واللاحقة لها، ويكون بالعدد مثل التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلاة وقبل النوم.

وحين يكون هناك ندب إلى ذكر أو دعاء ولم يعين للذكر والدعاء صيغة، فيقتبس من الذكر والدعاء المطلق ما يتيسر. فهذا ذكر مطلق باعتبار ومقيد باعتبار، ومنه أذكار آخر التشهد في قول النبي ﷺ: ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه أي بعد التشهد وقبل السلام[(١)]

الذكر والدعاء من حيث الموارد

ينقسم إلى قسمين: قسم وارد في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة،

(١) خ: ١٠ ـ كتاب الأذان/ ١٥٠ ـ باب ما يتخيّر من الدعاء بعد التشهد.

وقسم غير وارد، وهذا قسمان: قسم صاغه المشايخ وصاغوا منه ومن بعض الوارد أوراداً يلتزم بها أتباعهم. وقسم يصوغه الذاكر لنفسه بحسب حاجته.

ولا جدال في أن صيغ الذكر والدعاء الواردة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة خير ـ ولا شك ـ من غير الوارد فيهما مهما كان قائله. لأن الوارد إما ورد مأموراً به أو محكيًا عنه في مجال الاستحسان عن الأنبياء والصالحين والملائكة.

درجات العناية بالذكر والدعاء

يجب توجيه أقصى العناية إلى ما في القرآن الكريم تلاوة أوذكراً أو دعاءً، ويلي ذلك ما في الأحاديث الصحيحة، ويلي ذلك ما في الأحاديث الضعيفة، ويلي ذلك بعض الأذكار والأدعية المنسوبة للمشايخ، فإن كثيراً منها لا يصح أن تتجه إليه أي عناية.

والهمة في حفظ الذكر والدعاء وترديدهما يجب أن يتبع هذا الترتيب. فإذا تشبع المؤمن بما في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ـ وهيهات أن يشبع منهما مؤمن ـ فله أن يحفظ من الأذكار والأدعية في الأحاديث الضعيفة، وذلك إلى أن يستقيم للأمة الإسلامية أمر دينها ودنياها بدون هذه الأحاديث الضعيفة اكتفاء بما في القرآن الكريم وصحيح السنة.

إن بقاء الاعتداد بالأحاديث الضعيفة أصبح أمراً غير مفهوم بصيرورة الأحاديث الصحيحة في متناول الجميع، ووفرتها وتغطيتها لجميع ما يهم المسلم بوفاء، بل أصبح مشكلة أهمها امتلاء الفكر الإسلامي، وعقل المسلم بالمتناقضات.

وإذا تعود المؤمن لذة الأنس بآيات الله وذكرها ودعائها، وذكر رسول الله ودعائه فقل أن يستسيغ بعد ذلك الأذكار والأدعية غير الواردة فيهما.

مجالس الذكر الشرعية

روى الشيخان واللفظ هنا لمسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضُلاً يتبعون مجالس الذكر. فإذا وجدوا

مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحفَّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا. فإذا تفرقوا صعَدوا إلى السماء. قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم، فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهلّلونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألونني؟ قالوا يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي ربِّ. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطَّاء إنما مر فجلس معهم قال: فيقول: وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[1].

وفي حديث لأبي هريرة: . . . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه[2]. وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما أني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله، ولا أقل حديثاً مني، وأن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا. قال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. أما أني لم استحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل، فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكته[3].

---

(١) خ وم: خ: ٦٧ ـ فضل ذكر الله عز وجل/ ٨٠ ـ الدعوات وفي م ٢٤/٨ ـ فضل مجالس الذكر/٤٨ ـ الذكر.

(٢) م: ١١/٣٧ ـ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر/٤٨ الذكر.

(٣) م: ١١/٣٩ ـ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر/٤٨ ـ الذكر.

وقال عطاء: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع، وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلق وتحج وأشياء من ذلك. وقال القرطبي: مجلس ذكر يعني مجلس علم وتذكر، وهي المجالس التي يذكر فيها كلام الله، وسنة رسوله ﷺ وأخبار السلف الصالحين.

لا يستطيع أحد أن يدعي أن حلقات الذكر المعروفة عند أهل الطرق تمت إلى مجالس الذكر السابقة لسبب.

الفصل الثالث

أوقات وأماكن وأحوال مرجو فيها قبول الذكر والدعاء

الأوقات

١ ـ جوف الليل ـ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٩]، وأفرد البخاري في صحيحه كتاباً للتهجد وصلاة الليل، ومن أحاديثه أن النبي ﷺ كان يقوم حتى تَرِم قدماه[١] وعن جابر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن في الليل ساعةً لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة[٢].

٢ ـ نصف الليل الثاني، وفيه أجابت عائشة حين سئلت عن كيف صلاة النبي ﷺ قالت: كان ينام أوله ويقوم آخره[٣].

٣ ـ وقت السحر: قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الذاريات، الآيتان ١٦ و١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٨].

٤ ـ ليلة القدر ـ وهي خير من ألف شهر. عن عائشة، قالت: قلت:

---

(١) خ: ١٩ ـ التهجد/٦ ـ قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه.

(٢) م: ٦/١٦١ ـ صلاة المسافرين/٢٤ ـ الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل/ح.

(٣) خ وم: خ: ١٥ ـ من نام أول الليل وأحيا آخره/١٩ ـ التهجد، وم: ١٧/١٢٣ ـ صلاة الليل/٦ ـ صلاة المسافرين.

يا رسول الله أرأيت إن علمت أيّ ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني[1]. وأصح ما ورد في ليلتها ما روته عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر[2].

٥ ـ العشر الأواخر من رمضان ـ عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله[3].

٦ ـ أيام الحج، وأذكاره في مواضعها فيه.

٨ ـ ليلة الجمعة ويومها، وستأتي أذكارها.

أقوام مرجو قبول ذكرهم واستجابة دعائهم

١ ـ المسلم التقي بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٧]، وفي الصحيح استجابة دعوة سعد بن أبي وقاص على من شكاه لعمر[4]، واستجابة دعوة سعيد بن زيد على من اتهمته باغتصاب أرضها[5].

٢ ـ الإمام العادل للحديث السابق

٣ ـ المظلوم للحديث السابق، ولقول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب[6].

---

(١) الترمذي: ٤٩ ـ الدعوات /٨٥ ـ باب بدون ترجمة/ح ٣٥١٣ وقال: حسن صحيح.

(٢) خ: ٣ ـ تحري ليلة القدر/٣٢ ـ ليلة القدر/ح ٢.

(٣) خ وم: خ: ٤ ـ رفع ليلة القدر/٣٢ ـ ليلة القدر، وم: ٣/٧ ـ الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان/١٤ ـ الاعتكاف.

(٤) ح: ٩٥ ـ باب وجوب القراءة على الإمام والمأموم في الصلوات/١٠ الأذان.

(٥) خ وم: ٢ ـ ما جاء في سبع أرضين/٥٩ بدء الخلق: ، وم ١٣٢/٣٠ ـ تحريم المظلم وغصب الأرض/٢٢ ـ المساقاة.

(٦) خ: ٩ ـ الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم/٤٦ المظالم.

٤ ـ المضطر لقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [سورة النمل، الآية ٦٢].

٥ ـ الوالد على ولده، لحديث دعاء أم جريج على ابنها بأن يرى وجوه المومسات[1].

٦ ـ المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، وسيأتي.

٨ ـ دعاء من بر والديه ـ لحديث أصحاب الغار الثلاثة، وقد سبق في التوسل بصالح الأعمال، ولحديث أويس القرني، وقد سبق في طلب الدعاء من المفضول.

أحوال ومواقف مرجو فيها الإجابة

١ ـ حالة السجود ـ لحديث: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء[2]. ولحديث: . . . وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقِمنٌ أن يستجاب لكم[3].

٢ ـ عند الوضوء وسيأتي.

٣ ـ عند كسوف الشمس وخسوف القمر وسيأتي.

٤ ـ عند بعض العوارض الخاصة بالإنسان مثل المرض والموت والغضب وستأتي.

٥ ـ عند بعض الظواهر الكونية مثل المطر والريح، وستأتي.

أماكن مرجو فيها الإجابة

أهمها أماكن الحج ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى ومسجد قباء وبيان ذلك سيأتي إن شاء الله.

---

(١) خ: ١/٣٥ ـ إذا هدم حائطاً فليبن مثله /٤٦ ـ المظالم.

(٢) م: ٤٢/١٨٧ ـ ما يقال في الركوع والسجود/٤ ـ الصلاة.

(٣) م: ٤١/١٨١ ـ النهي عن قراءة القرآن من الركوع والسجود/٤ ـ الصلاة.

الفصل الرابع
الابتداع في تخصيص أماكن وأوقات وكيفيات للذكر والدعاء

أ ـ الأماكن

من الأماكن المبتدعة قبور الصالحين، وقد ورد النهي عن تعظيم القبور والدعاء عندها والعناية ببنائها، وبناء المساجد عليها، ومنه:

عن عائشة، أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ، فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنَوْا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور. فأولئك شرار الخلق يوم القيامة[1]، وعنها، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. فلولا ذلك لأبرز قبره، غير أني أخشى أن يُتخذ مسجداً[2]، وعن أبي الهيَّاج الأسدي، قال: قال لي علي أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألَّا تدع تمثالاً إلا طَمَسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته[3]، وعن جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه[4].

---

(١) خ وم: خ: ٤٨ ـ هل تُنبش قبور المشركين ويُتخذ مكانها مساجد/٨ ـ الصلاة. وم: م/٣ ـ النهي عن بناء المساجد على القبور/٥ ـ المساجد.

(٢) خ وم: خ: ٦٢ ـ ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور/٢٣ ـ الجنائز، وم: ٣/١٦ ـ النهي عن بناء المساجد على القبور/٥ المساجد.

(٣) م: ٣١/١٤ ـ الأمر بتسوية القبر/١١ ـ الجنائز.

(٤) م: ٣٢ ـ النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه: ١١ ـ الجنائز.

ب ـ الأوقات

ومن الأوقات المبتدعة ليلة النصف من شعبان وأيام المولد النبوي وموالد المشايخ وليلة الإسراء.

وأوجز ما يقال في هذا الابتداع إننا ندعو إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته والسلف الصالح، فهو خير عندنا ألف مرة من البدع مهما دافع عن جواز فعلها بعض العلماء، وسيفيء الجميع إلى مثل رأينا بإذن الله، وأنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

جـ ـ الكيفيات والصيغ

الذكر بالأسماء المفردة

قد ابتدع الناس فيما ابتدعوا الذكر بالأسماء الحسنى المفردة بدون نداء وبدون أن تكون في جملة فعلية أو اسمية، وبالكيفيات التي صارت هي وما يصاحبها مما يصد غير المسلمين من الاقتراب من الإسلام بله دراسته والاهتمام به.

قال الأستاذ الجليل الشيخ محمد الغزالي ـ أمد الله في حياته ـ في كتابه (ليس من الإسلام) «الذكر كلام والكلام لكي يستفاد منه معنى معقول لا بد أن يكون جملة كاملة على الأقل. هبك أردت أن تذكر شخصاً اسمه عمر فهل يحلو لك ذكره بأن تقول: عمر. عمر؟. وهل إذا قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[1] كان تنفيذ هذا الأمر بترديد بعض النعم التي نعرفها فنقول: خبز. خبز. لحم ـ لحم؟. ومع ذلك وجد جمهور يرقص بكلمات مبتورة، ويزعم صنيعه هذا ذكراً لله.»

«إن الذكر الذي ارتضاه الله ديناً وقبله من عباده قربة أعمق أثراً وأرفع أجراً من هذه الطقوس التي اصطنعها أهل الطرق، فقطعوا بها الطريق». أ هـ.

ومن المعلوم أن الجملة إما فعلية مكونة من فعل وفاعل مثل: تبارك

---

(١) سورة فاطر، الآية ٣.

الله!، إما اسمية من مبتدأ وخبر فأكثر مثل: هو الله الخالق البارىء المصور، ومثل: ولله الأسماء الحسنى، وإما نداء مثل: يا لطيف.

وعلى هذا فالذكر بالأسماء المفردة ليس ذكراً على الإطلاق.

ذكر أهل الطرق

أجمع العلماء في كل العصور على أن الهدوء والتفرغ والسكينة من آداب الذكر والدعاء، وكان ذلك ديدن رسول الله ﷺ وصحابته والأئمة.

لكن ظهر في عصور تالية لعصر النبوة ابتداع للناس لحركات جسمية تتراوح بين الهدوء والعنف مما لا يتناسب مع الهدوء والسكينة وهي الأمور الضرورية لحضور القلب.

الأوراد والأحزاب

عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: من نام عن حزبه من الليل أو شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل[1].

دل الحديث على جواز أن يكون للإنسان قدر من الذكر والدعاء والصلاة وقراءة القرآن بالليل، وأن الإتيان به بعد ذلك يعد أداء لا قضاء. أما التوسع بمدلول هذا الحديث إلى الأحزاب والأوراد التي شغل المسلمون بها عن كتاب الله وأذكاره ودعائه والسنة المطهرة وذكرها ودعائها فمن الابتداع الذي ما أنزل الله به من سلطان. انشغل المسلمون بحفظ أوراد وأحزاب وصلوات ألفها المشايخ لأوقات اليوم ولأيام الأسبوع وللمناسبات، ومنها ورد السحر والكرب والبر والبحر تتضمن آيات من القرآن الكريم وأحاديث صحيحة وضعيفة وموضوعة وأقوالاً للمشايخ وفي كثير منها تعقيد ومبالغة واستعانة بألفاظ يدعون أنها أسماء الله بلغات أعجمية.

---

(١) م: ١٨/١٣٧ ـ باب جامع صلاة الليل/٦ ـ صلاة المسافرين.

الفصل الخامس

آداب الذكر والدعاء

يصح الذكر والدعاء وقراءة القرآن في كل الأحوال والأوضاع إلا في أحوال قليلة، ويصح كل ذلك سراً وجهراً وبين بين، وإجراء على القلب، وفي السفر والحضر، وقعوداً وقياماً وعلى الجنب، وفي كل الأماكن إلا الخلاء، وعند البيع والشراء والحوار.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنْسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾ [سورة يونس، الآية ١٢].

وعن عائشة، أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري، وأنا حائض ثم يقرأ القرآن[١] وعنها، قالت: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه[٢].

وعن عبد الله بن مغفل، قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح[٣].

فلا توجد طقوس للذكر والدعاء وتلاوة القرآن، فإن الإنسان يدعو ربه وهو في حالة الغرق لينجيه الله، ويدعو وهو في كرب أن يرفع الله عنه

(١) خ وم: خ: ٣ ـ باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض/٦ ـ الحيض. وم: ١٥/٣ ـ باب جواز غسل الحائض رأس زوجها.. الخ/٣ ـ الحيض.

(٢) م: ١١٧/٣٠ ـ باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة/٣ ـ الحيض.

(٣) خ: ٢٤ ـ باب القراة على الدابة/٦٦ ـ فضائل القرآن.

الكرب، ويستعيذ بـالله من الشيطان الـرجيم لينطفئ غضبه، ويذكـره ويدعـوه بلسانه وباستحضار عظمته.

ويحمـل كل مـا ذكره المؤلفـون من آداب الذكـر والـدعـاء على مـا إذا خصص الإنسان لنفسه وقتاً ومكاناً يعتكف فيه للذكر والدعاء وقراءة القرآن من ليل أو نهار. ولذا فآداب الذكر والدعاء أولى بأن تسمى آداب الاعتكاف. ومما ذكروه ومما أضفت ما يأتي:

١ ـ ترصُّد الأوقات والأماكن والأحوال الشريفة، وهذا مشروط بأن يتوفر للزمـان والمكان والحـال الدليـل على شرفـه من الكتاب وصحيـح السنة ممـا سبقت إليه الإشارة.

٢ ـ استقبال القبلة ورَفْع اليدين، فيما ثبت فيه أن النبي ﷺ عمله، .وقد ثبت عن عبـد الله بن زيـد: خـرج رسـول الله ﷺ إلى هـذا المصلى يستسقي واستقبـل القبلة[1]. ولمـا ثبت من استقبـال النبي ﷺ القبلة ورَفْـع يـديـه في الدعاء في رمي الجمرات[2].

٣ ـ بدء الدعاء بالتحميد والثناء على الله والصلاة على رسوله، وختمه بـالصلاة على رسـوله، وذلـك مستفاد من أدعيـة القرآن الكـريم التي يسبقهـا ويتخللها الثناء على الله تعالى ومن الحديث عن فضالة بن عبيد، قال: سمـع رسـول الله ﷺ رجلاً يـدعو في صـلاته فلم يصـل عليه، فقـال النبي: عَجِـل هـذا، ثم دعاه فقـال له ولغيـره: إذا صلى أحدكم فليبـدأ بتحميـد الله والثنـاء عليه، ثم ليصلِّ على النبي، ثم يدعو بما شاء[3].

٤ ـ تجنُّب الحرام مأكلاً وملبساً وتصرفاً. فعن أبي هريرة، قال ﷺ: أيهـا الناس إن الله طيب لا يقبـل إلا طيباً، وإن الله أمـر المؤمنين بمـا أمـر بـه المرسلين، فقال: ﴿يَأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلـطَّيِّبَاتِ وَٱعْمَلُوا صَـالِحاً﴾ [سـورة

(١) خ: ١٩ ـ الاستسقاء في المصلى/١٥ ـ الاستسقاء.
(٢) خ: ١٤٠ ـ إذا رمى الجمرتين يقوم فيسهل مستقبل القبلة/٢٥ ـ الحج.
(٣) من كتاب الدعاء للدكتور السيد طنطاوي: رواه أصحاب السنن بسند صحيح.

المؤمنون، الآية ٥١]، وقال: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يقول يا رب يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، فأنى يستجاب لذلك[1]؟.

٥ ـ **خفض الصوت بين المخافتة والجهر**، لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٥]، وعن عائشة في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [سورة الإسراء، الآية ١١٠]، قالت: نزل هذا في الدعاء[2].

٦ ـ التوسل بما سبق في التوسل المشروع من إيمان وعمل صالح.

٧ ـ **استحضار الرغبة والرهبة**: لقوله تعالى على لسان زكريا وزوجه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ، وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٩٠]، ولقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٦]، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه[3].

٨ ـ **الذكر والدعاء عند النشاط**: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدْرِ ما يقول فليضطجع[4]. وعن أنس، قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي: لا. حُلُّوه ليصلِّ أحدكم نشاطه. فإذا فتر فليقعد[5].

---

(١) م: ٦٦/١٩ ـ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب/١٤ ـ الزكاة.

(٢) م: ١٢٢/٣١ ـ التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية/٤ ـ الصلاة.

(٣) خ وم: خ: ٣٦ ـ من جلس في المجلس ينتظر الصلاة/١٠ ـ الأذان وم: ٩٥/٣٠ ـ فضل إخفاء الصدقة/١٢ ـ الزكاة.

(٤) م: ٣١ ـ من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن والذكر/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٥) خ وم: خ: ١٨ ـ ما يكره من التشديد في العبارة/١٩ ـ التهجد، وم: ٢١٣/٣١ ـ من نعس في صلاته الخ/٦ صلاة المسافرين.

٩ ـ الاقتصاد في العبادة والمداومة: يحسن أن يكون الورد مما يطيق الإنسان حيث تتيسر المداومة عليه، فعن عائشة، أنها قالت: كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يُحجِّره من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته، ويبسطه بالنهار، فثابوا ذات ليلة، فقال: يأيها الناس عليكم بما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملوا، وإن أحب الأعمال ما دووم عليه وإن قل، وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه[١].

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: أدومه وإن قل[٢].

وهذا قليل من كثير، ويمكن الرجوع إلى الكتب والأبواب من الصحيحين المذكورة في الذيل.

١٠ ـ أن يجزم بالطلب، ويوقن بالإجابة، ولا يستعجل، ولا يستكثر على الله شيئاً، فعن أبي هريرة عنه ﷺ، قال: لا يقولن أحدكم: اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له[٣]. وعنه، قال: قال ﷺ: يستجاب لأحدكم ما لم يَعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لي[٤]. وعن عبادة بن الصامت قال ﷺ: ما من مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه إياها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم: إذن نكثر. قال: الله أكثر[٥]. ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين من رواية أبي سعيد الخدري[٦].

١١ ـ الإلحاح في الدعاء وتكريره ثلاثاً إن لم يصطحب الدعاء بعدد

---

(١) م: ٢٠٩/٢٩ ـ استحباب النافلة في بيته/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٢) م: ٢١٠/٣٠ ـ فضيلة العمل الدائم/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٣) خ وم: خ: ٢١ ـ ليعزم المسألة/٨٠ ـ الدعوات، وم: ٣/٦ ـ العزم بالدعاء/٤٨ ـ الذكر.

(٤) خ وم: خ: ٢٢ ـ يستجاب لأحدكم ما لم يعجل/٨٠ ـ الدعوات، وم: ٢/٨٧ ـ يستجاب للداعي ما لم يعجل/٤٨ ـ الذكر.

(٥) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح كذا قال في الأذكار للنووي.

(٦) المرجع السابق.

معين فإن رسول الله ﷺ ألح في الدعاء يوم بدر، فقال: اللهم أنشدك وعدك. اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله! فقد ألححت على ربك وهو في الدرع (١).

١٢ ـ التوبة ورد المظالم والبعد عن الرياء، وهذه مطالب عامة من المسلم.

١٣ ـ عدم الاعتداء في الدعاء. ومنه أن يدعو على نفسه، وعلى أهله وعلى ماله، ومنه أن يدعو بإثم أو قطيعة رحم أو يدعو على بريء أو يدعو بناء على سوء الظن. عن جابر من حديثه الطويل وقصة أبي اليسر: لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقون ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجاب لكم (٢). وقد سلف عن الاستعجال والدعاء بإثم.

١٤ ـ الحرص على جوامع الكلم، وعدم تكلف السجع في الدعاء، وقد سبق لهذا حديث لابن عباس.

---

(١) خ: ١/٨٩ ـ ما قيل في درع النبي/٥٦ ـ الجهاد.

(٢) م: ١٨/٧١ ـ حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر/٥٣ ـ الزهد والرقائق.

الباب الرابع

القرآن الكريم

الفصل الأول

فضل القرآن الكريم وتلاوته وتعلمه

إن قراءة القرآن الكريم من أفضل الأذكار تلفظاً بـه تلاوة وإجـراء على القلب، ومن أقوى ما يبعث على التفكر فوق ما فيه من أذكار ودعوات.

وننبـه بادئ ذي بـدء على أن القرآن الكـريم كتـاب هـدايـة لا يستغني المسلمون بتلاوته عن هدايته، فكم من قارئ للقرآن يلعنه، وكم من قـارئ للقـرآن لا يبلغ تراقيـه يخرج من الـدين كما يمـرق السهم من الرميـة[1]. عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: . . . وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به[2]. وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ، قال: المؤمن الذي يقرأ القـرآن مثل الأتـرجَّة ريحهـا طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الـذي لا يقرأ القـرآن، مثل التمـرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القـرآن مثل الـريحانـة ريحها طيب وطعمهـا مر، ومثـل المنافق الـذي لا يقرأ القـرآن مثـل الحنـظلة لا ريـح لهـا وطعمها مر[3]. وعن أبي هريرة، قال ﷺ: لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القـرآن فهو يتلوه آنـاء الليل وآنـاء النهار، فسمعـه جار لـه، فقـال: ليتني

---

(١) خ وم: خ: ٧ ـ من تـرك قتال الخـوارج للتألف/٨٨ ـ استتـابة المـرتدين. و م: ٤٩/١٦٣ ـ الخوارج شر الخلق/١٢ ـ الزكاة.

(٢) م: ٣٧/٤ ـ فضائل علي /٤٤ ـ فضائل الصحابة.

(٣) خ وم: خ: ٣٠ ـ ذكـر الـطعـام/٧٠ ـ الأطعمـة و م: ٣٧/٢٣٦ ـ فضيلة حـافظ القـرآن/٦ ـ صلاة المسافرين.

أوتيت مثـل ما أوتي فـلان، فعملت مثل مـا يعمل، ورجـل آتاه الله مـالاً فهـو يُهلكـه في الحق، فقـال رجـل: ليتني أوتيت مثـل فـلان، فعملت مثـل مـا يعمـل[1]. وعن عثمـان بن عفـان؛ قـال ﷺ: خيـركم من تعلم القـرآن وعلّمه[2]. وعن عائشة عن النبي ﷺ، قال: مثل الذي يقرأ القرآن وهـو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران[3].

وعن عقبة بن عامر، قال: خرج علينا رسـول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقـال: أيحب أحدكم أن يغـدو إلى بطحـان أو إلى العقيق فيأتي منـه بنـاقتين كَـوْماوين في غيـر إثم أو قطيعـة رحم؟ فقلنا: يـا رسول الله كلنـا يحب ذلك. قـال: أفلا يغـدو أحدكم إلى المسجـد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتـاب الله عـز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير له من أربـع، ومن أعدادهن من الإبل[4]. وعن عامر بن واثلة، أن نافع بن الحـارث لقي عمر بن الخطاب بعُسفان، وكـان عمر يستعمله على مكـة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبْزي. قال: ومَنْ ابن أبزي؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليه مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بـالفرائض ـ قـال عمر: أمـا إن نبيكم قال: إن الله يـرفع بهـذا الكتاب أقـواماً ويضع آخرين[5].

ما جاء في فضل بعض السور وبعض الآيات

قال القرطبي[6]: لا التفات لما وضعـه الواضعـون واختلقه المختلقـون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن الكريم وغير ذلك

(١) خ: ٣٠ ـ اغتباط صاحب القرآن/٦٦ ـ فضائل القرآن.

(٢) خ: ٢١ ـ خيركم من تعلم القرآن وعلمه/٦٦ ـ فضائل القرآن.

(٣) خ و م: خ: ٨٠ ـ سورة عبس/٦٥ ـ التفسير و م: ٣٨/٢٣٧ ـ فضيلة الماهر بـالقرآن والـذي يتعتع فيه/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٤) م: ٤١/٢٤٤ ـ فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٥) م: ٤٧/٢٦٤ ـ فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٦) خ: ١ ـ ما جاء في فاتحة الكتاب/٦٥ ـ التفسير.

من فضائل الأعمال أ هـ. وخص بالذكر من الأحاديث الموضوعة حديثاً يـروى عن أبي بن كعب في فضل سور القرآن سورة سورة.

وقال النووي في الأذكار: ومن البدع المنكرة ما يفعله كثيرون من جهلة المصلين بالناس التراويح من قراءة سورة الأنعـام بكمالهـا في الركعـة الأخيرة منها في الليلة السابعة، وذكر لهـا من المنكرات عـدداً، ولم يصح عن رسـول الله ما يدل على أن قراءة سورة بذاتها أو آية بذاتها مطلوبة لغرض بذاته سـوى ما سيذكر في مواضعه إن شاء الله.

وفي ٦٦ ـ كتـاب فضائـل القـرآن من البخـاري وفي ٦ ـ كتـاب صـلاة المسافرين من مسلم ذكر لبعض الآيات والسور، ومنها:

١ ـ سـورة الفـاتحـة: قـال رسـول الله ﷺ لأبي سعيـد بن المُعلَّى: ألا أعلمـك أعظم سـورة في القرآن قبـل أن تخرج من المسجـد؟ الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته[١].

٢ ـ سورتا البقرة وآل عمران: عن أبي أمـامـة البـاهلي، قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرءوا الزهراوين: البقـرة وآل عمران فـإنهما يـأتيان يـوم القيامـة كأنهمـا غمامتـان أو غيايتان أو كأنهما فِرقان من طير صوافّ يحاجّان عن صـاحبهما. اقرءوا البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستـطيعها البـطلة[٢]. وعن أبي هريـرة أن رسول الله ﷺ قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفـر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة[٣].

٣ ـ أواخر سورة البقرة: عن أبي مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه[٤].

(١) خ: ١/١ ـ ما جاء في فاتحة الكتاب/ ٦٥ ـ التفسير.
(٢) م: ٤٢/٢٤٥ ـ فضل قراءة القرآن وسورة البقرة/٦ ـ صلاة المسافرين.
(٣) م: ٢٩/٢٠٦ ـ استحباب صلاة النافلة في بيته/٦ ـ صلاة المسافرين.
(٤) خ وم: خ:. ١٢ ـ حدثني خليفة/٦٤ ـ المغـازي ، وم: ٤٣/٢٤٨ ـ فضل الفـاتحة وخـواتم سورة البقرة/٦ ـ صلاة المسافرين.

٤ ـ الكهف: عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: من حفظ عشر آيات من أول الكهف عصم من الدجال[١]. وفي رواية من الحديث من آخر الكهف، وعن النواس بن سمعان، قال ﷺ: من أدركه منكم (أي الدجال) فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[٢].

٥ ـ الفتح: عن أسلم أن رسول الله ﷺ قال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس[٣]. ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [سورة الفتح، الآية ١٢].

٦ ـ ق: عن أم هشام بنت حارثة، قالت: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ق إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم على المنبر إذا خطب الناس[٤].

٧ ـ ألم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان: عن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر، وأن النبي كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين[٥].

٨ ـ الجمعة والمنافقون: الحديث السابق، وعن أبي رافع، قال: استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج إلى مكة، فصلى لنا أبو هريرة فقرأ بعد سورة الجمعة في الركعة الآخرة إذا جاءك المنافقون. قال: فأدركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له: إنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة، فقال أبو هريرة: إني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما يوم الجمعة[٦].

---

(١) م: ٢٥٠/٤ ـ فضل سورة الكهف وآية الكرسي/٦ ـ صلاة المسافرين.
(٢) م: ١٠٣/٢٠ ـ ذكر الدجال وصفته/٥٣ ـ الفتن.
(٣) خ: ١٢ ـ فضل سورة الفتح/٦٦ ـ فضائل القرآن.
(٤) م: ٥٤/١٣ ـ تخفيف الصلاة والخطبة/٧ ـ الجمعة.
(٥) م: ٦٥/١٧ ـ ما يقرأ في يوم الجمعة/٧ ـ الجمعة.
(٦) م: ٦٢/١٦ ـ ما يقرأ في صلاة الجمعة/٧ ـ الجمعة.

٩ ـ الإخلاص: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال ﷺ: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في كل ليلة؟ فشق عليهم ذلك، فقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن(١). وعن أبي هريرة، قال رسول الله: احشدوا، فإني أقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، ثم قرأ قل هو الله أحد، ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاء من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله، فقال: إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن. ألا وإنها تعدل ثلث القرآن(٢).

١٠ ـ المعوِّذات: عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات وينفِث. فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها(٣). وعن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: ألم تر إلى آيات أُنزلت هذه الليلة لم يُرَ مثلُهن قط: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس(٤).

(١) خ: ١٣ ـ فضل قل هو الله أحد/٩٦ ـ فضائل القرآن.

(٢) م: ٢٥٥/٤٥ ـ فضل قل هو الله أحد/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٣) خ وم: خ: ١٤ ـ فضل المعوذات/٦٦ ـ فضائل القرآن، وم: ٣٩ ـ رقية المريض بالمعوذات/٣٩ ـ كتاب السلام/ح ٤٨.

(٤) م: ٤٦ ـ فضل قراءة المعوذتين/٦ ـ صلاة المسافرين ح ٢٥٨.

الفصل الثاني

كيفية التلاوة وآدابها

١ ـ الطهارة
٢ ـ الترتيل.
٣ ـ تحسين الصوت بالتلاوة.
٤ ـ تعاهد القرآن.
٥ ـ تدبر المعاني.

الطهارة

والمقصود بها هنا الخلو من الحدث الأكبر وهو الجنابة والحيض والنفاس، لكن المذاهب الأربعة أباحت القدر اليسير للتحصن أو للذكر مثل البسملة عند ابتداء أمر ذي بال مثل الطعام، ومثل ذكر الركوب: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف، الآية ١٤].

الترتيل

هو التأني والتمهل وتليين الحروف والحركات وتبيينها تشبيهاً بالثغر المرتل الشبيه بنَوْر الأقحوان. وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [سورة المزمل، الآية ٤]، وقال تعالى: ﴿. . . كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [سورة الفرقان، الآية ٣٢]، وكان رسول الله ﷺ يمد في القراءة، فقد سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ قال: كانت مَدًّا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم

يمـد ببسم الله، ويمد بـالرحمن الـرحيم[1]. وعن حفصـة، قـالت: مـا رأيت رسول الله ﷺ صلى في سُبحته قاعداً حتى كان قبل وفـاته بعـام، فكان يصلي في سُبحتـه قاعـداً وكان يقـرأ بالسـورة فيرتلهـا حتى تكـون أطـول من أطـول منهـا[2]. وعن أبي وائل، قـال: جـاء رجـل إلى ابن مسعـود، فقـال: قـرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذًّا كهذ الشعر. لقد عرفت النظائر التي كان النبي يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في كل ركعة[3]. وعن حذيفة بن اليمان، قال: صليت مـع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتـح البقرة، فقلت: يـركع عنـد المائـة، ثم مضى، فقلت يـركـع بهـا، ثم افتتـح النسـاء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ... الخ الحديث[4].

تحسين الصوت بقراءة القرآن

ذكر القرطبي عن قيس بن عبَّاد؛ أنه قـال: كان أصحـاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت بالذكر، وممن روي عنه كـراهة رفـع الصوت عنـد قراءة القـرآن سعيد بن المسيَّب وسعيـد بن جبير والقـاسم بن محمـد والحسن وابن سيرين ومالك وأحمد بن حنبل وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتـطريب بـه لقول رسـول الله ﷺ: ليس منا من لم يتغن بـالقـرآن[5]. وممن ذهب إلى هذا أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك، وقال القرطبي: والأول أصح أ هـ.

وقد فسر حسن الصوت بالجهر بالقرآن فيما روى أبو هريـرة، أنه سمـع النبي ﷺ يقـول: ما أذن الله لشيء مـا أذن لنبي حسن الصوت بـالقرآن يجهـر

---

(١) خ: ٢٩ ـ باب مد القراءة/٦٦ ـ فضائل القرآن.
(٢) م: ١٦ ـ جواز النافلة قائماً وقاعداً ٦/١ ـ صلاة المسافرين ح ١١٢.
(٣) خ و م: خ: ١٠٦ ـ بـاب الجمـع بين السـورتين في الـركعـة/١٠ ـ الأذان، وم: ٢٧٣/٤٩ ـ ترتيل القرآن واجتناب الهذ.
(٤) م: ٢٧ ـ استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل/ح ١٩٧.
(٥) خ: ٤٤ ـ قوله الله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ /٩٧ ـ التوحيد.

به[1]. وقد فسر سفيان بن عيينة التغني بالاستغناء في رواية من الحديث عن أبي هريرة، قال: ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن. قال سفيان: تفسيره يستغني به[2].

قلت: وهذا التفسير بعيد ومتكلف، وأرجح أن يكون تحسين الصوت بقراءة القرآن جائزاً لما سبق، ولحديث أبي موسى الأشعري المتفق عليه - عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود[3].

على أن تحسين الصوت بالقرآن أمر مخالف تماماً لما يحدث من بعض القراء من التطريب وزيادة الغن والمد عن الحدود، وإشباع الحركات حتى تصير مداً وما المصحف المرتل إلا مثال طيب للتطبيق العملي لتحسين الصوت بالقراءة.

سماع القرآن

قد يكون سماع القرآن أعون على التفكير السريع في معانيه، وقد تكون قراءته أعون على التفكير المطمئن، إذ يقف القارئ حينما يريد أن يطيل النظر والتفكير فيما يقرأ وكلاهما وردت به السنة. فعن عبد الله بن مسعود، قال: قال النبي ﷺ اقرأ عليَّ، فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، فقرأت «النساء» حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ قال:

---

(1) خ و م: ١٩ - من لم يتغن بالقرآن وقول الله تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ /٦٦ - فضائل القرآن، و م: ٣٤ - استحباب تحسين الصوت بالقرآن/٦ - صلاة المسافرين/ح ٢٢٨٥.

(2) خ و م: خ: ١٩ - من لم يتغن بالقرآن/٦٦ - فضائل القرآن و م: ٣٤ - استحباب تحسين الصوت بالقرآن/٢٢٦.

(3) خ و م: خ: ٣١ - تحسين الصوت بالقراءة/٦٦ - فضائل القرآن و م: ٣٤ - استحباب تحسين الصوت بالقرآن/٦ - صلاة المسافرين ج ٢٣٠.

حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[1]. وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لأبي: إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا. قال: وسمّاني؟ قال: نعم فبكى[2] وقد سبق حديث استماع النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري.

تعاهد القرآن

عن ابن عمر، قال ﷺ: إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت[3]. وعن أبي موسى عن النبي ﷺ، قال: تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصِّياً من الإبل في عقلها[4].

قال النووي: ويكره أن يقول: نسيت آية كذا أو سورة كذا[5]. وعن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال النبي ﷺ: بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت! بل هو نُسِّيَ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم[6]. وعن عائشة، قالت: سمع النبي ﷺ قارئاً يقرأ من الليل في المسجد، فقال: يرحمه الله! لقد أذكرني آية كذا وكذا أسقطتها من سورة كذا وكذا[7].

---

(١) خ وم: خ: ٥٥ ـ البكاء عند قراءة القرآن/٦٦ ـ فضائل القرآن، وم: ٤٠ ـ فضل استماع القرآن الكريم/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٢) خ وم: خ: ح ١٦/٢٤٠ ـ مناقب أبي بن كعب/٦٣ ـ مناقب الانصار، وم: ٣٩ ـ استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل/٦ ـ صلاة المسافرين/ح ٢٣٩.

(٣) خ وم: خ: ٢٣ ـ استذكار القرآن وتعاهده/٦٦ ـ فضائل القرآن وم: ٣٣ ـ الأمر بتعاهد القرآن/٦ ـ صلاة المسافرين ح ٢٢٠.

(٤) المرجع السابق ح ٢٢٥.

(٥) الأذكار ص ٥١.

(٦) خ وم: خ: ٢٣ ـ باب استذكار القرآن/٦٦ ـ فضائل القرآن وم: ٣٣/٢٢٤ ـ باب الأمر بتعهد القرآن/٦ ـ صلاة المسافرين.

(٧) خ وم: خ: ٢٧ ـ من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة/٦٦ ـ فضائل القرآن، وم: ٣٣ ـ الأمر بتعاهد القرآن/٦ ـ صلاة المسافرين ح ٢١٨.

القراءة في المصحف

قال النووي: قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة من حفظه - هكذا قاله أصحابنا وهو مشهور عن السلف، وهذا ليس على إطلاقه، بل إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكير وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل، وإن استويا فمن المصحف أفضل، وهذا مراد السلف[1].

قلت: إذا استوت القراءتان في تصحيح الحروف، فالأفضل الأجود منهما.

ختم القرآن الكريم

أسهب النووي في هذا وأغرب، وركب كل أدهم وأشهب أو نسب إليه مما أبان الطابع العام لعصره (القرآن التاسع الهجري) مما يدخل - مع أسباب كثيرة - في إيجاب وضع التراث موضع الغربلة والتنقية للإبقاء على الصالح منه لحياتنا، وإيداع غيره في متحف الفكر الإسلامي. قال النووي: وكان كثيرون يختمون في كل يوم وليلة ختمة، وختم جماعة القرآن في كل يوم وليلة ختمتين، وآخرون كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وختم بعضهم في اليوم والليلة ثماني ختمات أربعاً في الليل وأربعاً في النهار، وساق بإسناد أن أحد التابعين كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر، ويختمه أيضاً فيما بين المغرب والعشاء، ويختمه في رمضان فيما بين المغرب والعشاء ختمتين، وأن مجاهداً كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء، وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون، فمنهم.. ومنهم - أ هـ.

واحتياج هذا الكلام للتعقيب اتهام لذكاء القارئ، وذلك لعمري هو حياة المسلمين في تلك العصور: ثم إن كل ما حكاه النووي أو دس عليه فوق استحالته مخالفة صريحة للسنة، وما المصحف المرتل وما يحتاجه ختم القرآن بترتيله على أفهامنا ببعيد.

---

(١) ص ٥٠ من الأذكار.

وعجبي للنووي إذ يقول ذلك ويروي في الوقت نفسه في سياق كلامه هذا بأسانيد صحيحة على حد تعبيره في سنن أبي داود والترمذي والنسائي عن رسول الله ﷺ وقوله: لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث، ويروى عن مسلم في شرحه له ما رواه البخاري أيضاً من أحاديث عبد الله بن عمرو بن العاص في أكثر من باب في مسلم وأكثر من باب في البخاري، فعن ختم القرآن قال له رسول الله: واقرأ القرآن في شهر. قال: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: فاقرأه في كل عشر. قال: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقاً... إلخ[1]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ، قال: صم من الشهر ثلاثة أيام. قال: إني أطيق أكثر من ذلك، فما زال حتى قال: صم يوماً وأفطر يوماً، فقال: اقرأ القرآن في كل شهر قال: إني أطيق أكثر، فما زال حتى قال: في ثلاث[2].

قال البخاري عن مدة قراءة القرآن: وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس، وأكثرهم على سبع[3]. فهذا هو السنة وهذا هو المستطاع، ولو كانت قراءة ثلث القرآن مما لا يشق على الصحابة لما قالوا للرسول ﷺ حين قال لهم: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة: أينا يطيق ذلك[4]؟.

وعن عائشة، قالت: ولا أعلم نبي الله قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان[5].

ثم تكلم النووي عن وقت لابتداء الختمة، ووقت لانتهائها، ثم تكلم

---

(١) خ وم: خ: ٣٤ ـ في كم يقرأ القرآن/٦٦ ـ فضائل القرآن، وم: ٣٥ ـ النهي عن صوم الدهر/١٣ ـ الصيام ح ١٨٩.

(٢) خ: ٥٨ ـ صوم يوم وإفطار يوم/ ٣٠ الصيام.

(٣) هذا القول تعليق بعد الحديث الثاني من الباب رقم ٣٤ ـ في كم تقرأ القرآن/٦٦ ـ فضائل القرآن.

(٤) سبق الحديث في فضائل قل هو الله أحد.

(٥) م: ١٨ ـ جامع صلاة الليل/٦ ـ صلاة المسافرين ح ١٣٣.

عن آداب للختم، ثم ساق كلاماً عن الأيام المختارة للقراءة ثم استحب دعاء للختم، وكل ذلك لم يصح فيه شيء عن الرسول ﷺ، وهو أخشانا لله وأعلمنا بالله وهو الذي كان يقوم الليل حتى ترِم قدماه، فلا عبرة بقول النووي إن صح عنه هذا، فقد كان يصدر عن الروح السائدة في عصره، ويعيش حياة المسلمين في ذلك العصر تلك الحياة المليئة بطيران الأولياء في الهواء حتى إزدحمت بهم السماء ازدحامها بأقمار الفضاء، المفعمة بمشيهم على الماء بلا قلوع ولا هواء، وقراءة للقرآن في ركوع، وحج بلا انتقال وأنا أعد هذا مما دسه النساخ على النووي وهو منه بريء لشدة تمسكه بالسنة ومهاجمته للبدعة.

الفصل الثالث

الذكر والدعاء من القرآن الكريم

يأتي الذكر والدعاء من القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ترتيلاً وتدبراً، وقد سبق ما يتعلق بذلك.

الوجه الثاني: أن يقتبس الذكر والدعاء بنصه من القرآن الكريم، فلا يغير الإنسان من كلماته شيئاً أو يغير كلمة بكلمة مثل: رب بدل: اللهم أو العكس. فمن الدعاء بالنص: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ... إلخ﴾ [سورة الحشر، الآية ١٠]، ومن الذكر بالنص: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الحشر، الآيتان ٢٣ و ٢٤]، ومثال التغيير بكلمة: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار[١].

الوجه الثالث: الذكر والدعاء المؤولان من النصوص القرآنية. ومنه: عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن[٢]. في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾[٣]، وعن أبي هريرة قال:

(١) خ: ٥٥ ـ قول النبي: ربنا آتنا في الدنيا حسنة/ ٨٠ ـ الدعوات.

(٢) متفق عليه: خ: ١٣٩ ـ باب التسبيح والدعاء في السجود من ١٠ ـ كتاب الأذان وم: ٤٢ ـ باب ما يقال في الركوع والسجود من ٤ ـ كتاب الصلاة ح ١٨٩.

(٣) سورة النصر، الآية ٣.

قال رسول الله ﷺ: من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه[1]. فهذا تأويل لما جاء في الآية رقم ١٦ من الروم: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾، وعن عائشة قالت: كان نبي الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح الصلاة: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)[2]، وفي الحديث إشارة إلى الآية رقم ٢١٣ من البقرة، وفيها: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾، ويدخل هذا النوع في باب الاقتباس والتضمين في البلاغة، وهو موضوع واسع ذو احتمالات طيبة في إذاعة الجملة القرآنية في كلام الناس وكتاباتهم، وهو موضوع كتاب نسأل الله تعالى فيه العون.

---

(١) م: ١٠ ـ باب فضل التهليل والتسبيح من ٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٢٨.

(٢) م: ٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه من ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين ح ١٩٥.

الباب الخامس

الذكر والدعاء
من حيث الافراد والتعدد

الفصل الأول

الذكر والدعاء المفرد

الحمد لله

إن الباري سبحانه وتعالى هو وليُّ النعم جميعاً، وهو المستحق لجميع المحامد قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل، الآية ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٤]، وفي الحديث: (. . . لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)(١).

وجاء في القرآن الكريم الأمر بحمد الله، وببعض صيغ الحمد، وجاءت حكايته عن الأنبياء والصالحين، وعن المؤمنين في الجنة.

وجاء كل ذلك مقروناً بالنعم المحمود عليها أو غير مقرون. فمن الأول قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [سورة فاطر، الآية ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّانَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٢٨]، وفي الحديث عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ أُتي ليلة أسري به بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال له جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غَوَتْ أمتك(٢).

ومن غير المقرون قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰ﴾ [سورة النمل، الآية ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) م: ٤٢/١٩٤ ـ ما يقال في الركوع والسجود/٤ ـ الصلاة.

(٢) خ وم: خ: ٢٤/١ ـ قول الله تعالى: ﴿وهل آتاك حديث موسى﴾/٦٠ ـ الأنبياء، وم: ٧٣/٢٥٨ ـ من ذكر المسيح بن مريم ـ المسيح الدجال/١ ـ الإيمان.

﴿ٱلَّـذِي لَمْ يَتَّخِـذْ وَلَـداً وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ شَـرِيـكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾ [سـورة الإسـراء، الآية ١١١]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُـونَهَا﴾ [سـورة النحل، الآية ٩٣]، ومن الحـديث عن أبي مالـك الأشعري، قـال ﷺ: الطُّهـور شـطر الإيمان والحمـد لله تملأ الميزان(١)، ومن حديث جابـر عن تمتـع أهـل الجنة: . . يُلْهَمُون التسبيح والتحميد كما يُلهمون النفس(٢)،

تقييد الحمد

استحقـاق الباري سبحـانه لكـل حمد وثنـاء مطلق من كـل قيـد زمـاني أو مكاني أو حالي. لكن التعبير عنه قد يقيد بمناسبات وأحوال منها:

١ ـ البدء بالحمد لله بين يدي سائر الأمور المهمة مستحب، قـال الإمام النـووي: يستحب البداءة بـالحمد لله لكـل مصنف ودارس ومدرس وخـطيب وخاطب، وبين يدي سائر الأمور المهمة(٣).

٢ ـ بدء خطبة الجمعة، وكل الخطب، فعنـد الشافعيـة والحنابلة حمـد الله تعالى ركن في الخطبة، وعند الحنفية: الخطبة لها ركن واحـد هو مـطلق الذكر، فحمـد الله تعالى يسـد هذا الـركن. وعن جابـر، قال: كـانت خطبـة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله(٤).

ختم الـدعـاء لقـولـه تعـالى: ﴿وَآخِـرُ دَعْـوَاهُمْ أَنِ ٱلْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [سورة يونس، الآية ١٠].

٤ ـ حمـد الله تعالى عنـد طروء نعمـة أو خلاص من شـر. فمن القرآن الكريم: قول الله تعـالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّـذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٩]، وقـوله تعـالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّـذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحُزْنَ﴾ [سورة فاطـر، الآية ٣٤]، وقـوله تعـالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّـذِي هَدَانَـا

---

(١) رواه الدارمي.
(٢) م: ٥١: الجنة/٧ ـ باب صفات الجنة وأهلها ح ١٨.
(٣) الأذكار ص ٥٢.
(٤) م: ١٣ ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة/٧ ـ كتاب الجمعة ح ٤٧.

﴿لِهَٰذَا﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤٣]، ومن السنة الشريفة قول جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة حين شرب رسول الله اللبن، وقد سبق قريباً. وقول عمر لما طُعن: الحمد لله الذي لم يجعل مِيتتي بيد رجل يدَّعي الإسلام[1]، وعن أنس، قال: كان غلام يهودي خدم النبي ﷺ، فأتاه النبي ﷺ، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلِمْ، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقده من النار[2].

٥ - حمد الله تعالى للمسؤول عن حاله وحال محبوبه. فعن عبد الله بن عباس؛ أن علياً خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً[3].

٦ - في ختام الصلاة ثلاثاً وثلاثين مع التكبير والتسبيح، وسيأتي في موضعه إن شاء الله.

٧ - مع التسبيح والتكبير في الإهلال بالحج[4].

٨ - بعد الفراغ من الطعام وصيغه في أذكار الطعام الآتية إن شاء الله.

٩ - في أذكار الصباح والمساء، وستأتي إن شاء الله.

صيغ الحمد وفضائله

فوق ما سبق في الحمد وتقييده، قد جاء في الحديث الشريف صيغ أخرى، ومنها:

١ - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: كلمتان خفيفتان على

---

(١) خ: ٨ - باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان.

(٢) خ: ٨٠ - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟/٢٣ - كتاب الجنائز.

(٣) خ: ٨٣ - باب مرض النبي ووفاته/٦٤ - كتاب المغازي.

(٤) خ: ٢٧ - باب التحميد والتسبيح قبل الإهلال بالحج/٢٥ - كتاب الحج.

اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم[1].

٢ ـ عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى؟ إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده[2].

٣ ـ وعنه سئل رسول الله ﷺ: أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لرسله ولملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده[3].

٤ ـ عن سُمرة بن جُندب، قال: قال ﷺ: أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت. . . إلخ[4]. وفيها الحمد لله.

٥ ـ الحمد من مزحزحات المؤمن عن النار، فعن عائشة تقول: إن رسول الله ﷺ قال: خُلِق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلثمائة مفصل. فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبّح الله واستغفر الله و. . . فإنه يمشي وقد زحزح نفسه من النار[5].

٦ ـ عن أبي ذر، قال قال ﷺ: في كل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة[6].

التسبيح

وهو تنزيه الله تعالى عما لا يليق بكماله. وفي القرآن الكريم والسنة الصحيحة جاء الأمر بالتسبيح وحكايته وحكاية صيغه عن الأنبياء والصالحين والملائكة، والمخلوقات غير العاقلة، وجاء تنزيه الباري نفسَه وجاء كل ذلك

---

(١) خ وم: خ: ٦٥ ـ فضل التسبيح/٨٠ ـ كتاب الدعوات، وم: ١٠ ـ فضل التهليل والتسبيح والدعاء/٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٣٠.

(٢) م: ٢٢ ـ فضل سبحان الله وبحمده/٤٨ ـ الذكر ح ٨٢.

(٣) المرجع السابق ح ٨١.

(٤) م: ٢/١٤ ـ باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة. . الخ/٣٨ الأذان.

(٥) م: ١٦ ـ باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف/١٢ ـ الزكاة.

(٦) المرجع السابق.

مقروناً بما ينزه الباري عنه وغير مقرون، وجاء مقروناً بما يُتعجب منه وغير مقرون، وأمثلة ذلك:

١ ـ الأمر به من الله تعالى بقوله: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٤٢].

٢ ـ الحكاية عن الملائكة: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٠].

٣ ـ الحكاية عن تسبيح أهل الجنة في الحديث: ... يُلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس[1].

٤ ـ الحكاية عن الأنبياء فعن موسى قوله تعالى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ [سورة طه، الآية ٣٣].

٥ ـ الحكاية عن تسبيح جميع الأشياء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٧٩]، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح[2]؟.

٦ ـ الحكاية عن المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾ [سورة الإسراء، الآية ١٠٨].

٧ ـ من تنزيه الباري نفسه قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى﴾ [سورة الإسراء، الآية ١].

---

(١) م: ٧ ـ باب صفات الجنة وأهلها/٥١ ـ كتاب الجنة/ م: ١٨.

(٢) خ وم: خ: ١٥٣ ـ باب (غير مترجم)/٥٦ ـ كتاب الجهاد، وم: ٢ ـ باب النهي عن قتل النمل/٣٩ ـ كتاب السلام ح ١٤٨.

ومن أمثلة التسبيح المقرون بما ينزه عنه الباري نفسه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الطور، الآية ٤٣].

ومن التنزيه غير المقرون بما ينزه الباري عنه قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة طه، الآية ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١١٦].

التسبيح بمعنى النافلة

عن جابر في حديثه الطويل عن حج النبي ﷺ: ... حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً[١]، وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: سألت وحرَصت على أن أجد أحداً من الناس يخبرني أن رسول الله ﷺ سبَّح سُبْحة الضحى فلم أجد أحداً يحدثني ذلك غيرَ أم هانئ ... إلخ[٢]، وعن أم هانئ، أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة. قام رسول الله ﷺ إلى غُسله فسترت عليه فاطمة، ثم أخذ ثوبه فالتحف به فصلى ثمان ركعات سُبْحة الضحى[٣].

وعن حفص بن عاصم؛ قال[٤]: مرضت مرضاً، فجاء ابن عمر يعودني. قال: وسألته عن السُّبحة في السفر، فقال: صحبت رسول الله ﷺ في السفر، فما رأيته يسبح، ولو كنت مسبِّحاً لأتممت، وقد قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٢١].

فضائل التسبيح وصيغه

١ ـ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم في حديث أبي هريرة: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان... إلخ[٥].

(١) م: ١٩ ـ باب حجة النبي ﷺ /١٥ ـ الحج.

(٢) م: ١٣ ـ باب استحباب صلاة الضحى /٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/ح٧٦.

(٣) م: ١٦ ـ باب تستر المغتسل/٣ ـ كتاب الحيض ح ٧٣.

(٤) خ وم: ١١ ـ باب من لم يتطوع في السفر دبر الصلاة/١٨ ـ كتاب تقصير الصلاة. وم/: ح ٦/٩ كتاب صلاة المسافرين.

(٥) خ وم: خ: ٦٦ ـ باب فضل التسبيح/٨٠ ـ الدعوات، وم: ح ١٠/٧ ـ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء/٤٨ ـ كتاب الذكر.

٢ ـ سبحان الله، وهي من أحب الكلام إلى الله في حديث سمرة بن جندب.

٣ ـ سبحان الله وبحمده وهي من أحب الكلام إلى الله وقد سبق الحديث بها قريباً.

تقييد التسبيح

التسبيح من الأذكار المطلقة التي لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا حالة لأن الشعور والاعتراف بتنزيه الله تعالى عما لا يليق مستصحَب دائماً، وقد تأتي للتسبيح مناسبات يطلب فيها منها:

١ ـ في الركوع وسيأتي إن شاء الله.

٢ ـ يكفي الذكر به في خطبة الجمعة ليتحقق به ركن الخطبة عند الحنفية.

٣ ـ في ذكر النوم وختام الصلاة مع التحميد والتكبير، وسيأتي في موضعه.

٤ ـ في الصبح والمساء وسيأتي إن شاء الله.

٥ ـ عند سماع أو رؤية أو قراءة لما لا يجب في حق الله تعالى مثل ما جاء في قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [سورة الأعراف، الآية ١٩٠]، ومثل قوله تعالى: **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً﴾** [سورة الإسراء، الآية ٤٣].

٦ ـ عندما يريب شيء في صلاته، ففي حديث عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ جاء وأبو بكر يصلي بالناس، فأكثر الناس التصفيق، وتقدم رسول الله ﷺ. فصلى. فلما انصرف قال: ما لي رأيتكم أكثرتم من التصفيق؟ من رابه شيء في صلاته فليسبِّح، فإنه إذا سبَّح التُفِت إليه. إنما التصفيق للنساء[1].

(١) خ وم: خ: ٤٨ ـ باب من دخل ليؤم الناس/١٠ ـ الأذان، وم: ٢٢ ـ باب تقديم الجماعة من يصلي بهم/٤ ـ كتاب الصلاة ح٨٣.

٧ ـ في موقف التعجب والاستعظام، فعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ لقيه وهو جنب، فانْسلَّ، فذهب فاغتسل، فتفقده النبي ﷺ، فلما جاء قال: أين كنت، يا أبا هريرة؟ قال: يا رسول الله لقيتني وأنا جنب فكرهت أن أجالسك حتى اغتسل، فقال: سبحان الله! إن المؤمن لا ينجُس[١].

وعن عِمران بن حُصَين في حديثه الطويل في قصة المرأة التي أُسرت، فانفلتت وركبت ناقة النبي ﷺ، ونذرت إن نجاها الله تعالى لتنحرنها، فجاءت فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: سبحان الله! بئس ما جزتها! نذرت لله إن نجاها الله لتنحرنها! لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك[٢]. وعن علي بن الحسين، أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلَّما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: على رسلكما! إنما هي صفية بنت حُيَي فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وكبُر عليهما، فقال النبي ﷺ: إن الشيطان يبلغ الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً[٣]. وفي حديث عن صلح الحديبية لما قال سهيل: . . . وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا ردَدته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله! كيف يُرد إلى المشركين[٤]؟.

٨ ـ التسبيح إذا هبط وادياً. فعن جابر، قال: كنا إذا صعدنا كبَّرنا وإذا نزلنا سبَّحنا[٥].

---

(١) خ وم: خ: ٢٤ ـ باب الجنب يخرج ويمشي في السوق. وم: ٢٩ ـ باب المسلم لا ينجس/٣ ـ الحيض ح ١١٥.

(٢) م: ٣ ـ باب لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك/٢٦ ـ كتاب النذر ح ٧.

(٣) خ وم: خ: ٨ ـ باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد؟/٣٣ الاعتكاف، وم: باب يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة أن يقول: هذه فلانة. /٣٩ ـ السلام.

(٤) خ: ١٥ ـ باب الشروط في الجهاد/٥٤ ـ كتاب الشروط.

(٥) خ: ١٣٢ ـ باب التسبيح إذا هبط واديا ٥٦/٠ ـ كتاب الجهاد.

تقييد التسبيح بالعدد

١ ـ في ذكر اليوم بمائة من التسبيح، وسيأتي في ذكر اليوم إن شاء الله.

٢ ـ عند النوم، وفي ختام الصلاة بثلاث وثلاثين وسيأتي إن شاء الله.

التهليل

وصيغته العامّة لا إله إلا الله. وهي شطر التعبير عن الإسلام، ودعوة جميع الأنبياء.

وجاء الأمر بالتهليل وحكايته وحكاية صيغه عن الأنبياء والملائكة والصالحين، وبشهادة الباري لنفسه، وتعليمه لنا، ومنه في القرآن الكريم:

١ ـ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِماً بِٱلْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٨].

٢ ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ [سورة القصص، الآية ٧٠].

٣ ـ ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٦٥].

٤ ـ ﴿فَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة هود، الآية ١٤].

٥ ـ ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [سورة الرعد، الآية ٣٠].

٦ ـ ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٨٧].

٧ ـ عن عائشة في مرض النبي ﷺ وهو يحتضر، قال ﷺ: لا إله إلا الله! إن للموت لسكرات[1]!.

---

(١) خ: ٨٣ ـ مرض النبي ص/٦٤ ـ كتاب المغازي و ٤٢ ـ باب سكرات الموت/٨١ ـ كتاب الرقاق..

وسيأتي مزيد من الأمثلة في مواضعه إن شاء الله.

فضائل التهليل وصيغه

١ - عن أبي هريرة؛ قال: قال ﷺ: الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[١].

٢ - عن عبادة بن الصامت؛ قال ﷺ: من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء[٢].

٣ - قال ﷺ لأسامة وقد قتل رجلاً بعدما قال: لا إله إلا ألله! أقال لا إله إلا الله وقتلتَه؟ فقال: إنما قالها خوفاً من السلاح؛ قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها حتى تمنى أسامة أنه أسلم حينئذ[٣].

٤ - عن أنس بن مالك؛ أن النبي ﷺ قال: يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن بُرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة[٤].

الإيمان قول وعمل

هل يكفي قول: لا إله إلا الله، وترديدها بدون عمل للنجاة من النار؟ أجمعت الأمة على أن الإيمان اعتقاد وعمل، وأن الله تعالى توعد في كتابه

---

(١) م: ١٢ - باب بيان عدد شعب الإيمان/١ - كتاب الإيمان ح ٢٤.

(٢) خ وم: خ: ٤٧ - باب يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم/٦٠ - كتاب الأنبياء وم: ١٠ - باب من لقي الله بالإيمان ١/٠ - كتاب الإيمان ح ٤٤.

(٣) م: ٣٩ - باب تحريم قتل الكافر بعد قول: لا إله إلا الله ١/٠ - كتاب الإيمان ح ١٤٦.

(٤) م: ٨٤ - باب أدنى أهل الجنة منزلة/١ - كتاب الإيمان ح ٤٩٧، وخ: ٣٣ - باب زيادة الإيمان ونقصانه/٢ - كتاب الإيمان.

المؤمنين العاصين بالعقاب يوم القيامة، والإيمان يزيد بالعمل، وينقص بنقصان العمل وبالمعاصي، وبوب البخاري في ٢ ـ كتاب الإيمان: ٣٣ ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه، وقوله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ و ﴿يَزْدَادُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص أ هـ.

فقول لا إله إلا الله مع الاعتقاد الجازم بمعناها يشبه أن يكون كجواز السفر إلى الجنة. إن الجواز وإن كان شرطاً للسفر إلا أنه لا يكفي بذاته للسفر، بل لا بد من الإعداد والزاد، فكذلك الإيمان لا بد مع التصديق من العمل على مقتضى التصديق.

قيل لوهب بن منبه كما روى أبو نعيم في الحلية، وكما ذكر البخاري في ترجمة أول باب في ٢٣ ـ كتاب الجنائز: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك. وقال النووي في شرح مسلم[1]: اعلم أن مذهب أهل السنة، وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة، ومن كانت له معصية كبيرة (قلت أو صغيرة) ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا وإن شاء عذب القدر الذي يريده تعالى، ثم يُدخله الجنة، فلا يخلُد في النار أحد مات على التوحيد، ويحمل على هذه القاعدة ما يرد في حديث ظاهره مخالف لهذا أ هـ.

قلت: وحتى التائب أيضاً في مشيئة الله تعالى، فقبول التوبة ليس حتماً على الله.

أما تشديد الرسول ﷺ على أسامة في قتل من قال: لا إله إلا الله، ولم يعمل شيئاً فلأن المقتول صندوق احتمالات مغلق لا يدري القاتل من داخله شيئاً لأنه لم يشق عن قلبه.

وقد قاتل أبو بكر مانعي الزكاة، ولم يأخذ بقول عمر: كيف تقاتل

(١) النووي في شرح ١٠ ـ باب من لقي الله بالإيمان: /١ ـ كتاب الإيمان من مسلم.

الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً . . . إلخ[1]، ونفهم من صنيع أبي كبر أن الأمر بالتوقف عن القتال حين يقولون: لا إله إلا الله معناه التوقف عن قتلهم حتى يرى هل قول: لا إله إلا الله صادق بعمل العبادات أو غير صادق فيحل القتال حينئذ.

وقد منع الرسول ﷺ معاذاً من أن يخبر الناس بالبشارة بلا إله إلا الله خشية أن يتكلوا بإساءة الفهم، وهذا ما فهمه البخاري، إذ عنون لحديث معاذ بـ ٤٩ ـ باب من خص قوماً بالعلم دون قوم كراهة ألا يفهموا من ٣ ـ كتاب العلم، وقد صوب رسول الله ﷺ رأي عمر في عدم إخبار المسلمين بالبشارة بلا إله إلا الله خوف أن يتكلوا[2]. لكن معاذاً خالف رسول الله هو وأبو هريرة فحدثا بما لم يرد الرسول ﷺ إذاعته على الكافة. وكان الأولى بمعاذ أن يتأثم من مخالفة الرسول ﷺ، فقد وقع ما توقعه الرسول ﷺ وعمر، فاتكل المسلمون، ولم يفهموا، ووضعوا كل آمالهم فيما يَعُدُّون على السبح من ذكر الله.

تقييد التهليل

١ ـ بالقيود الزمانية مثلً أن يكون ذكر صباح ومساء ويوم بطوله مثل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة أو عشر مرات في يوم، وسيأتي إن شاء الله، وفي هذا تقييد بالعدد أيضاً.

٣ ـ عند الشدائد مثل ما قاله الرسول ﷺ عند احتضاره: لا إله إلا الله! إن للموت سكرات[3]!.

---

(١) خ وم: خ: ١ ـ باب وجوب الزكاة/ ٢٤ ـ كتاب الزكاة. وم: ٨ ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله/ ١ ـ كتاب الإيمان ح ٣٢.

(٢) م: ١٠ ـ باب من لقي الله بالإيمان /١ ـ كتاب الإيمان ح ٤٩.

(٣) خ: ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ /٦٤ ـ كتاب المغازي.

٤ ـ عند التعجب، وعند تلقين المحتضر، وسيأتي إن شاء الله.

٥ ـ عند طروء أمر سار مثل ما في حديث أبي هريرة عن الرجل الذي قاتل قتالاً شديداً، وقال رسول الله ﷺ: إنه من أهل النار، وحين أخبر النبي ﷺ أنه قتل نفسه قال: الله أكبر! أشهد أني عبد الله ورسوله[1].

٦ ـ عند الفزع، فعن زينب بنت جحش، قالت: خرج رسول الله ﷺ يوماً فزِعاً مُحَمَّراً وجهه يقول: لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد اقترب! فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها. قالت: فقلت: يا رسول الله أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث[2].

٧ ـ مع التكبير إذا علا شرفاً، ويسيأتي الحديث في الحوقلة إن شاء الله.

التكبير

جاء الأمر بالتكبير، وجاءت صيغه في القرآن الكريم والحديث الشريف، وصيغ التكبير محدودة، وتكون في جمل يكون فيها لفظ الجلالة مبتدأ أو اسماً لكان أو لإن، والخبر كلمة كبيرة أو أكبر، والأمثلة:

١ ـ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج، الآية ١٣].

٢ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ [آخر الإسراء].

٣ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ [سورة النساء، الآية ٣١].

ويرد التكبير في أذكار السنة الجامعة لأكثر من ذكر، وكثيراً ما يكون مع التسبيح والتحميد والتهليل منفرداً أو مجموعاً معهما وهو من ضمن مزحزحات

---

(١) م: ٤٥ ـ باب غليظ تحريم قتل الإنسان نفسه/١ ـ كتاب الإيمان.

(٢) م: أول ٥٢ ـ كتاب الفتن واشراط الساعة.

المؤمن من النار، وبكل تكبيرة صدقة، وقد سبق بذلك الحديثان في الحمد.

تقييد التكبير

١ ـ يُقيد التكبير بقيد العدد بتكراره ثلاثاً وثلاثين مرة في ختم الصلاة منفرداً أو مع التسبيح والتحميد في جملة واحدة تكرر ثلاثاً وثلاثين مرة، وبتكراره ثلاثاً وثلاثين مرة في ذكر النوم مع التسبيح والتحميد، وقد يكون التكرار في بعض هذا عشراً أو خمساً وعشرين كما سيأتي في مواضعه إن شاء الله.

٢ ـ التكبير على هداية الله تعالى للطاعة. قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٥]، وذلك في الحج.

٣ ـ التكبير مع التحميد والتسبيح قبل الإهلال بالحج.

٤ ـ التكبير مع التهليل عند أمر يسر له المرء، وقد سبق تكبير النبي ﷺ في حديث المنتحر في التهليل[١].

٥ ـ قد ينفرد التكبير عن طروء الأمر السار، ففي حديث ابن مسعود؛ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: فكبَّرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة[٢].

٦ ـ التكبير مع التهليل عند صعود شرف من الأرض، فعن أبي موسى، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا[٣]، وسيأتي في الحوقلة حديث آخر، وعن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل

---

(١) م: ١٦٧/٤٥ ـ باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه/١ ـ الإيمان.

(٢) خ وم: خ: ٤٥ ـ باب كيف الحشر ٨١/٠ ـ الرقاق. وم: ٩٣/٣٣٧. كون هذه الأمة نصف أهل الجنة/١ ـ الإيمان.

(٣) خ وم: خ: ٣٨ باب غزوة خيبر/٦٤ ـ كتاب المغازي. وم: ١٣ ـ استحباب خفض الصوت بالذكر/٤٨ ـ كتاب الذكر ٤٣٥.

من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات . . . إلخ[1].

٧ ـ التكبير إذا بدأ رحلة السفر ثلاثاً، وسيأتي في الكلام على السفر إن شاء الله.

٨ ـ التكبير في الكسوف، كما سيأتي في أدعية الكسوف من قوله ﷺ: فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا.

٩ ـ التكبير عند الحرب، وبوب البخاري بهذا لحديث أنس الذي سيأتي في أذكار الجهاد إن شاء الله.

الحوقلة

وهي التجرد من كل قوة، والاعتراف بأن الحول والقوة من الله تعالى، وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم، وجاءت الصيغة المعروفة للحوقلة في السنة، ومن القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [سورة البقرة، الآية ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [سورة الكهف، الآية ٣٩].

ومن الحديث عن أبي موسى الأشعري، قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبراً وقال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر أشرف على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر لا إله إلا الله! فقال رسول الله ﷺ: اربَعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله! فقال لي: يا عبد الله بن قيس! قلت: لبيك رسول الله! قال: ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي! قال:

---

(١) خ: ٥٢ ـ باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع/ ٨٠ الدعوات.

لا حول ولا قوة إلا بالله[1]!، ويلحق بالحوقلة: حَسْبِيَ ٱللَّهُ ونِعْمَ ٱلوَكِيل، وأمر الله تعالى بها في القرآن، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة يونس، الآية ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٦٢].

الذكر الذي يجمع بين أكثر من واحد من التسبيح والتحميد والتكبير عن سمرة بن جندب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[2].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله .والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس[3].

البسملة

وهي آية في سورة النمل، وعند الشافعي آية في الفاتحة، وعند ابن المبارك آية في كل سورة، وحجة ابن المبارك والشافعي ما رواه أنس، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر. . . إلخ[4]. وقال القرطبي: الصحيح من هذه الأقوال قول مالك بأنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها لأن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد، وإنما طريقة التواتر القطعي[5].

مواضع البسملة

١ ـ عند الجماع، وسيأتي في أذكار النكاح إن شاء الله.

---

(١) خ: ٥٢ ـ باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع/ ٨٠ الدعوات.

(٢) م: ٢ ـ باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة/٣٨ ـ كتاب الآداب ح ١٤.

(٣) م: ٣١/١٠ ـ باب التهليل والتسبيح/٤٨ الذكر. م: ١٤ ـ باب من قال: إن البسملة آية من أول كل سورة/٤ ـ كتاب الصلاة ح ٤٨.

(٤) القرطبي ص/١٤ ـ جـ ١.

(٥) م: ١٣ ـ باب آداب الطعام والشراب/٣٦ ـ كتاب الأشربة.

٢ ـ للأعداد للمبيت عند إغلاق الباب، وعند إطفاء المصباح، وتغطية الإناء، وإيكاء السقاء، وسيأتي حديث جابر عن كل ذلك في أذكار المساء.

٣ ـ عند البدء في تناول الطعام، وسيأتي إن شاء الله في أذكار تناول الطعام.

٤ ـ عند دخول البيت، فعن جابر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عَشاء، وإذا دخل ولم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعَشاء (١).

٥ ـ عند الركوب كما سيجيء من حديث جابر في السفر إن شاء الله.

٦ ـ عند الذبح، وعند إرسال الكلاب المعلَّمة في الصيد، وعند رمي السهم للصيد، وعلى ما لم يعرف أذكر اسم الله عليه أم لا، مما سيأتي في أذكار الطعام إن شاء الله.

الاستغفار

ورد الأمر به وحكاية صيغه على لسان الأنبياء والملائكة والمؤمنين في القرآن والسنة.

ويستغفر الإنسان لنفسه ولغيره، ويطلب الاستغفار من غيره.

وجاء الأمر به وجاءت صيغه منفردة وجاءت مع غيره من الأذكار، وجاء مقروناً بالذنب المستغفر منه، وجاء غير مقرون، وجاء مقروناً بأنواع من التوسل السابقة وغير مقرون. والغفران مرجو من الله تعالى لكل الذنوب إلا الشرك، وأمثلة كل ذلك من القرآن الكريم والسنة الصحيحة:

١ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر، الآية ٥٣].

(١) م: ١٣ ـ باب آداب الطعام والشراب/٣٦ ـ كتاب الأشربة.

٢ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء، الآية ٤٨].

٣ ـ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [سورة النساء، الآية ١١٠].

٤ ـ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد، الآية ١٩].

٥ ـ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾؟ [سورة المائدة، الآية ٧٤].

٦ ـ ﴿ربَّنا ٱغفِرْ لَنا ولإِخْوَانِنا ٱلَّذِينَ سَبَقُونا بِٱلإِيمانِ﴾ [سورة الحشر، الآية ١٠].

٧ ـ ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة نوح، الآية ٢٨].

٨ ـ عن الأغر المزني؛ قال ﷺ: إنه ليُغان على قلبي، وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة[١].

٩ ـ وعنه أيضاً، قال ﷺ: أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة[٢].

١٠ ـ وعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة[٣].

١١ ـ عن ابن عمر: . . . وإن كنا لنعُد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة[٤].

ويجيء الاستغفار مرادفا للذكر أو مصاحباً له. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا

(١) م: ١٢ ـ باب استحباب الاستغفار/٤٨ ـ كتاب الذكر.
(٢) المرجع السابق الحديث رقم ٤١.
(٣) خ: ٣ ـ باب استغفار النبي لله في اليوم والليلة/٨٠ ـ كتاب الدعوات.
(٤) ص ١٧٥ عدة الحصن الحصين: أخرجه ابن حبان وصححه.

فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٣٥].

فضائل الاستغفار وصيغه

لا تقتصر فوائد الاستغفار على آثاره المرجوة في غفران الذنوب بل يتجاوز ذلك إلى فوائد تعود في الدنيا على المستغفرين. قال تعالى على لسان سيدنا نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [سورة نوح، الآيات ١٠و١١و١٢].

ويجيء الاستغفار مصحوباً بتوسل من أنواع التوسل السابقة أو غير مصحوب. ومن المصحوب:

١ ـ بالإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٦]، و﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ [سورة طه، الآية ٧٣] و﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٥١].

٢ ـ بالأعمال الصالحة مثل ما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ﴾ [سورة الصف، الآية ١٢].

٣ ـ إظهار الافتقار إلى الله تعالى كما في قوله تعالى على لسان قوم موسى في صحوة من صحوات ضميرهم: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْغَافِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٥٥].

٤ ـ بالاعتراف بالذنب، في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [سورة القصص، الآية ١٦]، وقوله تعالى على لسان سيدنا آدم وحواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٢٣].

ومن الحديث الشريف: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[1].

ومن صيغ الاستغفار غير ما سبق:

١ ـ استغفر الله، كما سيأتي في ختام الصلاة من قولها ثلاثاً.

٢ ـ الاستغفار بفعل الأمر المقصود به الطلب والرجاء مسبوقاً بكلمات: اللهم أو رب، أو ربنا، ومنه قول النبي ﷺ في مرضه الذي توفِّي فيه عن عائشة، أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مسند إليَّ ظهرَه، يقول: اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى[2].

٣ ـ جملة شرطية فعل الشرط فيها يدل على المغفرة وجواب الشرط فيها الخسران إن لم يتحقق جواب الشرط، ومنه دعاء سيدنا نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة هود، الآية ٤٧]، وقول آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٢٣].

٤ ـ غفرانك!، وفي القرآن الكريم: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٥]، وفي السنة الشريفة: غفرانك! عند الخروج من الخلاء[3].

٥ ـ سيد الاستغفار: وسيأتي إن شاء الله في أذكار الصباح والمساء.

---

(١) خ وم: خ: ٩ ـ باب قول الله تعالى: ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾/٩٧ ـ كتاب التوحيد. وم: ١٣ ـ باب استحباب خفض الصوت بالذكر/٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٤٦.

(٢) خ وم: خ: ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته/٦٤ ـ كتاب المغازي وم: ١٣ ـ باب فضل عائشة./٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ح ٨٧.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة في كتب الطهارة فيها والدارمي وأحمد.

تقيـيد الاستغفار

الاستغفار من الأدعية المطلقة فهو يمارس في كـل زمان ومكـان وحال، غير أنه يطلب في مناسبات خاصة منها:

١ ـ في ختم الصلاة: استغفر الله ثلاثاً. وسيأتي في ختم الصلاة إن شاء الله.

٢ ـ عند اقتراف ذنب. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٣٥]، وقـال تعـالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [سورة النساء، الآية ١١٠]، ولما جاء ماعز والغامدية لرسول الله ﷺ يعترف كل منهما بالزنا، ويطلب التطهير، قال رسول الله ﷺ لكل منهما على حدة: ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه[1].

٣ ـ عند رؤية أمر مخالف للشرع، فعن أبي أيوب، أن النبي ﷺ قال: إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا. قال أبو أيوب: فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت قِبَل القبلة فننحرف عنها ونستغفر الله[2].

الصلاة على رسول الله ﷺ والأنبياء عليهم السلام

والأمر بها والترغيب فيها وثوابها وارد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [سورة النمل، الآية ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات، الآيتان ١٨٠ و ١٨١].

---

(١) م: ٥ ـ باب من اعترف على نفسه بالزنا/٢٩ ـ كتاب الحدود ح ٢٠.

(٢) خ وم: خ: ٢٩ ـ باب قبلة أهل المدينة والشام/٨ ـ كتاب الصلاة. وم: ١٧ باب الاستطابة/٢ ـ الطهارة ح ٥٨.

ومن السنة؛ عن أبي هريرة قال ﷺ: من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً[1].

صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال لقيني كعب بن عُجْرة، فقال: ألا أُهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى فاهدِها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله علمنا كيف نسلم عليكم، قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد[2]. وعن أبي حُميد الساعدي، أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد[3]. وعن بشير بن سعد؛ قال لرسول الله ﷺ: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم[4].

تقييد الصلاة على النبي ﷺ

١ ـ في آخر التشهد وهي واجبة عند الشافعي بأي صيغة، وستأتي إن شاء الله.

---

(١) م: ١٧ ـ باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد/٤ ـ كتاب الصلاة ح ٥٩.

(٢) خ وم: خ: ١٠ ـ باب يزفون النسلان/٦٠ ـ كتاب فضائل الأنبياء وم: ١٧ ـ باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد/٤ ـ كتاب الصلاة ح ٥٧.

(٣) خ وم: خ: ١٠ ـ باب: حدثنا موسى/٦٠ ـ كتاب الأنبياء، وم: ١٧ ـ باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد. /٤ ـ الصلاة ح ٥٨.

(٤) المرجع السابق ح ٥٦.

٢ ـ عند سماع ذكره ﷺ، فعن الحسين: قال ﷺ: البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ[١].

٣ ـ عقب الأذان والإقامة، وسيأتي إن شاء الله.

هل يصلى على غير الأنبياء؟

١ ـ سيأتي في أذكار الزكاة قول رسول الله ﷺ: اللهم صل على آل أبي أوفى.

٢ ـ قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٠٣].

٣ ـ قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [سورة النمل، الآية ٥٩].

الثناء على الله بصفاته

يعبر كثير من تذييلات آيات الكتاب الحكيم عن هذا الثناء، ويتضمن التذييل وصف الله بصفة من صفاته العُلى أو باسمٍ من أسمائه الحسنى، وذلك لا يحصى في القرآن الكريم، ومنه:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٠].

٢ ـ ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٢].

٣ ـ آيات آخر سورة الحشر.

ومن الحديث الشريف: عن أبي هريرة ـ رواية ـ قال: لله تسعة وتسعون اسماً مائةٌ إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر[٢].

---

(١) قال النووي ص ٥٣ في الأذكار: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة بأسانيد صحيحة.

(٢) خ وم: خ: ٦٩ ـ باب لله مائة اسم غير واحد/ ٨٠ ـ الدعوات، وم: ٢ ـ باب سلماء الله تعالى ٤٨٩ ـ كتاب الذكر/ح ٤.

الفصل الثاني

الأذكار الجامعة المطلقة

أولاً : من القرآن الكريم

سبق أن قراءة القرآن الكريم كلها ذكر ودعاء وموعظة وقصص وتشريعات وقوانين اجتماعية لكن القرآن الكريم يشتمل على أذكار وأدعية من كل الأنواع التي سبق توضيحها بأمثلتها على صورة آيات أو أجزاء من آيات، ونسوق أمثلة وافرة منها للذكر والدعاء بها، ولتكون زاداً للمسلم يضمنها كلامه المسموع والمقروء في كل حياته، وسنعقب بإشارات للمناسبات التي قيلت فيها لاستخدامها فيها وفي مثيلاتها مما تعطيه الحياة من مواقف لا حصر لها فمن ذلك قوله تعالى:

١ - ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٤]، ذيلت بها آية ذكرت خلق الله تعالى للسموات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر.

٢ - ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١٤]، جاءت الجملة بعد ذكر أطوار الجنين، ودقة الوصف فيها، فيدل هذا على مشروعية قول العبارتين عند أي مناسبة تدل على كمال قدرة الله تعالى في خَلْقه.

٣ - ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ١١٦]، جاءت بعد قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾؟.

٤ ـ ﴿ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة النمل، الآية ٢٦]، جاءت بعد إخبار الهدهد لسيدنا سليمان بخبر ملكة سبأ وسجودهم للشمس.

٥ ـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الصافات، الآيتان ١٨٠ و ١٨١]، جاءت الآيتان بعد حكاية نسبة الملائكة إلى الله كبنات له، ومثلها:

٦ ـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية٨٢]، فقد جاءت بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَابِدِينَ﴾ [سورة الزخرف، الآية ٨١].

٧ ـ ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة الجاثية، الآية ٣٧]، وقد جاءت الآيتان بعد أن ذكر الله تعالى اتخاذ الكفار آيات الله هزواً واغترارهم بالحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ آيَاتِ ٱللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة الجاثية، الآية ٣٥].

٨ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ [سورة الإسراء، الآية ١١١].

٩ ـ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٢٩].

ومن الأذكار التي في القرآن الكريم:

١ ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٦].

٢ ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [سورة إبراهيم، الآيتان ٤٠ و ٤١].

٣ ـ ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [سورة طه: الآيات ٢٥ ـ ٢٨].

٤ ـ ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان ٩٧ و٩٨].

٥ ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٩]

٦ ـ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٠١].

٧ ـ ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ [سورة الكهف، الآية ١٠].

٨ ـ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٥٣].

٩ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٤٧].

١٠ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر، الآية ١٠].

١١ ـ ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٠].

١٢ ـ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٨].

١٣ ـ ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ﴾ [سورة الممتحنة، الآيتان ٤ و٥].

١٤ ـ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي

لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلأَبْرَارِ وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ ٱلْمِيَعَادَ﴾ [سورة آل عمران، الآيات ١٩١ ـ ١٩٤].

هـذه أمثلة من أدعية القرآن الكريم، وتبدأ بنداء الباري سبحانه ثم الطلب، وتجد في الدعاء ثناء على الله تعالى، وتجد فيه مرغوبات دنيوية وأخروية.

ثانياً: الذكر والدعاء المطلق من الحديث الشريف

التعوذ

تعوذ رسول الله ﷺ، وأمر بالتعوذ من كثير من الشرور والفتن، ومن الشرور التي وردت الاستعاذة منها في الصحيحين: الجنة وعذاب القبر والكسل والبخل والهرم وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيخ الدجال والمأثم والمغرم والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال وسوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء وجهد البلاء.

وقد توزع هذا التعوذ في البخاري في ٨٠ ـ كتاب الدعوات في الأبواب: ٣٦ ـ ٤٢ و ٤٤ ـ ٤٦ وفي ٥٦ ـ كتاب الجهاد الباب ٢٥.

وتوزع في مسلم في ٤٨ ـ كتاب الذكر في الأبواب: ١٥ ـ و١٦ ـ و ٢٤ و ٢٥ وفي ٥٣ ـ كتاب الزهد باب الاستعاذة من خداع النفس.

نماذج من أحاديث الاستعاذة الجامعة

١ ـ عن عائشة؛ قالت: كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر. اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة المسيخ الدجال. اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد، ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من

الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم إني أعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم[1].

٢ ـ وعن أنس، كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال[2].

٣ ـ وعن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ. كان يتعوذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، ومن جهد البلاء. قال سفيان (أحد رواة الحديث): أشك أني زدت واحدة[3].

٤ ـ وعن أنس بن مالك؛ قال: كان نبي الله يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات[4].

٥ ـ وعن عبد الله بن عمر؛ قال: كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفَجْأة نقمتك، وجميع سخطك[5].

وهذه **مجموعة من أدعية عامة** من خير الدنيا والآخرة:

١ ـ عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلتُ، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهم

---

(١) خ وم: خ: ٤٦ ـ باب التعوذ من فتنة الفقر/ ٨٠ ـ كتاب الدعوات، وم: ١١ ـ باب التعوذ من شر الفتن وغيرها. /٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٤٧.

(٢) خ: ٤٠ ـ باب الاستعاذة من الجبن والكسل/ ٨٠ ـ كتاب الدعوات.

(٣) خ وم: ٢٨ ـ باب التعوذ من جهد البلاء/ ٨٠ ـ كتاب الدعوات ح ١، وم: ١٦ باب التعوذ من سوء القضاء/٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٥١.

(٤) خ وم: خ: ٣٨ ـ باب التعوذ من فتنة المحيا والممات/ ٨٠ ـ كتاب الدعوات، وم: ١٥ ـ باب التعوذ من العجز والكسل وغيره/٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٤٨.

(٥) م: ٢٦ ـ باب أكثر أهل الجنة الفقراء/٤٨ ـ الذكر ح ٩٣.

إني أعـوذ بعـزتـك لا إلـه إلا أنت الحي الـذي لا يمـوت والجن والإنس يموتون[1].

٢ ـ وسئلت عائشة عمـا كان رسـول الله ﷺ يدعـو به الله. قـالت: كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت وشر ما لم أعمل[2].

٣ ـ وعن زيد بن أرقم، قال: لا أقـول لكم إلا كما كـان رسول الله ﷺ يقول. كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسـل، والجبن والبخل، أو الهم والبخل، والهرم وعذاب القبر ـ اللهم آت نفسي تقواها، وزكّـها أنت خيـر من زكاهـا. أنت وليها ومـولاها. اللهم إني أعـوذ بك من علم لا ينفـع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها[3].

٤ ـ وعن ابن مسعـود؛ أن النبي ﷺ كـان يقـول: اللهم إني أسـألـك الهدى والتقى والعفاف والغنى[4].

٥ ـ وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه، أنه سمـع النبي ﷺ وأتاه رجـل فقـال: يا رسـول الله كيف أقول حين أسـأل ربي؟ قال: قـل: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، ويجمع أصابعه إلا الإبهام: فإن هؤلاء تجمـع لك دنياك وآخرتك[5].

٦ ـ وعن سعد بن أبي وقاص، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله علمني كلاماً أقوله. قال: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه. الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله رب العالمين. لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قـال: قل: اللهم اغفـر لي وارحمني وعافني وارزقني[6].

---

(١) م: ١٧ ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع/٤٨ ـ كتاب الذكر ح٦٦.
(٢) م: ١٧ ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع/٤٨ ـ كتاب الذكر ح٦٣.
(٣) المرجع السابق ح٧١.
(٤) م: ١٨ ـ باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل/٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٧٠.
(٥) م: ١٠ ـ باب فضل التسبيح والتهليل والتكبير/٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٣٤.
(٦) المرجع السابق ح ٣٢.

٧ ـ وعن أبي هريرة؛ قال: كان رسـول الله ﷺ يقول: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر[١].

٨ ـ وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت. أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير[٢].

٩ ـ وعن علي، قال: قال لي رسـول الله ﷺ: قل: اللهم اهدني وسددني واذكر بالهدى هدايتك الطريق والسدادِ سَداد السهم[٣].

---

(١) م: ١٨ ـ باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل/٤٨ ـ كتاب الذكر ح٦٩.

(٢) خ وم: خ: ٦٠ ـ باب قول النبي: اللهم اغفر لي ما قدمت/٨٠ ـ كتاب الدعوات. وم: ١٨ ـ باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل/٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٦٨.

(٣) م: ١٨ باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل/٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٧٦.

الفصل الثالث

الدعاء والذكر المقيد

دعاء اليوم كله

حياة المسلم كلها وقت وموسم للذكر والدعاء. عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ: إن الله عز وجل يبسط يده ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها[1].

والمسلم ملتزم، ومنتمٍ، ومن التزامه، التزامه بالزكاة عن وقته وعافيته. فعن أبي ذر عن النبي ﷺ؛ قال: يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة: فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى[2].

وعن ذكر اليوم بطوله: عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كنت له عَدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان من يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحداً، بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر منه[3].

---

(١) م: ٥ ـ باب قبول التوبة وان تكررت الذنوب والتوبة/ ٤٩ ـ كتاب التوبة.

(٢) م: ١٣ ـ باب استحباب صلاة الضحى/ ٦ ـ صلاة المسافرين ح ٧٩.

(٣) خ وم: خ: ١١ ـ باب صفة إبليس/ ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق، وم: ١٠ ـ باب فضل التهليل والتسبيح/ ٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٢٧.

وعن أبي هريرة: قال ﷺ: ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[1].

المسبحة

هل يكرر الإنسان الذكر العدد المطلوب في الأحاديث لليوم مرة واحدة على المسبحة أو على أصابعه في دقائق، ثم يظل طول يومه لاهياً أم يوزعها على اليوم كله؟.

لا تنتسب المسبحة إلى أي دين، ولم يرد في الإمساك بها وعد الذكر عليها دليل شرعي، لكن السيوطي ألف رسالة سماها المنحة في استعمال السبحة، فاستنبط لها أصلاً من السنة، وذكر آثاراً غير موثوق بها، وقد ورد عن عبد الله بن عمر نهيُ المصلين ذات يوم عن استعمال الحجارة الصغيرة للعد في ذكرهم.

قال الاستاذ محمد عبد اللطيف في يوميات الأخبار (في ذي الحجة ١٣٩٦ ديسمبر ١٩٧٦): انتشرت السبحة بين طوائف المتصوفة، وصارت من الأصول المرعية عندهم في الذكر، وكانوا يحفظونها في صندوق، وكان لها قوم قوامون عليها يعرفون بشيوخ السبحة، ولكل شيخ خادم يعرف بخادم السبحة بمرتب ثابت.

أما علماء الشريعة فينكرون هذا كله، وقد عقد أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المعروف بابن الحاج المتوفى سنة ٧٣٧ هـ فصلاً في كتاب المدخل أنكر فيه كل هذه التقاليد التي يأخذ بها الصوفية في تقديس السبحة واستخدامها، وندد العلماء بالأوضاع التي أقاموها من إنشاء صندوق لها، وتعيين شيخ باسمها. انتهى.

ومن مضار التعود على السبحة في الذكر وجود ترابط ينمو بين الذكر

---

(١) خ وم: خ: ٦٥ ـ باب فضل التسبيح/ ٨٠ كتاب الدعوات، وم: ١٠ ـ باب فضل التسبيح والتهليل/ ٤٨ ـ كتاب الذكر ح ٢٧.

وبين تحريكها بين الأصابع بحيث لا ينطلق اللسان في الذكر إلا عند هذا التحريك، ولذا يجب إطلاق تقييد اللسان عن الذكر من أي رباط.

والأقرب إلى العقل والاستحسان اقتراباً من روح الدين أن يوزع المؤمن الأعداد التي تطلب من بعض أنواع الذكر على اليوم كله، ليكون مستحضراً لعبوديته لله تعالى وافتقاره إليه وتنزيهه طول اليوم.

ذكر يوم الجمعة وصلاة الجمعة

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلِق آدم، وفيه أُدخِل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة[1].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق. فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له. قال: يوم الجمعة فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى[2].

وعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة، فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللها[3] أما وقت هذه الساعة، فقد اختلف فيه مع أن الحديث الصحيح قد عينها، فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قال: قال لي عبد الله بن عمر: سمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة

---

(١) م: ٥ ـ فضل يوم الجمعة/٧ ـ كتاب الجمعة ح ٢٠.

(٢) خ وم: خ: ١/١ باب فرض الجمعة/١١ الجمعة. وم: ٢٣/هداية هذه الأمة ليوم الجمعة/٧ الجمعة.

(٣) خ وم: خ: ٣٦ ـ باب الساعة التي في يوم الجمعة/١١ ـ كتاب الجمعة، وم: ـ باب الساعة التي في يوم الجمعة ٧ ـ كتاب الجمعة ح ١٦.

الجمعة؟ قلت: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: هي بين أن يجلس الإمام إلى أن يقضي الصلاة[1].

غير أنه قد ورد النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا يومه بصيام، فعن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم[2].

أذكار صلاة الجمعة

قال النووي: يستحب أن يُكثر في يومها وليلتها من قراءة القرآن والأذكار والدعاء والصلاة على رسول الله وقراءة الكهف ليصادف الساعة المرجوة[3].

الذكر والدعاء المقيدان بأجزاء من اليوم

الصباح والمساء

الأصل في أذكار الصباح والمساء قول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [سورة ق، الآية ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آنَاءِ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [سورة طه، الآية ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٢٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٥٢].

وإذا كان بعض الآيات قد فسر فيها التسبيح بالصلاة، فإن التسبيح أعم

---

(١) م: باب الساعة التي في يوم الجمعة/٧ كتاب الجمعة ح ١٨.
(٢) م: ٢٤/١٥٤ ـ باب كراهة إفراد يوم الجمعة بصوم لا يوافق عادته/١٣ ـ الصوم.
(٣) الأذكار: ص ٤٠.

من الصلاة وشامل لها. وقد جاءت السنة المطهرة موضحة لأذكار وأدعية للصباح والمساء، منها:

١ - عن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه[١].

٢ - عن شدَّاد بن أوس عن النبي ﷺ: سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفِر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مؤمن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة[٢].

٣ - عن عبد الله بن خُبَيْب؛ قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه، فقال: قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد والمعوِّذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء[٣].

٤ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ أنه كان يقول إذا أصبح: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير[٤].

---

(١) م: ٤٨ ك الذكر/١٠ - باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ح ٢٨ وخ: ٨٠ - الدعوات.

(٢) خ: ٨٠ ك الدعوات/٢ - باب فضل الاستغفار/٦٦ - باب فضل التسبيح.

(٣) قال النووي في الأذكار ص ٣٧: رويناه بالأسانيد الصحيحة في سنن أبي داود والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) قال النووي في الأذكار ص ٣٧: رويناه في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجة بالأسانيد الصحيحة.

٥ ـ عن عبد الله بن مسعود؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله. لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم إني أسألك من خير هذه الليلة وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها. اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكِبْر، وفتنة الدنيا وعذاب القبر، وفي رواية: وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: أصبحنا وأصبح الملك لله إلخ(١).

٦ ـ وعن أبي هريرة؛ أن أبا بكر قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: قل: اللهم فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة. ربَّ كل شيء ومليكَه. أشهد أن لا إله إلا أنت. أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشِرْكه. قال: قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك(٢).

٧ ـ وعن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء(٣).

أذكار المساء

عن أبي هريرة؛ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة! قال: أمَا لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك(٤).

إذا استجنح الليل

عن جابر؛ قال: إذا كان جُنح الليل أو أمسيتم فكُفُّوا صبيانكم، فإن

---

(١) م: ٤٨ ـ ك الذكر/١٨ ـ باب التعوذ من شر ما عمل ومن ما لم يعمل. ح ٧٢ ـ ٧٤.

(٢) قال النووي في الأذكار ص ٣٥: رويناه بالإسناد الصحيح في سنن أبي داود والترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٣) قال النووي في الأذكار ص ٣٧: رويناه في سنن أبي داود والترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٤) م: ح ٢٥/١٦ ـ باب التعوذ من سوء القضاء/٤٨ ـ ك الذكر.

الشياطين تنتشر حينئذ. فإذا ذهب ساعة من الليل فحُلُّوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً[1].

وفي رواية مسلم من هذا الحديث زيادة: وأوكوا قِربكم واذكروا اسم الله، وخمِّروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرُضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم.

وفي رواية للبخاري: وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله[2].

هذا وللمساء أذكار سبقت في أذكار الصباح والمساء.

أذكار الليل ـ فضلها وصيغها

١ ـ عن جابر؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة[3].

٢ ـ وعن عبد الله بن مسعود؛ قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح. قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه[4].

٣ ـ عن أبي مسعود البدري عن النبي ﷺ: من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه[5].

عند إرادة النوم والاضطجاع في الفراش

١ ـ عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: إذا أتى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خَلَفه عليه. ثم يقول: باسمك

(١) خ في ١٥ ـ باب خير مال المسلم غنم/٥٩ ـ كتاب بدء الخلق، وم: ـ ١٢ باب الأمر بتغطية الإناء/٣٦ ـ كتاب الأشربة. ١٠٠.

(٢) خ: ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق/١١ ـ باب صفة إبليس.

(٣) م: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/٢٣ ـ باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء ح ١٦١.

(٤) خ: ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق/١١ ـ باب صفة إبليس ح ٣.

(٥) خ: ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن الكريم/١٠ ـ باب فضل البقرة. وم: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/٤٣ ـ باب فضل الفاتحة وخواتم سورة البقرة ح ٢٤٨ و ٢٤٩.

ربي وضعت جنبي وبك أرفعه. إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين[1].

وفي رواية للبخاري من الحديث: فلينفضه بصَنِفة ثوبه ثلاث مرات.

وفي رواية مسلم للحديث: فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن.

٢ ـ عن عبد الله بن عمر؛ أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه قال: اللهم خلقت نفسي وأنت تتوفاها. لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمَتَّها فاغفر لها. إني أسألك العافية. فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ قال: من خير من عمر، من رسول الله ﷺ[2].

٣ ـ عن أبي ذر؛ قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور[3].

٤ ـ عن حذيفة؛ قال: كان ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده، ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور[4].

٥ ـ عن عائشة؛ أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات[5].

---

(١) خ ١٣ ـ باب بدون ترجمة/ ٨٠ ـ كتاب الدعوات و م: ٤٨ ـ كتاب الذكر/١٧ ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. ح ٦٠.

(٢) ـ م: ٤٨ ـ كتاب الذكر/١٧ ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ح ٥٧.

(٣) خ: ٨٠ ـ كتاب الدعوات/ ١٦ باب ما يقول إذا أصبح.

(٤) خ: ٨٠ ـ كتاب الدعوات/٨ ـ باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن.

خ: ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن/ ١٤ ـ باب فضل المعوذتين.

٦ ـ عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم ربَّ السموات ورب الأرض، رب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر(١).

٧ ـ عن أبي هريرة؛ قال: أتت فاطمة النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال لها قولي: اللهم رب السموات السبع إلى آخر الحديث السابق(٢).

٨ ـ وعن علي، أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى في يدها من أثر الرَّحى، فأتت النبي ﷺ تسأله خادماً، فلم تجده، فوجدت عائشة، فأخبرتها. فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم، فقال: علي مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أعلِّمكما خيراً مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبِّران أربعاً وثلاثين وتسبحان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم(٣).

وفي رواية لمسلم من هذا الحديث: قال علي: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلةَ صفين(٤).

٩ ـ عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ كان: إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي(٥).

---

(١) م: ٤٨ ـ كتاب الذكر/١٧ ـ باب ما يقول عند النوم ح ٥٨.
(٢) المرجع السابق رواية من الحديث رقم ٥٩.
(٣) خ: ٦٢ ـ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ /٩ ـ باب فضائل علي وم: ٤٨ كتاب الذكر/١٩ ـ باب التسبيح أول النهار وعند الليل ح ٧٨.
(٤) م: ٤٨ ـ كتاب الذكر/١٩ ـ باب التسبيح أول النهار وعند الليل ح: رواية من ٧٨.
(٥) م: ٤٨ ـ كتاب الذكر/١٩ ـ باب ما يقول عند النوم ح ٦٢.

١٠ ـ عن البـراء بن عازب؛ قـال: قـال النبي ﷺ: إذا أتيت مضجعـك فتـوضأ وضـوءك للصلاة، ثم اضـطجـع على شقـك الأيمن، ثم قـل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليـك. لا ملجأ ولا منجى منـك إلا إليك. اللهم آمنت بكتـابك الـذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت. فـإن مت من ليلتك فـأنت على الفطرة، واجعلهن آخـر ما تتكلم به. قـال: فرددتهـا على النبي ﷺ فلما بلغت: اللهم آمنت بكتـابك الـذي أنـزلت قلت: ورســولـك الـذي أرسلت. قـال: لا. ونبيــك الـذي أرسلت[1].

ما يقول إذا استيقظ من الليل

١ ـ عن عُبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قـال: من تعارَّ من الليـل (أي استيقظ) فقال: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، والحمد لله، وسبحان الله ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له، فإن تـوضأ قبلت صلاته**[2].

٢ ـ وفي حديث مبيت ابن عباس عند خالته ميمونـة زوج النبي ﷺ؛ أن النبي ﷺ بعد أن صلى ثلاث عشرة ركعة اضطجع فنـام حتى نفخ. وكـان إذا نام نفخ، فآذنه بلال بالصـلاة، فصلى، ولـم يتوضـأ، وكان يقـول في دعائـه: اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نـوراً، وعن يميني نـوراً، وعن يساري نـوراً، وفوقي نـوراً، وتحتي نوراً، وأمـامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً[3].

---

(١) خ ـ ٤ ـ كتاب الوضوء/ ٧٥ ـ باب فضل من بات على الوضوء وم: ٤٨ ـ كتـاب الذكـر/ ١٧ ـ باب ما يقول عند النوم ح ٥٤.

(٢) خ: ١٩ ـ كتاب التهجد/ ٢١ ـ باب فضل من تعارَّ من الليل فصلى.

(٣) خ: ٨٠ ـ كتـاب الـدعـوات/ ١٠ ـ بـاب إذا انتبـه من الليـل. وم: ٦ ـ كتـاب صـلاة المسافرين/ ٢٥ ـ باب صلاة النبي ﷺ ودعائه ح ١٧٧.

٣ ـ وفي إحدى روايات مسلم من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ استيقظ فتسوك وتوضأ، وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة. . . ، ثم أوتر بثلاث فأذّن المؤذن، فخرج إلى الصلاة وهو يقول: اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً. اللهم أعطني نوراً[١].

٤ ـ وفي رواية أخرى من الحديث في مسلم: ثم خرج إلى الصلاة فجعل يقول في صلاته أو سجوده: اللهم اجعل في قلبي نوراً. . .[٢].

فهذا الدعاء مطلوب عند الخروج إلى الصلاة، وفي الصلاة.

٥ ـ وفي رواية من الحديث في البخاري. . . فقام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الخواتم من آل عمران، ثم قام إلى شَنٍّ معلقة فتوضأ منها، فأحسن وضوءه ثم قام يصلي. . . أي فصلى ثلاث عشرة ركعة بالوتر[٣].

٦ ـ وفي رواية من الحديث في البخاري. . . فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد. فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ ثم قام فتوضأ فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح[٤].

---

(١) م: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل ح ١٨٠.
(٢) م: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل. ح ١٨٢.
(٣) خ: ٢١ ـ كتاب العمل في الصلاة/١ ـ باب استعانة اليد في الصلاة.
(٤) خ: ٦٥ ـ كتاب التفسير/٣ ـ سورة آل عمران/١٧ ـ باب ـ إن في خلق السموات والأرض.

٧ ـ عن ابن عباس؛ قال: كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن. أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت. أنت إلهي. لا إله إلا أنت[١].

الاستيقاظ لصلاة الفجر

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: مكانَها عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان[٢].

وقد سبق ذكر الاستيقاظ من الليل.

ما يقول إذا رأى في منامه ما يحب أو يكره

عن أبي سلمة، قال: إن كنت لأرى الرؤيا تُمرِضني. قال: فلقيت أبا قتادة، فقال: وإن كنت لأرى الرؤيا فتُمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: الرؤيا الصالحة من الله. فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدِّث بها إلا من يحب، وإن رأى ما يكره، فليتفِل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها، ولا يحدِّث بها أحداً فإنها لا تضره[٣].

---

(١) خ: ٩٧ ـ كتاب التوحيد/٣٥ ـ باب قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾. ح وم: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل ح ١٩٣.

(٢) خ: ١٩ ـ كتاب التهجد/١٢ ـ باب عقد الشيطان على رأس أحدكم. وم: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/٢٨ ـ باب ما روى فيمن نام الليل أجمع ح ١٩٩.

(٣) خ: ٩١ ـ كتاب التعبير/٤٦ ـ باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها. وم: ٤٢ ـ كتاب الرؤيا/ ح ٥.

الباب السادس

الأذكار المقيدة بالعبادات

الفصل الأول

أذكار الصلاة وأدعيتها
وما يتعلق بها من طهارة وأذان

ما يقول إذا أراد دخول الخلاء؟

عن أنس، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند دخول الخلاء: اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث[1].

ما يقول إذا خرج من الخلاء؟

في الحديث عن النبي ﷺ: غفرانك! الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني[2].

لا أذكار على الوضوء

قال النووي في الأذكار: ثبت عن أحمد بن حنبل: لا أعلم في التسمية في الوضوء حديثاً ثابتاً، وقال النووي أيضاً: أما الدعاء على الوضوء فلم يوجد فيه شيء.

ما يقول بعد الوضوء؟

عن عقبة بن عامر وعمر بن الخطاب؛ قال ﷺ: ما منكم من أحد يتوضأ فيُبلِغ أو يُسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

---

(١) خ: ٤ ـ كتاب الوضوء/٩ ـ باب ما يقول عند الخلاء. وم: ٣ ـ كتاب الحيض/٣٢ ـ باب ما يقول عند الخلاء ح: ١٢٢.

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[1]. وهذا لفظ عمر.

ما يقول إذا توجه إلى المسجد؟

اللهم اجعل في قلبي نوراً. . . انظره في ذكر الاستيقاظ من الليل.

ما يقول إذا دخل المسجد وإذا خرج؟

عن أبي حُميد أو عن أبي أُسيد؛ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك[2].

قال النووي في الأذكار: يستحب الإكثار من ذكر الله تعالى، ومن قراءة القرآن، وحديث رسول الله ﷺ، والفقه وسائر العلوم الشرعية. (قلت: من غير تشويش على المصلين).

الأذان ـ فضله وأذكاره

١ ـ عن معاوية؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة[3].

٢ ـ عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حُصاص[4].

٣ ـ عن أبي سعيد الخدري؛ قال لرجل: إني أراك تحب الغنم والبادية. فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذّنت بالصلاة فارفع صوتك بالأذان، فإنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة[5].

---

(١) م: ٢ ـ كتاب الطهارة/٦ ـ باب الوضوء ح: ١٧.
(٢) م: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/١٠ ـ باب ما يقول إذا دخل المسجد ح: ٦٢.
(٣) م: ٤ ـ كتاب الصلاة/٨ ـ فضل الأذان. ح: ١٤.
(٤) م: المصدر السابق. ح: ١٧.
(٥) خ: ١٠ ـ كتاب الأذان/٥ ـ باب رفع الصوت بالنداء.

ما يقول مَنْ سمع المؤذن؟

١ ـ عن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان. فإذا سمع أذاناً أمسك، وإلا أغار، فسمع رجلاً يقول: الله أكبر. الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: على الفطرة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله. أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: خرجت من النار. فنظروا فإذا هو راعي معزى[١].

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري؛ أن رسول الله ﷺ قال: إذا سمعتم المؤذن تقولوا مثل ما يقول المؤذن[٢].

٣ ـ عن سهل بن حُنيف؛ قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان وهو جالس على المنبر أذن المؤذن، قال: الله أكبر. الله أكبر. قال معاوية: الله أكبر. الله أكبر. قال: أشهد أن لا إله إلا الله. فقال معاوية: وأنا. فلما أن قضى التأذين قال: يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ على هذا المجلس حين أذن المؤذن يقول ما سمعتم من مقالتي[٣].

٤ ـ وعن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أذن المؤذن: الله أكبر. الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر. الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر. الله أكبر. قال: الله أكبر. الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله، من قلبه دخل الجنة[٤].

٥ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال ﷺ: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ. فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلُوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد

---

(١) م: ٤ ـ كتاب الصلاة/٦ ـ باب الإمساك عن الإغارة على قوم إذا سمع فيهم الأذان. ح: ٩.

(٢) خ: ١٠ ـ كتاب الأذان/٧ ـ ما يقول إذا سمع المنادي. وم: ٤ ـ كتاب الصلاة/٧ ـ باب القول مثل قول المؤذن ح ١٠.

(٣) خ: ١١ ـ كتاب الجمعة/٢٢ ـ باب يجيب الإمام على المنبر إذا سمع المنادي.

(٤) م: ٤ ـ كتاب الصلاة/٧ ـ باب القول مثل قول المؤذن ح: ١٢.

من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو. فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة[1].

٦ ـ وعن سعد بن أبي وقاص؛ قال ﷺ: من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه[2].

٧ ـ وعن جابر بن عبد الله؛ قال ﷺ: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة[3].

أذكار الصلاة وأدعيتها

أدعية الاستفتاح

١ ـ عن أبي هريرة؛ قال: كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة إسكاتة، قال: أحسبه قال هُنَيَّة. فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرَد[4].

٢ ـ عن عَبْدة بن أبي لُبابة؛ أن عمر بن الخطاب كان يجهر بهؤلاء الكلمات، يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرك[5].

٣ ـ عن أنس؛ أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفَزَه النفَس، فقال:

---

(١) م: ٤ ـ كتاب الصلاة/٧ ـ باب القول مثل قول المؤذن، ح: ١١.

(٢) م: المرجع السابق: الحديث رقم ١٣.

(٣) خ: ١٠ ـ الأذان/٨ ـ باب الدعاء عند النداء.

(٤) خ: ١٠ ـ كتاب الأذان/٨٩ ـ باب ما يقول عند التكبير وم: ٤ ـ كتاب الصلاة/٢٧ ـ باب ما يقال بين تكبيرة الاحرام والقراءة ح: ١٣٦.

(٥) م: ٤ ـ كتاب الصلاة/١٣ ـ باب حجة من قال: لا يجهر بالبسملة ح: ٤٦.

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما قضى رسول الله صلاته قال: أيكم المتكلم بالكلمات، فأرمَّ القوم، فقال: أيكم المتكلم بها؟ فإنه لم يقل بأساً، فقال رجل: جئت وقد حفزني النفس، فقلتها، فقال: لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها(١).

٤ ـ عن ابن عمر؛ قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فقال رسول الله ﷺ: من القائل كلمة كذا وكذا؟ قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله. قال: عجِبت لها فتحت لها أبواب السماء. قال ابن عمر: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك(٢).

٥ ـ افتتاح صلاة الليل: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف؛ قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك. إنك تَهدي من تشاء إلى صراط مستقيم(٣).

٦ ـ عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربي وأنا عبدك. ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت. لبيك وسعديك!

---

(١) م: ٥ ـ كتاب المساجد/٢٧ ـ باب الأمر بالسكوت في الصلاة ح: ١٣٨.
(٢) م: المرجع السابق: الحديث ١٣٩.
(٣) م: ٦ ـ صلاة المسافرين/٢٥ ـ باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل. ح: ١٩٥.

والخير كلُّه في يديك، والشر ليس إليك. أنا بك وإليك. تباركت وتعاليت. استغفرك وأتوب إليك...[1].

أذكار القراءة في الصلاة

في حديث حذيفة في مسلم... يقرأ (أي النبي ﷺ) مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوَّذ...[2].

التأمين

في حديث أبي موسى الأشعري... وإذا قال (أي-الإمام): غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا: آمين يجبكم الله[3].

وعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: إذا قال أحدكم: آمين، وقالت الملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه[4].

أذكار الركوع

١ ـ سبحان ربي العظيم عدداً من المرات. في حديث حذيفة السابق الإشارة إليه: ... ثم ركع (أي الرسول ﷺ) فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه...[5].

٢ ـ سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، تأويلاً للقرآن (أي في سورة النصر) كما قالت عائشة[6].

---

(١) م: ٦ ـ صلاة المسافرين/٢٥ ـ باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل ح: ١٩٦.

(٢) م: المرجع السابق الحديث ١٩٧.

(٣) م: ٤ ـ الصلاة/١٨ ـ باب التشهد في الصلاة. من الحديث رقم ٥٤.

(٤) خ: ١٠ ـ الأذان/١٢ ـ باب فضل التأمين و ١١٣ ـ جهر الإمام بالتأمين. وم: ٤ ـ كتاب الصلاة/١٨ ـ باب التسميع والتحميد والتأمين. ح ٦٢و ٦٣.

(٥) م: ٦ ـ صلاة المسافرين/٢٧ ـ استحباب تطويل القراءة في الصلاة. رواية من الحديث رقم ١٩٧.

(٦) خ: ١٠ ـ الأذان/٣٩ ـ باب التسبيح والدعاء في السجود. وم: ٤ ـ الصلاة ٤٢ ـ باب ما يقال في الركوع والسجود. ح: ١٨٩.

٣ ـ سبحانك وبحمدك استغفرك وأتوب إليك. فعن عائشة؛ قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحانك وبحمدك استغفرك وأتوب إليك. قالت: قلت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: جُعِلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [سورة النصر، الآيتان ١ و٢][١].

٤ ـ سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح[٢].

٥ ـ اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت. خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي. هذا من حديث علي[٣].

أذكار الرفع من الركوع

صيغة أو أكثر من الصيغ الصحيحة الآتية:

١ ـ سمع الله لمن حمده. ربنا لك الحمد.

فعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد. فإن مَنْ وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه[٤].

وعن أبي موسى الأشعري... وإذا قال سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا لك الحمد يسمع الله لكم، فإن الله تبارك وتعالى قال على لسان نبيه ﷺ: سمع الله لمن حمده[٥].

٢ ـ سمع الله لمن حمده. ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

---

(١) م: ٤ ـ كتاب الصلاة/ ٤٢ ـ باب ما يقال في الركوع والسجود. ح ١٩٠.

(٢) م المرجع السابق ـ الحديث ١٩٥.

(٣) م: ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين/٢٧ ـ باب استحباب تطويل القراءة في الصلاة ح: ١٩٦.

(٤) خ: ١٠ ـ الأذان/١٢٥ ـ باب فضل اللهم ربنا لك الحمد. وم: ٤ ـ الصلاة/١٨ باب التسميع والتحميد والتأمين. ح ٦٠.

(٥) م: ٤ ـ الصلاة/١٦ ـ باب التشهد في الصلاة. ح ٥٤.

ففي حديث رفاعة بن رافع الزُّرَقي: . . . فلما رفع (أي رسول الله ﷺ) رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده. قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما انصرف قال: من المتكلم؟ قال: أنا. قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول[1].

٣ ـ سمع الله لمن حمده. اللهم ربنا لك الحمد مِلْءَ السمٰوات ومِلْءَ الأرض وملء ما شئت من شيء بعد[2].

٤ ـ ما سبق في (٣) وزيادة: اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد. اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الوسخ[3].

٥ ـ ما سبق في (٣) وزيادة: أهل الثناء والمجد. أَحَقُّ ما قال العبد، وكلنا لك عبد: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد[4].

القنوت

القنوت عند الحنفية واجب في الوتر قبل ركوع الثالثة، وعند المالكية والشافعية سنة في اعتدال الركعة الثانية من صلاة الصبح، وعند الحنابلة سنة في الوتر، والقنوت في النوازل غير مختص بوقت من الأوقات ولا بصيغة من الصيغ.

ولم يُصَبِ الإسلام ـ ولن يصاب ـ بمثل نازلة السرطان اليهودي في فلسطين، فالقنوت مطلوب في جميع الصلوات إن لم يكن واجباً حتى يرفع الله عنا هذا البلاء.

---

(١) خ: /١٠/١٢٦ ـ

(٢) م: ٤ ـ الصلاة/ ٤٠ ـ باب ما يقول إذا رفع رأسه. ح ١٧٦ و ١٧٧. وفي: ٦ ـ صلاة المسافرين/٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه. ح ١٩٦.

(٣) م: ٤ ـ كتاب الصلاة/ ٤٠ ـ باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ح ١٧٨.

(٤) م: المرجع السابق الحديث ١٧٩ و ١٨٠.

وصيغته عند أبي داود والترمذي وقال: حديث حسن وعند النسائي وابن ماجة: اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت. تباركت ربنا وتعاليت[1]. ويزيد المصلي في القنوت وفي دعاء بعد الصلاة وفي كل الأوقات الدعاء على اليهود بما دعا به رسول الله ﷺ على أهل مكة وعلى الأحزاب وبما دعا به إذا خاف قوماً وسيأتي كل هذا إن شاء الله.

أذكار السجود

الاجتهاد في الدعاء مطلوب في السجود. أما قراءة القرآن فقد ورد النهي عنها في الركوع والسجود.

فمن حديث ابن عباس قوله ﷺ: . . . ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً. أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقَمِنٌ أن يستجاب لكم[2].

وعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء[3].

أما صيغ الدعاء:

١ - سبحان ربي الأعلى. ففي حديث حذيفة. . . ثم سجد (أي رسول الله ﷺ)، فقال: سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه[4].

---

(١) في السنن الأربع في أبواب الوتر.
(٢) م: ٤ - الصلاة/٤١ - باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ح ١٨١.
(٣) م: ٤ - الصلاة/٤٢ - باب ما يقال في الركوع والسجود. ح ١٨٧.
(٤) م: ٦ - صلاة المسافرين/٢٧ - باب صلاة استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ح: ١٩٧.

٢ - اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت. سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره، وشق سمعه وبصره. تبارك الله أحسن الخالقين [١].

٣ - سبحان اللهم ربنا وبحمدك. اللهم اغفر لي [٢].

٤ - سبوح قدوس رب الملائكة والروح [٣].

٥ - اللهم اغفر لي ذنبي كُله: دِقَّه وجِلَّه وأوله وآخره وسره وعلانيته [٤].

٦ - اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك. وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك. أنت كما أثنيت على نفسك [٥].

أذكار بين السجدتين

١ - رب اغفر لي. رب اغفر لي. فمن حديث حذيفة في طول صلاة النبي ﷺ: . . . كان ﷺ يقول بين السجدتين: رب اغفر لي. رب اغفر لي [٦].

٢ - رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني [٧].

أذكار التشهد

١ - اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيخ الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم، فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم! فقال: إن الرجل

---

(١) م: ٦ - صلاة المسافرين/٢٦ - باب صلاة النبي ودعائه بالليل ح: ١٩٦.

(٢) خ: ١٠ - الأذان/٣٩ - باب التسبيح والدعاء في السجود. و م: - الصلاة/٤٢ - باب ما يقال في الركوع والسجود. ح: ١٨٩.

(٣) م: المرجع السابق. الحديث ١٩٥.

(٤) م: ٤ - الصلاة/٤٢ - باب ما يقال في الركوع والسجود. ح ١٨٨.

(٥) م: ٤ - كتاب الصلاة/٤٢ - باب ما يقال في الركوع والسجود ح ١٩٤.

(٦) قال النووي في الأذكار/٢٨: في سنن أبي داود والترمذي والنسائي والبيهقي.

(٧) رواه أبو داود والترمذي.

إذا غَرِم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف. فعن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان يدعو به في الصلاة[1].

٢ ـ اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. فعن أبي بكر الصديق؛ أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: قل: اللهم إني ظلمت. . . الحديث[2].

٣ ـ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت. فعن علي بن أبي طالب في حديثه السابق في الاستفتاح. . . كان آخر ما يقول النبي ﷺ بين التشهد والتسليم: اللهم اغفر لي. . . إلى آخره[3].

أذكار بعد الصلاة

ختم الصلاة

١ ـ الاستغفار ثلاثاً. اللهم أنت السلام ومنك السلام ـ تباركت يا ذا الجلال والإكرام. فعن ثوبان: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام ـ تباركت يا ذا الجلال والإكرام: قال الوليد (أحد الرواة) للأوزاعي (أحد الرواة): كيف الاستغفار؟ قال: تقول: استغفر الله. استغفر الله[4].

وعن عائشة؛ قالت: كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام، ومنك السلام. تبارك ذا الجلال والإكرام[5].

---

(١) خ: ١٠ ـ الأذان/١٤٩ ـ باب الدعاء قبل السلام. وم: ٥ ـ كتاب المساجد ٢٥ ـ باب ما يستعاذ منه في الصلاة ح ١٢١.

(٢) خ: ٩٧ ـ التوحيد/٩ باب قول الله تعالى: وكان الله سميعاً بصيراً.

(٣) م: ٦ ـ صلاة المسافرين/٢٦ ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح ١٩٦.

(٤) م: ٥ ـ كتاب المساجد/٢٦ ـ استحباب الذكر بعد الصلاة ح ١٢٦.

(٥) م: المرجع السابق الحديث ١٢٧.

٢ ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، له الملك ولـه الحمد وهـو على كل شيء قدير ثلاث مرات. لما رواه وراد كاتب المغيرة بن شعبة؛ أن معاوية كتب إلى المغيـرة أن اكتب إليَّ بحـديث سمعتـه من رسـول الله ﷺ. قـال: فكتب إليـه المغيرة: إني سمعتـه يقول عنـد انصرافـه من الصـلاة: لا إلـه إلا الله... الحديث[1].

٣ ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، له الملك ولـه الحمد وهـو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. فعن وراد كاتب المغيرة بن شعبة، قـال: أملى عليَّ المغيرة في كتـاب إلى معاويـة، أن النبي ﷺ كان يقـول في دبر كـل صلاة مكتـوبـة: لا إله إلا الله وحده... الحديث[2].

٤ ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، له الملك ولـه الحمد وهـو على كل شيء قدير. لا حول ولا قوة إلا بالله ـ لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إيـاه. له النعمة، وله الفضل وله الثنـاء الحسن. لا إلـه إلا الله مخلصين لـه الدين ولـو كره الكافرون. فعن أبي الزبير؛ قال: كان ابن الزبير يقول في دبـر كل صـلاة حين يسلـم: لا إلـه إلا الله... وقال: كـان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبـر كل صلاة[3].

٥ ـ اللهم أعِنّي على ذكــرك وشكـرك وحسن عبــادتـك. فعن معــاذ؛ قال ﷺ: أوصيك يا معاذ لا تدعَنَّ في دبر كل صلاة: اللهم أعني...[4].

٦ ـ التسبيح والتحميد والتكبير بإحدى الصيغ الآتية:

أ ـ سبحان الله، والحمد لله، والله أكبـر (معاً) ثـلاثاً وثـلاثين. فعن أبي

---

(١) خ: ٨٠ ك ـ الدعوات/٢٢ ـ باب ما يكره من قيل وقال.

(٢) خ: ١٠ ـ الأذان/١٥٥ ـ باب التكبير بعد الصلاة. وم: ٥ ـ المسـاجد/٢٦ ـ بـاب استحبـاب الذكر بعد الصلاة ح ١٢٨ ـ ١٣٠.

(٣) م: ٥ ـ المساجد/٢٦ ـ باب استحباب الذكر بعد الصلاة ح ١٣١.

(٤) قال النووي في الأذكار: رويناه باسناد صحيح في سنن أبي داود والنسائي.

هريرة، قال: جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون. قال: ألا أحدثكم بما إن أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يسبقكم من بَعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين.

فاختلفنا بيننا، فقال بعضنا: نسبح ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين، فرجعت إليه (إلى أبي صالح في رواية مسلم) فقال: تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلِّهن ثلاثاً وثلاثين[1].

ب ـ سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، وتمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. فعن أبي هريرة؛ قال ﷺ: من سبح لله ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[2].

ج ـ التسبيح ثلاثاً وثلاثين، والتحميد ثلاثاً وثلاثين، والتكبير أربعاً وثلاثين. فعن كعب بن عُجْرة؛ قال: قال ﷺ: مُعقِّبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة[3].

د ـ التسبيح إحدى عشرة، والتحميد إحدى عشرة، والتكبير إحدى

---

(١) خ: ١٠ ـ الأذان/١٥٥ ـ باب الذكر بعد الصلاة. وم: ٥ ـ المساجد/٢٦ ـ باب استحباب الذكر بعد الصلاة. ح ١٣٢.

(٢) م: المرجع السابق من مسلم الحديث ١٣٥.

(٣) م: المرجع السابق من مسلم. الحديث ١٣٣ و ١٣٤.

عشـرة. فعن أبي هريـرة عن رسول الله ﷺ؛ أنهم قـالوا: يـا رسول الله ذهب أهـل الدثـور بالـدرجات العـلا والنعيم المقيم بمثل المتفق عليـه السـابق في رقم (١). وزاد: يقول سهيل: إحدى عشرة إحدى عشرة فجميع ذلك ثلاثة وثلاثون[١].

التسبيـح عشراً، والتحميـد عشراً، والتكبيـر عشـراً. فعن أبي هـريـرة، قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم... قـال ﷺ: تسبحون في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدون عشراً، وتكبرون عشراً[٢].

٧ ـ الدعاء: ويكـون من الوارد من الأدعيـة المطلقـة، ومما يشـاء المرء من خير الدنيا والآخرة، وقد ورد من الذكر المقيد ببعد الصلاة ما يأتي:

أ ـ اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمـر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبـر. فعن عمرو بن ميمـون الأوْدي؛ قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم الغلمان الكتابـة، ويقول: إن رسول الله كان يتعوذ منهن دبر الصلاة[٣].

ب ـ اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني. فعن أبي مالك الأشجعي، قال: كان الـرجل إذا أسلم علمـه النبي الصلاة ثم أمـره أن يدعـو بهؤلاء الكلمات[٤].

ج ـ رب قني عذابك يوم تبعث أو تجمع عبادك. فعن البراء، قـال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون على يمينه يقبل علينـا بوجهـه، فسمعته يقول: رب قِني عذابك...[٥].

---

(١) م: ٥ ـ المساجد/٢٦ ـ باب استحباب الذكر بعد الصلاة. رواية من الحديث رقم ١٣٢.
(٢) خ: ٨٠ ـ كتاب الدعوات/١٨ ـ باب الدعاء بعد الصلاة.
(٣) خ: ٥٦ ـ الجهاد/٢٥ ـ باب ما يتعوذ من الجبن.
(٤) م: ٤٨ ـ الذكر/١٠ ـ باب فضل التهليل والتسبيح. ح ٣٥ و٣٦.
(٥) م: ٦ ـ صلاة المسافرين/٨ ـ باب استحباب يمين الإمام. ح ٥٥.

صلاة الكسوف

تكرر في جميع أحاديث السكوف والخسوف في الصحيحين وكتب السنن أنهما آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، ووجَّه الرسول ﷺ حين حدوثهما إلى الذكر من تسبيح وتهليل وتحميد وتكبير، والدعاء والاستغفار والصلاة، والصدقة، فقال:

أ ـ في حديث عائشة: . . . فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكبروا وصلوا وتصدقوا[1].

ب ـ وفي حديث ابن عباس: . . . فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله[2].

ج ـ وفي حديث أبي موسى: . . . فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره[3].

د ـ وفي حديث عائشة: . . . ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر[4].

هـ ـ وفي حديث عبد الرحمن بن سَمُرة؛ قال أتيت النبي ﷺ، وقد كسفت الشمس وهو قائم في الصلاة رافع يديه فجعل يسبح ويهلل ويكبر ويحمد ويدعو حتى حُسِر عنها. فلما حسر عنها قرأ سورتين وصلى ركعتين[5].

صلاة الاستسقاء

إن ترك عمر صلاة الاستسقاء برسول الله ﷺ بعد وفاته، واستسقاءه بالعباس لمن أقوى الأدلة على عدم جواز الدعاء بالأموات والتوسل بهم ولو كان

---

(١) م: ١٠ كتاب الكسوف/الحديث رقم ١.

(٢) خ: ١٦ ـ كتاب الكسوف/٩ ـ باب صلاة الكسوف جماعة. وم: ١٠ ـ كتاب الكسوف/٣ ـ باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف. ح ١٤.

(٣) خ ١٦ ـ كتاب الكسوف/١٤ ـ باب الذكر في الكسوف. وم: ١٠ ـ كتاب الكسوف/٥ ـ باب النداء بصلاة الكسوف. ح ٢١.

(٤) خ؛ ١٦ ـ كتاب الكسوف/٧ ـ باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف.

(٥) م: ١٠ ـ كتاب الكسوف/٥ ـ باب النداء لصلاة الكسوف: الصلاة جامعة. ح ٢٢.

المصطفى ﷺ. فعن أنس أن عمر بن الخطاب كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقِنا. قال: فيُسقون[1].

الدعاء عند الاستخارة

عن جابر، قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلِّم السورة من القرآن، يقول: إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإنك تقدر ولا أقدِر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر ثم تسميه بعينه خيراً لي في عاجل أمري وآجله أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدُره لي ويسِّره لي، ثم بارك لي فيه. اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: في عاجل أمري وآجله فاصرفه عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به[2].

في سجود التلاوة

سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته. فعن عائشة، قالت، كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن: سجد وجهي . . . الحديث[3].

---

(١) خ: ١٥ ـ كتاب الاستسقاء/٣ ـ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

(٢) خ: ١٠ ـ باب قوله تعالى: ﴿قل هو القادر﴾ /٩٧ التوحيد.

(٣) أبو داود في: ٧ ـ كتاب السجود برقم ١٤١٤ ص ٦٠ ج ٢. والترمذي في كتاب الصلاة باب ما يقول في سجود القرآن برقم ٥٨ ص ٤٧٤ ح ٢. وقال: حسن صحيح.
والنسائي من ١٢ ـ التطبيق ص ٢٢٢ ح ٢.

الفصل الثاني

أذكار الزكاة والصيام وأدعيتهما

أذكار الزكاة

١ ـ يمكن أن نأخذ من هدى القرآن الكريم أن يقول المتصدق وكل من عمل عملاً يرجو ثوابه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٢٧]، كما كان سيدنا إبراهيم يدعو وهو يبني الكعبة.

٢ ـ كما أن من هدى القرآن الكريم أن يدعو آخذ الزكاة المستحق أو العامل عليها للمُعطي لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٠٣]، ولِما روى الصحيحان عن عبد الله بن أبي أوفى؛ قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صلِّ على آل فلان. فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صلِّ على آل أبي أوفى[١].

٣ ـ وسيأتي ما ورد في شكر من صنع إلينا معروفاً.

الأذكار المتعلقة بالصيام

ما يقول إذا رأى الهلال؟

قال النووي في الأذكار: قال أبو داود: ليس في هذا الباب عن النبي ﷺ حديث مسند صحيح.

---

(١) خ: ٢٤ ـ كتاب الزكاة/٦٤ ـ باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدق، وم: ١٢ ـ كتاب الزكاة/٥٤ ـ باب الدعاء لمن أتى بصدقته. ح ١٨٠.

ما يقول إذا شتمه أحد وهو صائم؟

١ ـ عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: الصيام جُنَّة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم. . . [١]

٢ ـ وعنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصومُ، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخَب. فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم[٢].

٣ ـ وعنه، عن النبي ﷺ؛ قال: إذا دُعي أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل: إني صائم[٣].

ما يقول إذا أفطر عند قوم؟

عن أنس؛ أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عُبادة، فجاء بخبز وزيت، فأكل، ثم قال النبي ﷺ: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة[٤].

قيام رمضان

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال ﷺ: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه[٥].

ذكر العشر الأواخر من رمضان والاعتكاف فيها.

بالذكر والدعاء المطلق والمقيد وبالصلاة لما روى الشيخان:

---

(١) خ: ٣٠ ـ كتاب الصوم/٢ ـ باب فضل الصوم، وم: ١٣ ـ كتاب الصيام/٢٩ ـ باب حفظ اللسان للصائم ح ١٦٧.

(٢) خ: ٣٠ ـ الصوم/٩ ـ باب هل يقول: إني صائم إذا شتم؟، وم: ١٣ ـ الصيام/٣٠ ـ باب فضل الصيام. ح: ١٧٠.

(٣) م: ١٣ ـ الصيام/٢٨ ـ باب الصائم يدعى لطعام أو يقاتل فليقل: أني صائم. ح: ١٦٦.

(٤) قال النووي في الأذكار ص ٨٦: رويناه في سنن أبي داود وغيره بالإسناد الصحيح.

(٥) خ: ٢ ـ الإيمان/٢٨ ـ باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، وم: ٦ ـ صلاة المسافرين/ ٢٥ ـ باب الترغيب في قيام رمضان. ح: ١٦٩.

١ ـ عن عائشة؛ قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله[١].

٢ ـ وعنها؛ أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده[٢].

٣ ـ وعنها؛ قالت: كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خِباء، فيصلي الصبح، ثم يدخله... إلخ[٣].

٤ ـ وعن أبي هريرة؛ قال: كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام. فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوماً[٤].

٥ ـ وعن عائشة في حديثها عن ضرب أزواج النبي ﷺ أربع قباب في المسجد للاعتكاف: قال النبي ﷺ: انزعوها فلا أراها، فنزعت، فلم يعتكف في رمضان حتى اعتكف في آخر العشر من شوال[٥].

٦ ـ وبوب النووي في الأذكار: ص ٨٦ باب ما يدعو به إذا صادف ليلة القدر، وقال: روينا بالأسانيد الصحيحة في كتاب الترمذي والنسائي وابن ماجة عن عائشة؛ قالت: قلت: يا رسول الله إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

---

(١) خ: ٣٢ ـ ليلة القدر/٥ ـ باب العمل في العشر الأواخر من رمضان وم: ١٤ ـ الاعتكاف/٣ ـ باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان. ح: ٧.

(٢) متفق عليه: خ في ٣٣ ـ الاعتكاف/١ ـ باب الاعتكاف في العشر الأواخر وم: ١٤ ـ كتاب الاعتكاف/١ باب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان.

(٣) خ: ٣٣ ـ الاعتكاف/٦ ـ باب اعتكاف النساء، وم: ١٤ ـ الاعتكاف/٢ ـ متى يدخل من أراد الاعتكاف في معتكفه. ح: ٦.

(٤) خ: ٣٣ ـ ليلة القدر/٣ ـ باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان.

(٥) خ: ٣٢ ـ ليلة القدر/٣ ـ باب تحري ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان.

ولم يرد ذكر أو دعاء خاص بقيام رمضان أو العشر الأواخر من رمضان، ولا في الاعتكاف فيها، ولكن في الذكر والدعاء المطلقين والمقيدين كفاية لمن أراد الغنيمة.

الفصل الثالث

أذكار السفر والحج

السفر

قال النووي: اعلم أن الأذكار التي تستحب للحاضر في الليل والنهار واختلاف الأحوال يستحب للمسافر أيضاً، ويكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، وذلك مشروط بكون السفر في طاعة.

فعن أبي بُرْدة، واصطحب هو ويزيد بن أبي كَبْشة في سفر فكان يزيد يصوم في السفر، فقال له أبو بردة: سمعت أبا موسى مراراً يقول: قال رسول الله ﷺ: إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يعمل صحيحاً مقيماً[1].

بعد استقرار العزم على السفر

قال النووي في الأذكار ص ٩٦: يجتهد المسافر في تحصيل أمور منها أن يوصي بما يحتاج إلى الوصية به، ويستحِل كل من كانت بينه وبينهم معاملة، ويسترضي والديه، ويطلب من الله المعونة على سفره، ويجتهد في تعلُّم ما يحتاج إليه في سفره حجاً كان أو غزواً أو تجارةً أو سياحةً أو صيداً أو مهمةً رسمية. وهذا التعلم من جملة الذكر.

وقال: ويستحب أن يودع أهله وأقاربه وأصحابه وجيرانه ويسألهم

---

(١) خ: ٥٦ ـ كتاب الجهاد/١٣٤ ـ باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة.

الدعاء، ويدعو لهم، وروينا في كتاب الترمذي أن ابن عمر كان يقول للرجل إذا أراد سفراً: ادن مني أودعْك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول: استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك[1].

قال النووي في الأذكار: وروينا في سنن أبي داود وغيره بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن يزيد الخَطْمي؛ قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يودع الجيش قال: استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم[2].

ويطلب المقيم الدعاء من المسافر ولو كان المسافر مفضولاً.

عن عمر بن الخطاب؛ قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذِن لي، وقال: لا تنسَنا يا أُخَيَّ من دعائك، فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا[3].

ما يقول حال خروجه من بيته

عن أم سلمة؛ أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله توكلت على الله. اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَذِلَّ أو أُذَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ[4].

ما يقول إذا ركب دابة أو أية وسيلة من وسائل السفر؟

١ ـ التسمية: ففي حديث جابر عن اعتلال ناضحه، وشراء رسول الله ﷺ للناضح وسؤاله عن زواج جابر في الحديث: . . . فنخسه رسول الله ﷺ، ثم قال: اركب باسم الله[5].

---

(١) الترمذي من٤٩ ـ كتاب الدعوات/٤٤ ـ باب ما يقول إذا ودَّع إنساناً برقم ٣٤٤٢ ص ٤٩٩ ح ٥ ـ وقال: حسن صحيح.

(٢) أبو داود: كتاب الجهاد/٧٩ ـ باب الدعاء عند الوداع برقم ٢٦٠١ ص ٢٤ ح ٣.

(٣) رواه أبو داود في الوتر باب الدعاء برقم ١٤٩٨ ص ٨٠ ج ٢. والترمذي في الدعوات برقم ٣٥٦٢ وقال: حسن صحيح.

(٤) م: ٢٢ ـ رواه أصحاب السنن وفي الترمذي في ٤٩ الدعوات/٣٤ ما يقول إذا خرج من بيته برقم ٣٤٢٧ ص ٤٩٠ ح ٥ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٥) م: ٢٢ ـ كتاب المساقاة/٢١ ـ باب بيع البعير واستثناء ركوبه ح: ١٠٨.

٢ ـ عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مُقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطوِ هنا بُعده ـ اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل. اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل.

وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون[١].

٣ ـ وعن عبد الله بن سَرجِس؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وَعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحَوْر بعد الكَوْر، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال[٢].

وفي رواية من الحديث: اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر...

إذا أسحر المسافر

عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ إذا كان في سفر وأسحر يقول: سمِع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا. ربنا صاحِبْنا وأفضِل علينا، عائذاً بالله من النار[٣].

المسافر إذا صعد الثنايا وإذا هبط

عن جابر؛ قال: كنا إذا صعدنا كبَّرنا، وإذا نزلنا سبَّحنا[٤].

وعن أبي موسى الأشعري؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا، ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: يا أيها الناس

---

(١) م: ١٥ ـ الحج/٧٥ ـ باب استحباب الذكر إذا ركب دابته ح: ٣٩٤.
(٢) المرجع السابق الحديث رقم ٣٩٥.
(٣) م: ٤٨ ـ الذكر/١٨ ـ باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل ح: ٦٧.
(٤) خ: ٥٦ ـ الجهاد/١٣٢ و ١٣٣ ـ باب التسبيح إذا هبط وادياً والتكبير إذا علا شرفاً.

اربَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً. إنه سميع قريب. تبارك اسمه وتعالى جده[1].

الذكر والدعاء في حال الركوب

تجوز قراءة القرآن كما يجوز الذكر والدعاء وحتى صلاة النافلة حال الركوب للدواب ولسائر المواصلات الحديثة، وقد سبق في ترتيل القرآن أن النبي ﷺ كان يقرأ سورة الفتح على راحلة من فتح مكة.

ما يقول إذا رأى قرية يريد دخولها أو لا يريده

عن صهيب؛ أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: اللهم رب السموات السبع وما أظللن، والأرضينَ السبعِ وما أقللن، وربَّ الشياطين وما أضللن، وربَّ الرياح وما ذَرَين، أسألك خيرَ هذه القرية وخيرَ أهلها، وخيرَ ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها[2].

ما يدعو به إذا خاف ناساً أو غيرهم

عن أبي موسى الأشعري؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم[3].

ما يقول إذا نزل منزلاً

عن خولة بنت حكيم السُلَمية، أن النبي ﷺ قال: من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل[4].

عن أبي هريرة؛ أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله

---

(١) قال النووي في الأذكار: رويناه في سنن أبي داود والنسائي بالاسناد الصحيح.

(٢) قال الشيخ سيد سابق في فقه السنة الطبعة الأولى ص ١٦: رواه النسائي وابن حبان والحاكم وصححاه.

(٣) قال النووي في الأذكار: رويناه في سنن أبي داود النسائي بالاسناد الصحيح.

(٤) م: ٤٨ ـ الذكر/١٦ ـ باب التعوذ من سوء القضاء. ح: ٥٢.

مـا لقيت من عقرب لـدغتني البارحـة! قال: أمـا لو قلت حين أمسيت: أعـوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك[1].

أذكار الحج

تشمـل أذكار الحـج جميع أذكـار السفـر والإقـامـة المـطلقـة والمقيـدة بـالأوقات والمنـاسبات، كمـا تشمـل أذكـاراً من النـوع المقيـد بصيـغ الحـج ومناسباته، ومن النوع المطلق حين يرد طلب الذكر مطلقاً من الصيغة.

الإهلال

هو انتواء الحج مقترناً بالتلبية. فعن أنس؛ قال: سمعت رسـول الله ﷺ أهل بهما جميعاً: لبيك عمرة وحجًّا! لبيك عمرة وحجًّا![2].

وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ كان إذا استوت به راحلته قـائمة عنـد مسجد ذي الحليفة أهَلَّ، فقال: لبيك اللهم لبيك! لبيـك لا شريـك لك... إلى آخر التلبية[3].

التلبية عند الإحرام وطول مدة الحج

التلبية هي الذكر الأكبر للحج وأصح ما ورد فيه. ويلبي المحرم من بدء الإحرام حتى رمي جمرة العقبة. فعن ابن عباس، أن أسامة كـان رِدْف رسول الله ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى. قال: فكلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة[4].

وصيغة التلبية: لبيك اللهم لبيك! لبيك لا شريك لك لبيك! إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك[5].

---

(١) م: ٤٨ ـ الذكر/١٦ ـ باب التعوذ من سوء القضاء. ح: ن ٥٣.

(٢) م: ١٥ ـ كتاب الحج/٣٤ ـ إهلال النبي ﷺ وهديه. ح ١٩٣.

(٣) م: ١٥ ـ الحج/٣ ـ باب التلبية وصفتها ووقتها. ح: ٢٢.

(٤) خ: ٢٥ ـ الحج/٢٢ ـ باب الركوب والارتداف في الحج، و ١٠١ ـ باب التلبية والتكبير غداة النحر حين يرمي الجمرة.

(٥) خ: ٢٥ ـ الحج/٢٦ ـ التلبية، و م: ١٥ ـ الحج/ ٣ ـ باب التلبية وصفتها ووقتها ح: ٢٢.

ويرفع الملبي صوته بالإهلال. فعن أنس؛ قال: صلى النبي ﷺ بالمدينة الظهر أربعاً، والعصر بذي الحليفة ركعتين، وسمعتهم يصرخون بهما جميعاً[1].

التكبير داخل الكعبة والصلاة فيها

عن ابن عباس؛ قال: إن رسول الله ﷺ لما قدم أبَى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله ﷺ: قاتلهم الله! أما والله! لقد علموا أنهما لم يستقسما بالأزلام قط، فدخل البيت فكبر في نواحيه، ولم يصل فيه.[2].

التكبير في الطواف

عن ابن عباس؛ قال: طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبر[3].

وفي حديث[4] جابر في وصف حجة النبي ﷺ؛ قال: . . . ثم نَفَذ إلى مقام إبراهيم، فقرأ: **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾**[5].

القراءة في ركعتي الطواف

في حديث جابر في وصف حجة النبي ﷺ؛ قال: كان ﷺ يقرأ في الركعتين: قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون[6].

ذكر السعي بين الصفا والمروة

في حديث جابر في وصف حجة النبي ﷺ؛ قال جابر: . . . فلما دنا

---

(١) خ: ٢٥ ـ الحج/ ٢٥ ـ باب رفع الصوت بالإهلال.
(٢) خ: ٢٥ ـ الحج/٥٤ ـ باب من كبر في نواحي الكعبة.
(٣) خ: ٢٥ ـ الحج/٦٢ ـ باب التكبير عند الركن.
(٤) م: ١٥ ـ كتاب الحج/١٩ ـ باب حجة النبي ﷺ/ح: ١٣٢.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٥.
(٦) م: ١٥ ـ كتاب الحج/ ١٩ ـ باب حجة النبي ﷺ/ح: ١٣٢.

(أي النبي ﷺ) من الصفا قرأ: **﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾**[1] ابدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقِي عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبَّره، وقال: لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك. قال: فعل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة. حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا...[2]

التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات في يوم عرفة

١ ـ عن عمر؛ قال: غدونا مع رسول الله ﷺ من منى إلى عرفات منا الملبي، ومنا المكبِّر[3].

٢ ـ وعن محمد بن أبي بكر الثقفي؛ قال: سألت أنساً ونحن غاديان من منى إلى عرفات عن التلبية: كيف كنتم تصنعون مع النبي ﷺ؟ قال: كان يلبي الملبِّي لا يُنكر عليه، ويكبر المكبِّر فلا يُنكر عليه[4].

ذكر عرفات

الدعاء والذكر مطلوبان في يوم عرفة. فعن عائشة؛ قال ﷺ: ما من يوم أكثرَ من أن يُعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول ماذا أراد هؤلاء[5]؟.

ومجال الذكر والدعاء في هذا اليوم ذو سعة بحيث يشمل كل خير للدنيا والآخرة مما تضمنه كتابنا هذا.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٨.

(٢) م: ١٥ ـ كتاب الحج/١٩ ـ باب حجة النبي ﷺ ح: ١٣٢.

(٣) م: ١٥ ـ كتاب الحج/٤٦ ـ باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات. ح: ٢٥٥.

(٤) خ: ١٣ ـ كتاب العيدين/١٢ ـ باب التكبير أيام منى وإذا غدا إلى عرفة، وم: ١٥ ـ كتاب الحج/٤٦ ـ باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات. ح: ٢٥٢ و٢٥٣.

(٥) م: ١٥ ـ كتاب الحج//٧٩ ـ باب فضل يوم عرفة. ح: ٤٠٥.

الذكر عند المشعر الحرام

لقول الله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾. [سورة البقرة، الآية ١٩٨].

وفي حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ، قال (أي جابر): . . . حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا الله وكبره وهلله ووحده[١].

وعن عبد الله بن مسعود؛ قال: ونحن بجَمْع سمعت الذي نزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام: لبيك اللهم لبيك[٢].

التلبية والتكبير غداة النحر حين يرمي الجمرة

سبق في التلبية أن النبي ﷺ لم يزل يُلبِّي حتى رمى جمرة العقبة.

وفي حديث جابر عن حجة النبي ﷺ، قال (أي جابر): . . . حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة[٣].

وعن عبد الله بن مسعود؛ أنه رمى الجمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، ثم قال: مِن ههنا والذي لا إله غيره! قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة[٤].

وعن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا رمى الجمرة التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصيات يُكبر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها فوقف مستقبلَ القبلة رافعاً يديه يدعو. وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي الجمرة التي عند العقبة، فيرميها بسبع حصيات يكبر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف عندها[٥].

---

(١) م: ١٥ ـ كتاب الحج/١٩ ـ باب حجة النبي ﷺ ح: ١٣٢.
(٢) م: ١٥ ـ كتاب الحج/٤٥ ـ باب إدامة التلبية حتى يشرع في جمرة العقبة ح: ٢٤٨.
(٣) م: ١٥ ـ الحج/١٩ ـ باب حجة النبي ﷺ من ح ١٣٢.
(٤) خ: ٢٥ ـ الحج/١٣٨ ـ باب يكبر مع كل حصاة، وم: ١٥ ـ الحج/٥٠ ـ باب رمى جمرة العقبة . . . ويكبر مع كل حصاة. ح: ٢٨٠.
(٥) خ: ٢٥ ـ الحج/١٤٢ ـ باب الدعاء عند الجمرتين.

أذكار أيام التشريق

عن نُبَيشة الهُذَلي؛ قال: قال رسول الله: أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى(١).

أذكار الرجوع من السفر من حج أو عمرة أو غزو أو غيره

إذا نفر الحاج من منى فقد انقضى حجه، وصار مسافراً يستحب له ما يستخب للمسافر.

عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون. صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده(٢).

وعن أنس؛ قال: أقبلنا مع النبي ﷺ أنا وأبو طلحة وصفية رديفته على ناقته. حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون. فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة(٣).

---

(١) م: ١٥ ـ الصيام/٢٣ ـ باب تحريم صوم أيام التشريق ح: ١٥٠ بروايته.

(٢) خ وم: خ: ٨٠ ـ الدعوات/الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع. وم: ح ٧٤/٣٩٦ ـ باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره/١٥ ـ الحج.

(٣) م: ح ٧٦/٣٩٨ ـ ما يقال إذا رجع من سفر الحج: ١٥ ـ الحج.

الفصل الرابع

أذكار الجهاد
وفيه أدعية السفر وأذكاره

التعوذ من الجبن

عن أنس بن مالك؛ قال: كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر[1].

وفي الدعاء عند القتال عن أنس؛ أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة: التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر. فخرج بي أبو طلحة مُردِفي وأنا غلام راهقت الحلم، فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيراً يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال[2].

وعن عبد الله بن أبي أوفى؛ قال: دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب. اللهم اهزم الأحزاب! اللهم اهزمهم وزلزلهم[3]!

وعن ابن عباس؛ قال: قال النبي ﷺ وهو في قبة: اللهم إني أنشدك

(١) خ: ٥٦ ـ كتاب الجهاد/ ٢٥ ـ باب ما يتعوذ من الجبن.
(٢) خ: ٥٦ ـ كتاب الجهاد/ ٧٤ ـ باب من غزا بصبي للخدمة.
(٣) خ: ٥٦ ـ الجهاد/ ٩٨ ـ باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة.

عهدك ووعدك. اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم. فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حَسْبك يا رسول الله! فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرُّ. قال وهيب: يوم بدر[1].

التعبير عن السرور بما ينال المؤمن في الجهاد

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٦٩].

عن جندب بن أبي سفيان؛ أن رسول الله ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دميت أصبعه، فقال: هل أنت إلا أصبع دميت؟ وفي سبيل الله ما لقيت[2]؟.

وعن أنس؛ قال: بعث النبي ﷺ أقواماً من بني سليم إلى بني عامر في سبعين. فلما قدموا قال لهم خالي: أتقدَّمكم. فإن أمَّنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ، وإلا كنتم مني قريباً. فتقدم، فأمنوه. فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومئوا إلى رجل منهم، فطعنه، فأنفذه، فقال: الله أكبر! فزت ورب الكعبة! . . . الخ الحديث[3].

إذا رأى هزيمة المسلمين

يكثر من الدعاء والذكر، والتحريض على القتال.

فعن البراء في وصف هزيمة المسلمين يوم حنين؛ قال: . . . فنزل

---

(١) خ: ٥٦ ـ الجهاد/٨٩ ـ باب ما قيل في درع النبي ﷺ.

(٢) خ: ٥٦ ـ الجهاد/٩ ـ باب من ينكب في سبيل الله، وم: ٣٢ ـ الجهاد/ ٣٩ ـ باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين. ح ١٠٢.

(٣) خ: ٥٦ ـ الجهاد/٩ ـ باب من ينكب في سبيل الله، وم: ٣٣ ـ كتاب الإمارة/ ٤١ ـ باب ثبوت الجنة للشهيد. ح ١٤٣.

رسول الله ﷺ عن بغلته، فاستنصر، وقال: أنا النبي لا كَذِب! أنا ابن عبد المطلب!، ثم صفَّهم[1].

وفي رواية من الحديث عن البراء، قال: . . .: فنزل رسول الله ﷺ، ودعا واستنصر، وهو يقول: أنا النبي لا كذب! أنا ابن عبد المطلب! اللهم نزِّل نصرك[2].

إذا رأى النصر

يحذر من الإعجاب بالنفس، ويحمد الله عز وجل بما سيذكر إن شاء الله لمن يرى ما يسره، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فقد قالها النبي ﷺ وهو يطعن الأصنام حول الكعبة يوم فتح مكة فتخر للأنف[3].

ذكر العودة من الجهاد

سبق في أذكار العودة من السفر.

---

(١) خ: ٥٦ - الجهاد/٩٧ - باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل واستنصر، وم: ٣٢ - الجهاد/٢٨ - باب غزوة حنين. ح: ٧٤.

(٢) م: المرجع السابق الحديث رقم ٧٥.

(٣) خ: ٤٨ - باب اين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح/٦٤ - المغازي.

الباب السابع

أذكار الأحوال الخاصة بالانسان

الفصل الأول

أذكار الطعام والشراب

الذكر عند الذبح

فعن أنس؛ قال: ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمَّى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما[١].

ومن حديث عائشة: . . . قال ﷺ: يا عائشة هلُمِّي المديةَ[٢]، ثم قال: اشحذيهما بحجر، ففعلتْ، ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه، ثم قال: باسم الله. اللهم تقبل من محمد وآل محمد، ومن أمة محمد ثم ضحى به[٣].

أذكار ذكاة الصيد بالكلاب والطيور الجارحة والسهام والبندقية.

الأصل فيها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتِ وَمَا عَلِمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ. . .﴾ [سورة المائدة، الآية ٤].

وعن عدي بن حاتم؛ قال: قلت: يا رسول الله إني أرسل الكلاب

---

(١) خ وم: ٧٣ ـ كتاب الأضاحي/١٤ ـ باب التكبير عند الذبح. وم: ٣٥ ـ كتاب الأضاحي/٣ ـ باب استحباب الضحية ح: ١٦.

(٢) المدية: السكين للذبح.

(٣) م: المرجع السابق الحديث رقم ١٧.

المعلَّمة فيُمسكن عليَّ، وأذكر اسم الله عليه، فقال: إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت اسم الله عليه فكل. قلت: وإن قتلن؟ قال: وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس معها(١).

وعنه؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن الصيد، قال: إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله. فإن وجدته قد قتل فكُل، إلا إن تجده قد وقع في ماء، فإنك لا تدري: الماءُ قتله أو سهمك(٢)؟.

التسمية على ما لم يعرف: أذكر اسم الله عليه أم لا؟.

عن عائشة؛ أن قوماً قالوا: يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندري: أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: سمُّوا الله عليه وكلوه(٣).

التسمية عند الأكل والشرب

عن عمر بن أبي سلمة، قال: كنت غلاماً في حَجر رسول الله ﷺ. فكانت يدي تطيش في الصحْفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك. فكانت تلك طِعْمتي بعد(٤).

وعن جابر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عَشاء، وإذا دخل الرجل فلم يذكر اسم الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعَشاء(٥).

---

(١) خ: ٧٢ ـ كتاب الذبائح والصيد/٣ ـ باب ما أصاب المعراض بحده، وم: ٣٤ ـ كتاب الصيد والذبائح/١ ـ باب الصيد بالكلاب المعلمة ح: ١.

(٢) م: ٣٤ ـ كتاب الصيد والذبائح/١ ـ باب الصيد بالكلاب المعلمة ح ٧.

(٣) خ: ٣٤ ـ كتاب البيوع/٥ ـ باب من لم ير الوساوس ونحوها من المشبهات.

(٤) خ: ٧٠ ـ كتاب الأطعمة/٢ ـ باب التسمية على الطعام والأكل باليمين. وم: ٣٦ ـ كتاب الأطعمة/١٣ ـ باب آداب الطعام والشراب ح ١١١.

(٥) م: المرجع السابق الحديث رقم ١٠٦.

وعن عائشة؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله. فإن نسي أن يذكر الله تعالى في أوله فليقل: باسم الله أوله وآخره[1].

الحمد عند نهاية الطعام والشراب

عن أنس بن مالك؛ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمدَه عليها، أو يشرب الشَّربة فيحمدَه عليها[2].

عن أبي أُمامة؛ أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفيٍّ ولا مُودَّع، ولا مستغنًى عنه ربَّنا[3].

وعنه؛ أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه ـ وقال مرة: إذا رفع مائدته ـ قال: الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفِيٍّ ولا مكفور، وقال مرة: الحمد لله ربِّنا غيرَ مكفيٍّ ولا مودَّع، ولا مستغنى ربنا[4].

الأكل عند الغير والدعاء لصاحب الطعام

عن عبد الله بن بُسْر؛ قال: نزل رسول الله ﷺ على أَبِي فقربنا إليه طعاماً ووَطْبة، فأكل منها، ثم أُتِي بتمر فكان يأكله ويلقي النوي بين إصبعيه، ويجمع السبابة والوسطى، ثم أُتي بشراب فشربه، ثم ناوله الذي على يمينه، فقال أبي: ادع الله لنا، فقال: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، فاغفر لهم وارحمهم[5].

---

(١) أبو داود: ٢٦ ـ كتاب الأطعمة/٣ ـ باب التسمية على الطعام رقم ٣٧٦٧ ص ٣٤٠ ح٣.
والترمذي: ٢٦ ـ كتاب الأطعمة/٤٧ ـ باب ما جاء في التسمية على الطعام رقم ١٨٥٨ص ٢٨٨ حـ ٤ وقال: حسن صحيح.
وابن ماجة: ٢٩ ـ كتاب الأطعمة/٧ ـ باب التسمية على الطعام برقم ٣٢٦٤ ص ١٠٨٣ح ٢.

(٢) م: ٤٨ ـ كتاب الذكر/٢٤ ـ باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ٨٦.

(٣) خ: ٧٠ ـ كتاب الأطعمة/٥٤ ـ با ما يقول إذا فرغ من طعامه.

(٤) المرجع السابق.

(٥) م: ٣٦ ـ كتاب الأشربة ٢٢ ـ استحباب دعاء الضيف لأهل الطعام ح ١٥٦.

وعن المقداد في حديثه الطويل عن شربه لبناً كان مُعدًّا للرسول ﷺ، قال الرسول ﷺ بعد أن شرب: اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني[1].

وعن أنس، أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة، فجاء بخبز وزيت، فأكل، ثم قال النبي ﷺ: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة[2].

---

(١) م: ٣٦ - كتاب الأشربة/٣٢ - باب إكرام الضيف ح ١٨١.

(٢) أبو داود: ٢٦ - كتاب الأطعمة ٥٤ - باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام رقم ٣٨٥٤ ص ٣٦٧ ح ٣. وابن ماجة: ٧ - كتاب الصيام/٤٥ - باب ثواب من فطّر صائماً رقم ١٧٤٧ ص ٥٥٦ ح ١.

الفصل الثاني

أذكار النكاح

خطبة النكاح

من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهْد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ إلى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [سورة النساء الآية الأولى]. ﴿يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حقَّ تقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٠٢]. ﴿يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ إلى ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان ٦٩ و٧٠][1].

ما يقول ليلة الزفاف

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ؛ قال: إذا تزوج امرأة أو اشترى خادماً فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبَلْتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جُبِلَتْ عليه[2].

---

(١) قال النووي في الأذكار: رويناه في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة بالأسانيد الصحيحة.

(٢) قال النووي في الأذكار: رويناه بالأسانيد الصحيحة في سنن أبي داود وابن ماجة وابن السني وغيرهما.

التهنئة بالزواج

عن أنس؛ أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صُفرة، قال: ما هذا؟ قال: إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. قال: بارك الله لك! أولِم ولو بشاة[1].

وعن عائشة في وصف زواجها من رسول الله ﷺ؛ قالت: ... ثم أدخلتني أمي الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة! وعلى خير طائر![2].

وعن جابر ـ لما تزوج؛ قال: هلك أبي وترك تسع بنات أو سبعاً، وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن، فقال: بارك الله أو خيراً[3].

وعن أنس في وصف زواج رسول الله ﷺ بزينب؛ قال: ... فانطلق رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة، فقال: السلام عليكم أهلَ البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله. كيف وجدت أهلك؟ بارك الله لك! فتقرَّى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة... إلخ الحديث[4].

ما يقول عند الجماع

عن ابن عباس؛ قال: قال النبي ﷺ: أمَا لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: باسم الله! اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قُدِّر بينهما في ذلك أو قُضِي ولدٌ لم يضره الشيطان أبداً.

---

(1) خ: ٦٧ ـ كتاب النكاح/٥٧ ـ باب كيف يدعى للمتزوج، م: ١٦ ـ كتاب النكاح/١٢ ـ باب الصداق. ح: ٧٥.

(2) خ: ٦٧ ـ كتاب النكاح/٥٨ ـ باب دعاء النساء اللائي يهدين العروس.

(3) خ: ٦٩ ـ كتاب النفقات/١٢ ـ باب عون المرأة زوجها في ولده، وم: ١٧/ ـ كتاب النكاح/١٦ ـ باب استحباب نكاح البكر. ح ٥٢.

(4) خ: ٦٥ ـ كتاب التفسير/السورة ٣٣/٨ ـ باب قوله: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾. ح: ٤ و٥.

عندما يولد ولد

عن أبي رافع؛ قال: رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة[1].

عن أبي موسى الأشعري؛ قال: ولد لي غلام فأتيت به رسول الله ﷺ، فسماه إبراهيم، ووضعه في حجره، وحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة ودفعه إليَّ[2].

ومثل هذا عن أسماء حين ولدت عبد الله بن الزبير، قالت: . . . ثم دعا له، فبرك عليه[3].

أقول: وهذه خاصية لرسول الله ﷺ لا يقاس عليها.

تسمية المولود

عن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن[4].

وعن ابن عباس: كانت جويرية أسمها بَرَّة، فحول رسول الله ﷺ اسمها جويرية، وكان يكره أن يقول: خرج من عند برة[5].

تعويذ الأطفال

عن ابن عباس؛ قال: كان رسول الله ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة ومن كل عين لامَّة[6].

---

(1) قال النووي في الأذكار: رويناه في سنن أبي داود والترمذي وقال: حسن صحيح.
(2) خ: ٧١ ـ كتاب العقيقة/١ باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق. وم: ٣٨ ـ كتاب الأدب/٥ ـ استحباب تحنيك المولود عند الولادة. ح: ٢٦.
(3) خ: ٧١ ـ العقيقة/١/١ ـ باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق.
(4) م: ٣٨ ـ الأدب/١ ـ باب النهي عن التكني بأبي القاسم/ح: ٢.
(5) م: ٣٨ ـ الأدب/٣ ـ استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن. ح؛ ١٨.
(6) خ: ٦٠ ـ الأنبياء/١٠ ـ يَزِفُّون: النسلان/ح ١٠.

الفصل الثالث

الذكر والدعاء للعوارض الطبيعية

ما يقول إذا نظر في السماء

عن ابن عباس في أحد أحاديث مبيته عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ:
... فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر في السماء، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي ٱلأَلْبَابِ﴾ إلى آخر السورة ـ آل عمران[1].

الكسوف والخسوف والقحط والاستسقاء

سبق في باب الذكر في صلوات مخصوصة قدر وافٍ.

والكسوف والخسوف ظاهرتان فلكيتان تتكرران بانتظام في ظروف خاصة معروفة ومحسوبة لمئات السنين، تنتج في كسوف الشمس من توسط القمر بينها وبين الأرض، وفي خسوف القمر من توسط الأرض بينه وبين الشمس بحيث يكون الثلاثة على خط مستقيم واحد في الفضاء.

وجاء في مشاهدتهما صلاة وذكر ودعاء واستغفار وتعوذ.

عن عائشة؛ قالت: خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ بالناس...، ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله

(١) خ وم: خ: ٤ الوضوء/٣٨ ـ قراءة بعد الحدث وغيره/ح١، وم: ٦ ـ صلاة المسافرين/٢٦ ـ الدعاء في صلاة الليل وقيامه/ح ١٧٨.

لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما من آيات الله، فإذا رأيتم كسوفاً فاذكروا الله حتى ينجليا[1].

ما يقول إذا رأى الهلال

عن طلحة بن عبيد الله؛ أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: اللهم أهِلَّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام. ربي وربك الله[2].

إذا رأى الريح والمطر

عن عائشة؛ قالت: كان ﷺ إذا عَصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخيرَ ما فيها وخيرَ ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أُرسلت به. . .[3].

وروى الشيخان عن عائشة؛ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عُرِف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر. فإذا مَطَرت سُرَّ به وذهب عنه ذلك. قالت عائشة: فسألته فقال: إني خشيت أن يكون عذاباً سُلِّط على أمتي، ويقول إذا رأى المطر: رحمة[4]. وهذه رواية مسلم.

عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر قال: صيباً نافعاً[5]!.

إذا خيف الضرر من المطر

يقول: اللهم حوالينا ولا علينا! اللهم على الآكام والجبال والظِّراب ومنابت الشجر. وقد مر الحديث في كتاب الاستسقاء[6].

---

(١) م: ٩ ـ الكسوف/ح ٥.

(٢) الترمذي: ٤٩ ـ كتاب الدعوات/٥١ ـ باب ما يقول عند رؤية الهلال رقم ٣٤٥١ وقال: حديث حسن.

(٣) م: ٩ ـ كتاب الاستسقاء/٣ ـ التعوذ عند رؤية الريح/ح ١٤.

(٤) م: المرجع السابق الحديث رقم ١٣.

(٥) خ: ١٥ ـ الاستسقاء/٢٣ ـ باب ما يقال إذا امطرت/ح ١.

(٦) خ: ١٥ ـ الاستسقاء/٦ ـ الاستسقاء في المسجد الجامع/ح ١.

الفصل الرابع

الذكر والدعاء إزاء الانفعالات

ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً

عن أبي سعيد الخدري؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوباً سماه باسمه عمامة أو قميصاً أو رداء، ثم يقول: اللهم لك الحمد! أنت كسوتنيه أسألك خيره، وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له[1]!

إذا رأى ما يحب

عن عائشة؛ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحب قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا رأى ما يكره قال: الحمد لله على كل حال[2].

وهذا الذكر يصلح للمرض وكل شر والنجاة منه.

وعن صهيب، قال: قال رسول الله ﷺ: عجباً لأمر المؤمن! إن أمرَه كلَّه خير، وليس ذاك لأحد غير المؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له[3].

---

(١) رواه أبو داود في ٣١ ـ كتاب اللباس ضمن رقم ٤٠٢٣.

(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الأدب باب فضل الحامدين برقم ٣٨٠٣، وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) م: ٥٣ ـ كتاب الزهد/١٣ ـ باب المؤمن أمره كله خير ح: ٦١.

إذا رأى الباكورة من الثمر

عن أبي هريرة، قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى رسول الله. فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا! وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا!... قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيطعمه ذلك الثمر(١).

إذا غضب

١ ـ كظم الغيظ والعفو والمغفرة ثم الإحسان قال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَـٰفِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٣٤].

٢ ـ الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم. قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة فصلت، الآية ٣٦].

وعن سليمان بن صُرَد، قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مُغضَباً، قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون(٢).

تطييب نفس المغضب وتهدئته

فعن أبي قتادة: رجل أتى النبي ﷺ، فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ. فلما رأى عمر غضبه قال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، نعوذ من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر يردد هذا

---

(١) م: ١٥ ـ كتاب الحج/٨٥ ـ باب فضل المدينة. ح: ٤٤٢.

(٢) خ: ٧٨ ـ كتاب الأدب/٧٦ ـ باب الحذر من الغضب، وم: ٤٥ ـ كتاب البر/٣٠ ـ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب. ح: ١١٠.

الكـلام حتى سكن غضبه[1]. والمقصـود من ذكر هـذا الحديث تـطييب نفس المغضب بأي عبارة لا خصوص هذا التطييب من عمر.

وعن أنس: سـألوا النبي ﷺ حتى أَحْفَـوْه في المسـألـة فغضب فصعـد المنبـر. . . ثم أنشأ عمـر، فقال: رضينـا بالله ربـاً وبـالإسـلام دينـاً وبمحمـد رسولاً. نعوذ بالله من الفتن[2].

إذا أوذي من الناس

يقول ما قال يعقوب عليه السلام، وما قالت عـائشة: فصبـر جميل والله المستعان على ما تصفون، ففي حديث الإفك قالت عائشة: والله! ما أجد لي ولكم مَثـلاً إلا كمـا قـال أبـو يـوسف: فصبـر جميـل والله المستعـان على ما تصفون[3].

عندما يتعجب

التسبيح والتكبير والتهليل، وقد سبق من ذلك قدر في التسبيـح والتهليل والتكبير.

وعن التسبيح والتهليل عن عبد الله بن عمرو وجاءه رجل، فقال: ما هذا الحديث الذي تحـدث به؟، تقـول: إن الساعـة تقوم إلى كـذا وكذا، فقـال: سبحان الله! أو لا إله إلا الله! أو كلمة نحوهمـا، لقد هممت ألا أحـدث أحداً شيئاً أبداً! . . . الحديث[4].

وعن التسبيـح جاء في حـديث زيارة صفيـة أم المؤمنين لرسـول الله ﷺ في معتكفه، وقيامه معها يقلبها (يُوصلهـا). . . مر رجـلان من الأنصار فسلمـا على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: على رِسْلكما! إنما هي صفية بنت

---

(١) م: ١٣ ـ كتاب الصيام/٣٦ ـ باب استحباب صيام ٣ أيام من شهر ح: ٢٠٢.

(٢) خ وم: خ: ٨٠ ـ كتـاب الدعـوات/٢٥ ـ التعوذ من الفتن/ح ١ وم: ٤٣ ـ الفضـائـل/٣٧ ـ توقيره ﷺ وترك: إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه/ح١٣٢.

(٣) خ: ٦٤ ـ كتاب المغازي/٣٤ ـ حـديث الإفك، وم: ٤٩ ـ كتـاب التوبـة/١٠ ـ باب حـديث الإفك ح: ٥٦.

(٤) م: ٥٢ ـ كتاب الفتن/٢٣ ـ باب خروج الدجال ومكثه. ح ١٠٨.

حُيَي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وكبر عليهما، فقال النبي ﷺ: إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً[1].

عندما يبشَّر بخير

التكبير: فعندما قال عمر لرسول الله ﷺ: أطلَّقت نساءك؟ قال: لا. قال عمر: الله أكبر[2]!

وعندما قال الرسول ﷺ لأصحابه: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة! فكبروا، وحين قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة! فكبروا، وحين قال: والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا[3].

ما يقول من بلي بالوسوسة وأحاديث النفس السيئة.

يستعيذ بالله كما ذكر الله تعالى في الآية: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة فصلت، الآية ٣٦].

طلب معونة الله في الابتعاد عن المنكر

عن عائشة، أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل[4].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي الشيطانُ أحدَكم

---

(١) خ وم: خ: ٣٣ ـ الاعتكاف/٨ ـ باب هل يخرج المعتكف لوائجه إلى باب المسجد؟/ح ١، وم: ٣٩ ـ السلام/٩ ـ ما يستحب لمن رئي خالياً بامرأة أن يقول: هذه فلانة/ح ٢٢.

(٢) خ: ٦٧ ـ النكاح/٨٤ ـ باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، وم: ١٨ كتاب الطلاق/٥ ـ باب الإيلاء واعتزال النساء/ ح ٣١.

(٣) خ وم: خ: ٦٠ ـ أحاديث الأنبياء/٧ ـ باب يأجوج ومأجوج، وم: ٥٢ ـ الفتن واشراط الساعة/ح ١.

(٤) م: ٤٨ ـ الذكر/١٨ ـ التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل/ح ٦٥.

فيقـول: من خلق كذا؟ من خلق كـذا؟ حتى يقول: من خلق ربـك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله وَلْيَنْتَهِ[1].

ما يقول إذا بدر منه فعل أو كلام قبيح

الاستعاذة والتذكر (بمعنى التنبه)، والاستغفار.

قـال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [سورة فصلت، الآية ٣٦]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآيتان ٢٠٠ و ٢٠١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٣٥].

وعن أبي هـريرة؛ قـال: قال ﷺ: من حلف فقـال في حلفه: والـلات والعُزَّى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعالى أُقامِرْك فليتصدق[2].

عند الكرب

يصلح فيه ما يقال عندما يرى ما يكره وقد سبق.

وعن ابن عباس، أن نبي الله ﷺ كان يقـول عند الكـرب: لا إله إلا الله العـظيم الحليم. لا إلـه إلا الله رب العـرش العـظيم. لا إلـه إلا الله ربُّ السموات ورب الأرض رب العرش الكريم[3].

وعن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ كان يقول: أعوذ بعزتك الـذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون[4].

---

(١) خ: ٥٩ ـ كتـاب بـدء الخلق/١١ ـ بـاب صفة إبليس وجنـوده. ح: ٧. وم: ١ ـ كتـاب الإيمان/٥٨ ـ باب الوسوسة في الإيمان. ح ١٩٧.

(٢) خ: ٦٥ ـ كتاب التفسير/٥٣ ـ سورة النجم/٤ ـ باب أفرأيتم اللات والعـزى و م: ٢٧ ـ كتاب الإيمان/٢ ـ باب من حلف باللات والعزى. ح: ٤.

(٣) خ: ٨٠ ـ الدعوات/٢٧ ـ باب الدعاء عند الكرب، وم: ٤٨ ـ كتاب الذكر/٢١ ـ باب الدعاء عند الكرب. ح: ٨٠.

(٤) خ وم: ٩٧ ـ كتـاب التـوحيـد/٧ ـ بـاب قـول الله: ﴿وهـو العـزيـز الحكيم﴾. وم ٤٨ ـ الذكر/١٨ ـ التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل/ح ٦٦.

وقال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٨٧].

وعن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان(١).

عند الفزع

يقول عند الفزع: لا إله إلا الله، فعن زينب بنت جحش، قالت: خرج رسول الله ﷺ يوماً فزِعاً مُحمّراً وجهه يقول: لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبَث(٢).

ما يقول إذا تعسّرت عليه معيشته أو استصعب عليه أمر

الاستعاذات من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء والمأثم والمغرم، وقد سبقت في الاستعاذات.

ما يقول إذا كان عليه دين

الاستعاذة من الدين ومن المغرم، وقد سبقت في الاستعاذات.

ما يقول لدفع الآفات

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وقد سبق.

---

(١) م: ٤٦ ـ كتاب القدر/٨ ـ باب في الأمر بالقوة وترك العجز. ح ٣٦.

(٢) خ: ٦٠ ـ أحاديث الأنبياء/٧ ـ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ح ١، وم: ٥٢ ـ كتاب الفتن/ ١ ـ باب اقتراب الفتن ردم يأجوج ومأجوج. ح: ١

إذا توجَّس شراً من قادم

عن عامر بن سعد، قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبِلِه، فجاء ابنه عمر. فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ . . .[1].

(١) م: ٥٣ ـ كتاب الزهد ح ٦١١.

الفصل الخامس

العوارض الصحية من أمراض وإصابات

الأمراض والدعاء

ما يصيب الإنسان من مرض أو حادث أقسام:

أ ـ قسم ينتمي إلى مجموعة الأمراض النفسية، والدعاء والرقي والتعوذ مرجوة الإجابة فيها بدرجة كبيرة. فإن الدعاء والتضرع إلى الله تعالى هو تعبير عن الإيواء إلى ركن شديد هو ركن الله تعالى، وبه يقوى الرجاء وينبعث الأمل، وتقوى النفس، وهذا من العلاج النفساني الذي تسعى إليه جميع مدارس العلاج النفساني، والشافي هو الله سبحانه.

ب ـ قسم ينتمي إلى مجموعة الأمراض الجسمية. فهنا حالتان يجب التفريق بينهما: أولاهما، حالة تكون الاستجابة فيها بتأكيد الشعور عند المريض بأنه وضع أمره بيد الله فترتفع درجة الصبر عنده حتى يأخذ المرض دوره ومدته بمقاومة الجسم الطبيعية، وبمساعدة الأدوية التي يوفق الله إليها المريض أو طبيبه، وهذا أظهر وجوه الإجابة.

وثانيتهما حالة الاستجابة بدون الأسباب إذا لم تتيسر أو عاقها عائق، ويكون ذلك بإبطال الله تعالى مفعول الأسباب المعتادة لأنه خالق الأسباب والمسببات وخالق قوانينها التي لا تتخلف إلا بإرادته، فيبطل الله تعالى مفعول سم العقرب بالرقية، فإننا نعتقد أن الله تعالى قادر على كل شيء، ومن ضمن

قدرته المطلقة إبطال القوانين التي تحكم جميع الأحداث على هذه الأرض وفي السموات لأنه خالقها ومدبرها، والإجابة هنا قليلة الحدوث.

ج - وهناك الأمراض الجسمية النفسية، وفيها قد يكون الجانب النفساني نابعاً من أصل جسمي، وقد يكون الجانب الجسمي نابعاً من أصل نفساني، وهنا يتعاون التداوي بالأسباب الطبيعية من الأدوية والتداوي بالرقي والدعوات.

وأندر وجوه الاستجابة يكون في الاقتصار على الذكر والدعاء، وترك اتخاذ الأسباب المعتادة، بل نذهب إلى أن معظم هذا النادر يرجع إلى سنن إلهية مجهولة لنا ومنها الدعاء لا إلى إخلاف الله تعالى لسننه المعروفة.

المرض كفارة من الذنوب

عن عائشة؛ قالت: قال رسول الله ﷺ: ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها[1].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهمِّ يُهَمُّه إلا كُفِّر بها من سيئاته[2]. وهذا لفظ مسلم. ولا يعني ذلك الحث على عدم التداوي.

يكتب في المرض ما كان يكتب في الصحة من ثواب العمل. عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، واصطحب هو ويزيد بن أبي كَبْشَةَ في سفر فكان يزيد يصوم في السفر، فقال له أبو بردة: سمعت أبا موسى مراراً يقول: قال رسول الله ﷺ: إذا مرض العبد أو سافر كُتِب له مثلُ ما كان يعمل مقيماً صحيحاً[3].

---

(١) خ وم: خ: ٧٥ ـ المرضى/ ١ ـ ما جاء في كفارة المرض/ح ١، وم: ٤٥ ـ البر/١٤ ـ ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض الخ/ح ٤٦.

(٢) خ وم: خ: المرجع السابق ح ٢، وم: المرجع السابق ح ٤٥.

(٣) خ: ٥٦ ـ الجهاد/١٣٤ ـ يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة ح ١.

الدعاء والرقي والتداوي

سبقت الإشارة إلى أن الدعاء ليس بديلاً من العمل فيما يقتضي عملاً، ولا من التداوي فيما يقتضيه، ولكنه مكمل ومساند، والدعاء والتداوي كلاهما من الأسباب المأمور باتخاذها.

وإطار كل هذا العقيدة أن الذي جعل في التداوي الطبيعي خصائصه هو الذي طلب الدعاء والرقي وجعل فيهما خصائصهما في نظام وحكمة لا يعلمها إلا هو. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة هود، الآية ٥٦].

وقد زاول النبي ﷺ التداوي في خاصة نفسه وأهله، وأمر به غيره، وزاوله بالنسبة لغيره.

فعن جابر؛ أن رسول الله ﷺ قال: لكل داء دواء. فإذا أصيب دواءُ الداءِ برأ بإذن الله عز وجل[1].

وعنه، أنه عاد المُقنَّع، ثم قال: لا أبرح حتى تحتجم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن فيه شفاء[2].

وقد اعترف الإسلام بالعدوى، فعن الشريد؛ قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: إنا قد بايعناك فارجع[3].

وما جاء في نفيها من الأحاديث محمول على نفي تأثيرها مستقلاً عن إرادة الله تعالى. على أن أبا هريرة أحد رواة نفي العدوى رجع عن قوله هذا، وأقام على ألا يورد ممرض على مصح[4].

---

(١) م: ٣٩ ـ السلام/٢٦ ـ بكل داء دواء//ح ٦٧.
(٢) المرجع السابق الحديث رقم ٦٨.
(٣) م: ١٢٦/٣٦ ـ باب اجتناب المجذوم/٣٩ ـ السلام.
(٤) خ وم: خ: ٧٦ ـ الطب/٥٣ لا هامة/ح ٢ وم: ٣٩ ـ السلام/٣٣ ـ لا عدوى الخ/ح ١٠٣.

وعن جابر، قال: بعث النبي ﷺ إلى أُبي بن كعب طبيباً، فقطع منه عِرْقاً، ثم كواه عليه[1].

مجمل مسائل الفصل الخامس ـ الدعاء في المرض والموت

يدعو المريض لنفسه، ويدعو له غيره من أهله أو من عُوَّاده، ويدعو الرجال للنساء والنساء للرجال، ويدعى للميت حال غسله وتكفينه ودفنه، وبعد دفنه.

ما يقال عند المصيبة بعامة

إنا لله وإنا إليه راجعون. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٥٦].

وعن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجُرني في مصيبتي وأخلِف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها. . . .[2].

جواز التوجع والشكوى

على خلاف ما يقول بعض المتصوفة من أن التوجع والشكوى ينافيان التسليم والصبر.

قال تعالى على لسان سيدنا أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٨٣].

وعن عائشة في أحد أحاديث مرض النبي ﷺ ووفاته؛ قالت: . . . وبين يديه رَكوة أو علبة فيها ماء فجعل يُدخل يديه في الماء ويمسح بهما وجهه، يقول: لا إله إلا الله! إن للموت لسكراتٍ، ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده[3].

---

(١) م: ٣٩ ـ كتاب السلام/٢٦ ـ باب لكل داء دواء. ح ٧١.
(٢) م: ١١ ـ كتاب الجنائز/٢ ـ باب ما يقال عند المصيبة. ح ٣.
(٣) خ: ٦٤ ـ المغازي/٨٣ ـ مرض النبي ﷺ ووفاته/ح ١٩.

وقالت عائشة: وا رأساه! وقال النبي ﷺ: بل أنا وا رأساه! في حديث واحد[1].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: إنك توعك وعْكاً شديداً! قال: أجَلْ إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قلت: ذلك أنَّ لك أجرين. قال: أجل ذلك كذلك. ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها[2].

دعاء المريض لنفسه

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم[3]، فقال له رسول الله ﷺ: ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر[4].

وعن عائشة، أن رسول الله كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات، وينفِث. فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده رجاء بركتها[5].

وعنها؛ قالت: سمعت النبي ﷺ وهو مسند إليَّ ظهرَه يقول: اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى[6].

عيادة المريض وما يقوله وما يقال عنده.

عن عائشة؛ أن النبي ﷺ كان إذا أتى مريضاً أو أُتِي به قال: أذهب

---

(١) خ: ٧٥ ـ المرضى/١٦ ـ قول المريض: إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع/ح ٢.

(٢) خ وم: خ: ٧٥ ـ المرضى/ ٣ ـ أشد الناس بلاء الأنبياء إلخ/ح ١، وم: ٤٥ ـ البر/١٤ ـ ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض إلخ/ح ٤٤.

(٣) خ: ٦٤ ـ كتاب المغازي/ ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته. ح: ١٩.

(٤) م: ٣٩ ـ كتاب السلام/٢٤ ـ باب استحباب وضع يد على موضع الألم مع الدعاء. ح: ٦٥.

(٥) خ: ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن/١٤ ـ باب فضل المعوذات/ح ١، وم: ٣٩ ـ كتاب السلام/٢٠ ـ باب رقية المريض بالمعوذات. ح ٤٨.

(٦) خ: ٦٤ ـ كتاب المغازي/٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته. ح: ١١. وم: ٤٤ ـ كتاب الفضائل/١٣ ـ باب فضائل عائشة. ح ٨٧.

البـاس ربَّ الناس. اشف أنت الشـافي، لا شفاء إلا شـفـاؤك شفـاء لا يغـادر سَقَماً. . . [1]

عن عبـد العزيـز؛ قال: دخلت أنـا وثابت على أنس بن مـالـك، فقـال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس: ألا أرقيك برُقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: اللهم ربَّ الناس مـذهبَ الباس اشف أنت الشـافي. لا شافي إلا أنت شفاءً لا يغادر سَقَماً[2].

وعن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ كان يَرقي ويقول: امحُ الباس ربَّ الناس بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت[3].

وعن سعد بن أبي وقاص؛ قال: تشكيت شكواً شديداً، فجاء النبي ﷺ يعـودني. . . وفي الحـديث: ثم وضـع (النبي ﷺ) يـده على جبهتـه (جبهـة سعد)، ثم مسح يـده على وجهي وبطني، ثم قـال: اللهم اشفـ سعداً وأتمم له هجرته[4].

وعن عـائشـة: كـان النبي ﷺ إذا مـرض أحـد من أهله نفث عليـه بالمعوِّذات. فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفِث عليه، وأمسـح بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي[5].

وعن أبي سعيـد الخدري؛ أن جبـريل أتى النبي ﷺ فقـال: يـا محمـد اشتكيت؟ قال: نعم. قال: باسم الله أُرقيك من كل شيء يؤذيك من شـر كل نفس أو عين حاسد. الله يشفيك. باسم الله أُرقيك[6].

---

(١) خ: ٧٥ ـ كتـاب المـرضى/ ٢٠ ـ بـاب دعـاء العـائـد للمـريض/ح ١، وم: ٣٩ ـ كتـاب السلام/ ١٩ ـ باب استحباب رقية المريض. ح ٤٥.

(٢) خ: ٧٦ ـ كتاب الطب/ ٣٨ ـ باب رقية النبي ﷺ.

(٣) المرجع السابق.

(٤) خ: ٧٥ ـ كتاب المرضى/ ١٣ ـ باب وضع اليد على المريض.

(٥) م: / ٣٩ ـ كتاب السلام/ ٢٠ ـ باب رقية المريض بالمعوذات. ح ٤٧.

(٦) م: ٣٩ ـ كتاب السلام/ ١٦ ـ باب الطب والمرضى والرقي. ح: ٣٨.

وعن عائشة؛ قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: باسم الله يَبريك، ومن كل داء يَشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين[1].

وعن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده ـ قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على من يعوده قال له: لا بأس! طهور إن شاء الله[2]!

عيادة النساء الرجال

عن عائشة، أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِك أبو بكر وبلال. قالت: فدخلت عليهما، قلت: يا أبت كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟. . . الحديث[3].

عيادة الرجال النساء

عن ابن أبي مُليكة، قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة. قالت: أخشى أن يُثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيتُ. قال: فأنت بخير إن شاء الله! زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكِح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه (بعده)، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، وددت أني كنت نَسْياً منسياً[4].

عيادة المشرك وعيادة الصبيان

كذا بوب البخاري للحديث الآتي:

عن أنس، قال كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلِم، فنظر إلى أبيه وهو عنده،

---

(١) م: ٣٩ ـ كتاب السلام/١٦ ـ باب الطب والمرضى والرقي ـ ح: ٣٧.
(٢) خ: ٧٥ ـ كتاب المرضى/٩ ـ باب عيادة الأعراب.
(٣) خ: ٧٥ ـ المرضى/٨ ـ عيادة النساء والرجال/ح ١.
(٤) ح: ٦٥ ـ التفسير/٢٤ ـ سورة النور/٩ ـ ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ الآية/ح ١.

فقال له: أَطِعْ أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار[1].

المرأة ترقي الرجل

عن عائشة؛ أن النبي ﷺ كان ينفِث على نفسه في مرضه الذي توفي فيه بالمعوِّذات. فلما ثقل كنت أنا أنفِث عليه بهن فأمسح بيد نفسه لبركتها. قال ابن شهاب: ينفِث على يديه ثم يمسح بهما وجهه[2].

تطييب نفس المريض

عن المِسْوَر؛ أن ابن عباس قال لعمر حين طُعِن، وكأنه يُجزِّعه (يصبِّره): يا أمير المؤمنين ولئن كان ذلك، قد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحَبَتهم فأحسنت صُحْبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون[3].

وفي حديث موت عمر والبيعة والاتفاق على عثمان. . . : دخل رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقَدَم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة[4].

وعن ابن شُماسة المَهْري، قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نُعِدُّ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. إني كنت على أطباق ثلاث. . . إلخ الحديث[5].

---

(١) خ: ٢٣ ـ الجنائز/٨٠ ـ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه/ح ٣.
(٢) خ: ٧٦ ـ الطب/٤١ ـ المرأة ترقي الرجل/ح ١.
(٣) خ: ٦٢ ـ مناقب أصحاب النبي ﷺ/ ٦ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ/ مناقب عمر ح ١٤.
(٤) خ: ٦٢ ـ مناقب أصحاب النبي ﷺ /٨ ـ قصة البيعة ح ١.
(٥) م: ١ ـ الإيمان/٥٢ ـ كون الإسلام يهدم ما قبله/ح ١٧٨.

ما يقول من يئس من حياته

المهم أن يكون بحالة رضا نفساني يعبر عنها بشكر الله تعالى، والرضا بقضائه، وأن يكافح الجزع وسوء الخلق لتتم حياته في حالة من السكينة وحسن الظن بالله تعالى، وأن يبادر بأداء ما تخلف لديه من حقوق العباد، وأن يَستحِل زوجته وأولاده وأبويه وجيرانه وأصدقاءه ومن تعاملوا معه في بيع أو شراء، ويوصي أهله بالصبر وترك النياحة ويكثر من قول: لا إله إلا الله لتكون من آخر كلامه.

فعن جابر؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتَنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله[1].

وعن معاذ بن جبل؛ قال: قال رسول الله ﷺ: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[2].

---

(١) م: ٥١ ـ كتاب صفة الجنة والنار/ ١٩ ـ باب الأمر بحسن الظن بالله ح: ٧٧.

(٢) قال النووي في الأذكار: روينا في الحديث المشهور في سنن أبي داود وغيره قال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد.

الفصل السادس

الوفاة والجنازة

تلقين الميت: لا إله إلا الله

عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة؛ قالا: قال رسول الله ﷺ: لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله(١).

ما يقال عند الميت والتغميض

عن أم سلمة، قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شَقَّ بصرُه، فأغمضه، ثم قال: . . . لا تدْعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون. اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديِّين، واخلُفْهُ في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه(٢).

وصية المريض ألا يناح عليه إذا مات

عن أبي بردة بن أبي موسى، قال وجِع أبو موسى وجعاً فغشي عليه ورأسه في حَجْر امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً. فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقَّة(٣).

---

(١) م: ١١ ـ الجنائز/١ ـ تلقين الموتى: لا إله إلا الله. ح: ١ و٢.
(٢) م: ١١ ـ الجنائز/٤ ـ باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر. ح:٧.
(٣) م: ١ ـ الإيمان/٤٥ ـ تحريم ضرب الخدود. الخ/ح ١٥٣ مكرر.

التعزية والنصح بالصبر

عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على قبر صبي لها، فقال لها: اتقي الله واصبري. قالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي!، ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى[1].

التعزية بواسطة رسول

عن أسامة بن زيد، قال: أرسلت ابنة للنبي ﷺ: إن ابنا لي قد قبض فائتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى. فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة... الحديث[2].

الإعلام بالوفاة أو النعي والاستغفار للميت

عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه. خرج إلى المصلى فصَفَّ بهم وكبر أربعاً[3].

وفي رواية عنه، قال: نَعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة اليومَ الذي مات فيه، فقال: استغفروا لأخيكم[4].

عن ابن عباس، قال: مات إنسان كان رسول الله ﷺ يعوده، فمات بالليل فدفنوه ليلاً. فلما أصبح أخبروه، فقال: ما منعكم أن تُعلموني؟ قالوا:

---

(١) خ: ٢٣ ـ الجنائز /٣٢ ـ زيارة القبور، وم: ١١ ـ الجنائز/٨ ـ في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة/ح ١٥.

(٢) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/٢٢ ـ ترك النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه/ح ١، وم: ١١ ـ الجنائز/٦ ـ البكاء على الميت/ح ١١.

(٣) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/٤ ـ باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه/ح١وم: ١١ ـ الجنائز/٢٢ ـ باب في التكبير على الجنائز/٦٣٤.

(٤) خ وم: خ: ٢٣/٦١ ـ باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد ح ١ وم: ١١ ـ الجنائز/٢٢ باب التكبير على الجنائز/ح ٦٤.

كان الليلُ، فكرهنا ـ وكانت ظلمة ـ أن نَشُق عليك، فأتى قبره، فصلى عليه[1].

صلاة الجنازة وذكرها

عن عائشة؛ عن النبي ﷺ: ما من ميت صلى عليه مائة من المسلمين يشفعون إلا شُفِّعوا فيه[2].

وعن ابن عباس؛ قال: ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه[3].

الدعاء في صلاة الجنازة على الميت

عن عوف بن مالك؛ قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه: اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرِم نزله، ووسع مُدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار. قال عوف: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت[4].

أقول: وهذا الدعاء ليس قاصراً على صلاة الجنازة ولكنه صالح لكل ميت وفي كل وقت.

عدم الإذن لرسول الله ﷺ في الاستغفار لأمه

عن أبي هريرة؛ قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت[5].

---

(١) خ: ٢٣ ـ الجنائز/٥ ـ باب الإذن بالجنازة.

(٢) م: ١١ ـ الجنائز/١٨ ـ من صلى عليه مائة شفعوا فيه/ح ٥٨ (٩٤٧/٥٨).

(٣) م: ١١ ـ الجنائز/١٩ ـ من صلى عليه أربعون شفعوا فيه/ح ٥٩ (١٩٤٨/٥٩).

(٤) م: م: ١١ ـ كتاب الجنائز/٢٦ ـ باب الدعاء للميت في الصلاة/ح: ٨٥ و٨٦.

(٥) م: ١١ ـ الجنائز/٣٦ ـ استئذان النبي ﷺ ربه زيارة قبر أمه /ح ١٠٧.

قراءة القرآن الكريم للميت

لم يصح عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ القرآن على أحد توفي، ولم يقرأ أحد من الصحابة والتابعين القرآن الكريم على روح أحد.

لكن الاختلاف في ذلك حدث عند المتأخرين. قال النووي في الأذكار: اختلف العلماء في وصول ثواب القرآن الكريم إلى الميت. فالمشهور من مذهب الشافعي وجماعة أنه لا يصل، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل.

ويكفي في رفع الخلاف اتباع ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته.

الثناء على الميت والرثاء

عن أنس؛ قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: وجبت، ثم مروا بأخرى، فأثنوا عليها شراً، فقال: وجبت، فقال عمر بن الخطاب: ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض[1].

وعن أبي الأسود؛ قال: قدمت المدينة، وقد وقع بها مرض، فجلست إلى عمر بن الخطاب، فمرت بهم جِنازة، فأُثني على صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبت، ثم مُرَّ بأخرى، فأُثني على صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبت، ثم مر بالثالثة، فأُثني علىّ صاحبها شراً، فقال: وجبت، فقال أبو الأسود: فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبي ﷺ: أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة، فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان، ثم لم نسأله عن الواحد[2].

ورَثت فاطمة أباها، فعن أنس، قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة: واكربَ أباه! فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم. فلما

(١) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/٨٦ ثناء الناس على الميت/ح ١، وم: ١١ ـ الجنائز/٢٠ ـ من أثني عليه خير أو شر/ح ٦٠.

(٢) خ: ـ ٢٣ ـ الجنائز/٨٦ ـ ثناء الناس على الميت/ح ٢.

أمـات قالت: يـا أبتاه! أجـاب ربا دعـاه. يا أبتـاه! مَنْ جنـة الفـردوس مـأواه! يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه! . . . . الحديث[1].

ورثا على عمر، فعن ابن عباس، قال: وُضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعـون ويصلون قبل أن يُـرفع، وأنـا فيهم، فلم يرعْني إلا رجـل آخذ منكبي، فـإذا علي، فترحم على عمـر، وقال: مـا خلَفتَ أحـداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثـل عمله منـك، وايم الله إن كـنت لأظـن أن يجـعلك الله مــع صاحبيك! حسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقـول: ذهبت أنا وأبـو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر[2].

التعزية والأمر بالصبر

سبق تعزية الرسول ﷺ لابنتـه مع رسـول، وسبق قول النبي ﷺ لامـرأة تبكي على صبي لها: اتقي الله واصبري.

زيارة القبور وما يقال فيها

زيـارة القبور مشـروعة للرجـال. أمـا النسـاء فقـد ورد نهيهن عن زيـارة القبـور، فقد روى التـرمذي عن أبي هـريرة، أن رسـول الله ﷺ لعن زوّارات القبور[3].

وروى مثله ابن ماجة[4].

وجاء الأمر من النبي ﷺ للمؤمنين بزيارة القبور، فقد جاء في ابن ماجـة والترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة[5].

---

(١) خ: ٦٤ ـ المغازي/٨٣ ـ وفاة النبي ﷺ /ح ١٢٩.

(٢) خ: ٦٢ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ /٦ ـ مناقب عمر/ح ٧.

(٣) الترمذي: ٨ ـ كتاب الجنائز/٦١ ـ ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء/ح ١٠٥٦.

(٤) ابن ماجة: ٦ ـ الجنائز/٤٩ ـ ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور/١٥٧٤.

(٥) ابن مـاجـة: ٦ ـ الجنـائـز/٤٧ ـ مـا جـاء في زيـارة القبـور/ح ١٥٦٩، والتـرمـذي: ٨ ـ الجنائز/٦٠ ـ ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، وقال: حسن صحيح.

وجـاء في ابن ماجـة وأبي داوود والنسائي عـن النبي ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تُزهِّد في الدنيا وتذكر بالآخرة[1].

وحاصل ما ترتب على التعارض الظاهري في الأحاديث أن الأمر بزيـارة القبور جاء عاماً، وأما النهي فقد تـوجه للنسـاء خاصـة، فهو مخصص لعمـوم الأمر بزيارتها في حق النساء.

ما يقول زائر القبور

عن عائشة في حديثها الـطويل عن سيـرها وراء الـرسول تتجسس عليـه وهو ذاهب إلى البقيع؛ قالت: كيف أقول يا رسول الله؟ قـال: قولي: السـلام على أهــل الـديـار من المؤمنين والمسلمين، ويـرحم الله المتقــدمين منكم والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[2].

وفي رواية عن عائشة؛ قالت: كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخـر الليل إلى البقيـع، فيقول: السـلام عليكم دار قـوم مؤمنين، وأتـاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنّـا إن شاء الله بكم لاحقـون. اللهم اغفر لأهـل بقيع الغرقد[3].

وعن بُـريدة؛ قـال: كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خـرجوا إلى المقـابـر أن يقول قائلهم: السلام على أهل الـديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّـا إن شاء الله بكم اللاحقون. أسأل الله لنا ولكم العافية[4].

---

(١) ابن ماجة: المصدر السابق الحديث ١٥٧١ وأبو داود: ٢٠ ـ الجنائز/باب في زيارة القبـور/ح ٣٢٢٥ ـ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، والنسائي؛ الجنائـز/باب زيـارة القبور ص ٤٨٩ طبع دار الفكر.

(٢) م: ١١ ـ كتاب الجنائز/٣٥ ـ باب ما يقال عند زيارة القبور ح: ١٠٤.

(٣) المرجع السابق الحديث رقم ١٠٣.

(٤) المرجع السابق الحديث رقم ١٠٥.

الباب الثامن

العلاقات والآداب الاجتماعية

الفصل الأول

الاستئذان

الاستئذان

وهو نوعان: استئذان لدخول الأماكن، واستئذان للمغادرة.

فاستئذان الدخول من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [سورة النور، الآية ٢٧].

واستئذان المغادرة يكون في الأمور الجامعة عند أولي الأمر وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [سورة النور، الآية ٦٢].

واستئذان الدخول ثلاث مرات، ففي حديث استئذان أبي موسى الأشعري على عمر. قال: قال رسول الله ﷺ: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع[١].

الاستئذان من أجل النظر

عن سهل بن سعد؛ أن رجلاً اطلع في جُحْر في حُجَر النبي ﷺ ومع رسول الله ﷺ مِدرًى (شيء مثل المُشط) يحك به رأسه، فقال: لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك. إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر[٢].

---

(١) خ: ٧٩ ـ كتاب الاستئذان/ ١٣ باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، وم: ٣٨ ـ كتاب الأدب/٧ ـ باب الاستئذان ح: ٣٤.

(٢) خ: ٧٩ ـ الاستئذان/١١ ـ باب الاستئذان من أجل البصر.

الفصل الثاني

السـلام

منزلة السلام في العلاقات الاجتماعية

عن أبي هـريـرة؛ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: لا تـدخلون الجنـة حتى تؤمنـوا، ولا تؤمنون حتى تحـابُّوا. ألا أدلكم على شيء إذا فعلتمـوه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العـاص؛ أن رجلًا سـأل رسول الله ﷺ: أي الإسـلام خير؟ قـال: تطعم الـطعام، وتقـرأ السـلام على من عـرفت ومن لم تعرف[2].

وعن البـراء بن عازب؛ قـال: أمرنـا رسول الله ﷺ بسبـع، ونهـانـا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار القسم أو المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونهانا عن خواتيم أو تختم بالذهب، وعن شرب بالفضة، وعن المياثر، وعن القَسِّي، وعن لبس الحرير والاستبرق والديباج[3].

---

(١) م: ١ ـ كتاب الإيمان/٢٢ ـ باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ح ٨٦.

(٢) خ: ٢ ـ كتاب الإيمان/٦ ـ بـاب إطعام الـطعام من الإسـلام، وم: ١ ـ كتاب الإيمـان/١٤ ـ باب تفاضل الإسلام. ح: ٥٩.

(٣) خ: ٧٤ ـ كتاب الأشربة/٢٨ ـ باب آنيـة الفضة، وم: ٣٧ ـ كتـاب اللباس/١ ـ بـاب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة ح: ٤.

وعن أبي هـريـرة؛ أن رسـول الله ﷺ قـال: حق المسلم على المسلم ست. قيـل: وما هن يـا رسول الله؟ قـال: إذا لقيتـه فسلِّم عليـه، وإذا دعـاك فأجِبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطِس فحمِد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعْه(1).

السلام تحية قديمة

عن أبي هـريرة؛ قـال: قال ﷺ: لمـا خلق الله آدم قـال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمـع ما يُحيُّـونك، تحيتَـك وتحيةَ ذريتـك فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله(2).

ومن الصيـغ: (أقْرأْ عليكم السـلام) فعن أبي موسى الأشعـري، قـال: قـال رسول الله ﷺ: إن أبـواب الجنة تحت ظـلال السيوف، فقـام رجـل رث الهيئة، فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. قـال: فرجـع إلى أصحابـه فقال: أقـرأْ عليكم السلام، ثم كسـر جفن سيفه، فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل(3).

ومنها: (السلام عليكم ورحمـة الله) ففي قصة زواج رسـول الله ﷺ من زينب بنت جحش عن أنس؛ قال: . . . فخرج النبي ﷺ، فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السـلام ورحمة الله. كيـف وجدت أهلك؟ بارك الله لك! فتقرَّى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة(4).

ومنها: (السلام عليكم) ففي قصة إسلام أبي ذر، قـال أبو ذر: أنـا أول

---

(1) م: ٣٩ ـ كتاب السلام: /٣ ـ باب حق المسلم للمسلم ح: ٥.

(2) خ: ٦٠ ـ كتاب الأنبياء/١ ـ باب خلق آدم، وم: ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمهـا/١١ ـ باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ح ٢٦.

(3) م: ٣٣ ـ كتاب الإمارة/ ٤١ ـ باب ثبوت الجنة للشهيد ح: ١٤٢.

(4) خ: ٦٥ ـ كتاب التفسير/٣٣ ـ سورة الأحزاب/تفسير آية الحجاب ح ٤.

من حياه (أي النبي ﷺ) بتحية الإسلام. قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: وعليك ورحمة الله[1].

يسلم الرجال على النساء والنساء على الرجال

عن سهل؛ قال: كنا نفرح بيوم الجمعة. قلت: ولم؟ قال: كانت لنا عجوز ترسل إلي بُضاعة (نخل بالمدينة) فتأخذ من أصول السِّلْق، فتطرحه في قدر، وتُكَرْكر (تطحن) حبات من شعير. فإذا صلينا الجمعة انصرفنا ونسلم عليها، فتقدمه إلينا فنفرح من أجله، وما كنا نَقِيل أو نتغدى إلا بعد الجمعة[2].

وعن أم هانئ ؛ قالت: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة تستره، فسلمت عليه، فقال: من هذه؟ . . . .[3].

التسليم على الصبيان

تأليفاً وصِلة بين الأجيال، فعن أنس بن مالك؛ قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ، وأنا ألعب مع الغلمان. قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة . . .[4].

يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير.

عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير[5].

---

(١) م: ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة/٢٨ ـ باب من فضائل أبي ذر. ح ١٣٤.

(٢) خ: ٧٩ ـ كتاب الاستئذان/ /١٦ ـ باب تسليم الرجال على النساء.

(٣) خ: ٨ ـ كتاب الصلاة/٤ ـ باب الصلاة في الثوب الواحد، وم: ٣ ـ الحيض/١٦ ـ باب تستر المغتسل بثوب ونحوه. ح: ٧٣.

(٤) م: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٣٢ ـ باب فضائل أنس. ح: ١٤٨.

(٥) خ: ٧٩ ـ الاستئذان/٥ ـ باب يسلم الراكب على الماشي، وم: ٣٩ ـ كتاب السلام/١ ـ باب يسلم الراكب على الماشي ح: ١.

السلام على الأهل

تقدم تسليم النبي ﷺ على نسائه في قصة زواج زينب.

السلام على الذي يغتسل

عن عبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة في اختلافهما: هل يغسل المحرم رأسه؟ . وأرسل ابن عباس المِسْوَر إلى أبي أيوب الأنصاري، فوجده يغتسل بين القرنين، وهو يستتر بثوب. قال: فسلمت عليه. . .[1].

تكرار السلام في المرة الواحدة، وعلى فترات متقاربة

عن أنس، عن النبي ﷺ؛ أنه كان إذا سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً[2].

عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل، فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد النبي عليه السلام، فقال: ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ - ثلاثاً - فقال: والذي بعثك بالحق. . .[3].

تحميل السلام وتبليغه

عن كُريب؛ أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر أرسلوه إلى عائشة، فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعاً، وسَلْها عن الركعتين بعد العصر. . .[4].

وفي حديث استئذان عمر من عائشة في أن يدفن مع صاحبيه قال عمر

---

(١) م: ١٥ - كتاب الحج/١٣ - باب جواز غسل المحرم بدنه ورأسه ح: ٨٣ وخ: ٢٨ - جزاء الصيد/١٤ - باب الاغتسال للمحرم.

(٢) خ: ٣ - كتاب العلم/٣٠ - باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه.

(٣) خ: ١٠ - كتاب الأذان/١٢٢ - باب أمر النبي الذي لا يتم ركوعه بالإعادة وم: ٤ - كتاب الصلاة/١١ - باب وجوب قراءة الفاتحة ح: ٤١.

(٤) خ: ٢٢ - أبواب العمل في الصلاة/٨ - باب إذا كلم وهو يصلي. . . وم: ٦ - كتاب صلاة المسافرين/٥٤ - باب معرفة الركعتين بعد العصر ح: ٢٩٠.

لعبد الله بن عمر: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة، فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبيَّ...[1].

وعن أبي هريرة؛ قال: أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب. فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب لا صخَب فيه ولا نصب...[2].

وعن عبد الله بن أبي قتادة؛ أن أباه انطلق عام الحديبية، وأحرم أصحابه ولم يُحرِم فاصطاد حمار وحش، وأدرك النبي ﷺ، ليسأله عن أكله، فقال: إن أصحابك يقرءون عليك السلام ورحمة الله...[3].

رد السلام وصيغه

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [سورة النساء، الآية ٨٦].

ورد السلام من ضمن سبع قواعد من الآداب الاجتماعية في حديث البراء السابق في منزلة السلام في العلاقات الاجتماعية.

وهو من حق المسلم، فعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز[4].

وعن عائشة؛ أن النبي ﷺ قال لها: يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك

---

(١) خ: ١/٨ ـ باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان/٦٢ ـ فضائل الصحابة.

(٢) خ: ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار/٢٠ ـ باب تزويج النبي ﷺ خديجة وم: ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة/١٢ ـ باب فضائل خديجة ح ٧٣.

(٣) خ: ٢٨ ـ جزاء الصيد/٢ ـ باب إذا صاد الحلال فأهدى للمحرم الصيد أكله وم: ١٥ ـ كتاب الحج/٨ ـ باب تحريم الصيد للمحرم ح: ٥٦.

(٤) خ: ٢٣ ـ الجنائز/٢ ـ الأمر باتباع الجنائز، وم: ٣٩ ـ كتاب السلام/٣ ـ باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ح: ٤.

السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. ترى ما لا أرى[1].

السلام على جماعة فيهم مسلمون وكفار

عن أسامة بن زيد، ما ملخصه أن رسول الله ﷺ مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله[2].

السلام في الكتب لغير المسلمين

في حديث أبي سفيان وهرقل: كان في كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل سلام على من اتبع الهدى[3].

السلام على المبتدع ومن اقترف ذنباً

هكذا بوب النووي في الأذكار، وبوب البخاري: ٢١ ـ باب من لم يسلم على من اقترف ذنباً، ولم يردَّ سلامه حتى تتبين توبته وذلك في ٧٩ ـ كتاب الاستئذان، وساق جزءاً من حديث توبة كعب بن مالك، وفيه. . . ـ وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه، فأقول في نفسي: حرك شفتيه برد السلام أم لا. . .[4].

وقال البخاري في تعليقه في الباب نفسه: قال عبد الله بن عمر: لا تسلموا على شربة الخمر.

---

(١) خ: ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق/٦ ـ باب ذكر الملائكة، م: ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة/١٣ ـ باب فضل عائشة: ٩٣.

(٢) خ: ٧٩ ـ كتاب الاستئذان/٢٠ ـ باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، وم: ٣٢ ـ الجهاد/٣٩ ـ باب ما لقي رسول الله من المشركين. ح: ١٠٥.

(٣) خ: ٦٥ ـ التفسير/٣ ـ سورة آل عمران/٤ ـ باب قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، وم: ٣٢ ـ الجهاد/٢٦ ـ باب كتب النبي إلى هرقل ح ٧١.

(٤) خ: ٧٩ ـ كتاب الاستئذان/٢١ ـ باب من لم يسلم على من اقترف ذنباً.

الفصل الثالث

التودد إلى الناس

التودد إلى الناس عزمة من عزائم الدين. قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [سورة البقرة، الآية ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٥٣].

وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى(١).

الترحيب عند اللقاء

قال رسول الله ﷺ: مرحباً بأم هانىء حين سلمت عليه وهو يغتسل يوم الفتح(٢).

وقال النبي ﷺ: لوفد عبد القيس: مرحباً بالقوم أو بالوفد الذين جاءوا غير خزايا ولا ندامى(٣)!

---

(١) خ: ٧٨ ـ كتاب الأدب/٢٧ ـ باب رحمة الناس والبهائم، وم: ٤٥ ـ كتاب البر/١٧ ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. ح: ٦٦.

(٢) خ: ٨ ـ كتاب الصلاة/٤ ـ باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به خ:٤

(٣) خ: ٢ ـ كتاب الإيمان/٤١ ـ باب أداء الخمس من الإيمان، وم: ٢ ـ كتاب الطهارة/٧ ـ باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين ح ٢٤.

التبشير والتهنئة

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ [سورة الزمر، الآيتان ١٧ و١٨].

عن قتادة: قلت لأنس: أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم[١].

وعن كعب بن مالك في حديثه الطويل الممتع الذي لا ترتفع إلى مستواه أرقى الآداب العالمية عن توبة الله حين تخلف عن غزوة تبوك، قال: . . . وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله! ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يُبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مَرَّ عليك منذ ولدتك أمك[٢]!

عن أبي بُردة، قال: بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن فقال: يسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبشِّرا ولا تنفرا، وتطاوعا[٣].

التهنئة بالزواج

لما تزوج عبد الرحمن بن عوف بعد الهجرة قال له رسول الله ﷺ: بارك الله لك. . .[٤].

---

(١) خ: ٧٩ ـ كتاب الاستئذان/٢٧ ـ باب المصافحة.

(٢) خ: ٦٤ ـ كتاب المغازي/٧٩ ـ باب حديث كعب بن مالك، م: ٤٩ ـ كتاب التوبة/٩ باب توبة كعب بن مالك ح ٤٥.

(٣) خ: ٦٤ ـ المغازي/٦٠ ـ بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن ح: ٣ وم: ٣٢ ـ الجهاد/٣ ـ باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ح: ٤.

(٤) خ: ٦٧ ـ كتاب النكاح/٥٧ ـ باب كيف يدعى للمتزوج، وم: ١٦ ـ النكاح/١٢ ـ باب الصداق ح: ٧٥.

الإيناس والاستعطاف عند الطلب

عن سعد بن أبي وقاص، قال: نَثَل لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد فقال: ارم فَداك أبي وأمي(1)!

وفي حديث أُبي بن كعب الطويل عن موسى والخضر، قال سعيد بن جبير لابن عباس: أي أبا عباس جعلني الله فداءك! بالكوفة رجل قاصٌّ يقال له نَوْف يزعم أن موسى ليس موسى بني إسرائيل... (2).

ولما طلب الرسول ﷺ من سلمة بن الأكوع امرأة من السبي كان نفلها له أبو بكر، قال له: هب لي المرأة لله أبوك! قال له سلمة: هي لك يا رسول الله، فبعث بها رسول الله إلى أهل مكة ففدى بها ناساً من المسلمين(3).

مكافأة البشير

أعطى كعب بن مالك مَنْ بَشَّره بالتوبة ثوبيه اللذَيْن لم يكن يملك غيرهما (4).

إجابة النداء بكلمة لبيك

في حديث مقاضاة كعب بن مالك أبا حدرد دينَه عليه ناداه رسول الله فقال: لبيك يا رسول الله (5)!.

وعن معاذ بن جبل، قال: كنت رِدف رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخِرة الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك رسول الله وسعديك! ثم

---

(1) خ: ٦٤ ـ كتاب المغازي/١٨ ـ باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ح: ٥

(2) خ: ٦٥ ـ كتاب التفسير/١٨ ـ سورة الكهف/٣ ـ باب قوله تعالى: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما..﴾

(3) م: ٣٢ ـ كتاب الجهاد/١٤ ـ باب التنفيل وفداء الأسرى. ح: ٤٣.

(4) خ: ٦٤ ـ المغازي/٦٩ ـ باب حديث كعب بن مالك، وم: ٤٩ ـ كتاب التوبة/٩ ـ باب توبة كعب بن مالك. ح: ٤٥.

(5) خ: ٨ ـ كتاب الصلاة/ ٧١ ـ باب التقاضي والملازمة في المسجد، وم: ٢٢ ـ كتاب المساقاة/٤ ـ باب استحباب وضع الدين. ح: ١٨.

ســار ساعــة، ثم قال: يـا معاذ بن جبـل. قلت لبيـك رسـول الله وسعـديـك! . . . الحديث [1].

تسمية الناس وتكنيتهم بما يحبون

عن سهل بن سعد، أن رجلاً جاء إليه، فقال: هذا فلان لأميـر المدينـة يدعو علياً عند المنبر. قال: فيقول ماذا؟ قال: يقول لـه أبو تـراب، فضحك. قال: والله! ما سماه إلا النبي ﷺ، وما كان له اسم أحب إليه منه [2].

جواز تكنية الكافر

في حـديث عيادة النبي ﷺ لسعـد بن عُبادة، ومـروره على عبـد الله بن أُبي، وقـولِ عبد الله بن أُبي للنبي ﷺ: لا تغبِّـروا علينا، وقـولـه: ارجـع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. . . قال: فركب النبي ﷺ دابته دخل على سعد بن عبادة، فقال له: أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ . . . [3]

طيب الكلام وإلانَتُهُ

قال تعالى ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الرعد، الآية ٨٨].

وقـال تعالى ﴿فَبِمَـا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَـوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].

والمؤمنـون كما قـال الله تعالى: ﴿أَشِـدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح، الآية ٢٩].

والمرأة لا تُلين الكلام، ولا تخضع به لقـوله تعـالى: ﴿. . . إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٣٢].

---

(١) خ ـ ٧٧ ـ كتـاب اللبـاس/١٠١ ـ بـاب إرداف الرجـل خلف الرجـل، وم: ١ ـ كتـاب الإيمان/١٠ ـ باب من لقي الله بالإيمان. ح ٤٦.

(٢) خ: ٦٢ ـ كتاب أصحاب النبي/٩ ـ مناقب علي بن أبي طالب.

(٣) خ: ٧٩ ـ الاستئذان/٢٠ ـ باب التسليم على مجلس فيـه أخلاط من المسلمين والمشـركين، وم: ٣٢ ـ الجهاد/٤٠ ـ باب دعاء النبي إلى الله وصبره. . . ح: ١٠٥.

إذا أحب أحداً فليُعلمه أنه يحبه

عن أنس؛ أن النبي ﷺ رأى صبياناً ونساءً مقبلين من عرس، فقام نبي الله ﷺ مُمْثلاً، فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ. اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ يعني الأنصار(١).

جواز ترخيم الاسم تدليلاً وتأليفاً

عن أبي هريرة في حديثه الطويل عن خروجه جوعانَ لم ينتبه إليه أبو بكر ولا عمر، وأخذه النبي ﷺ إلى منزله، وسقاه لبناً حتى ما وجد له أبو هريرة مسلكاً، وفيه تكرار قول رسول الله ﷺ: أبا هر(٢).

وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام. قلت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى(٣).

التدليل بالألقاب والكُنى

عن سهل بن سعد، قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقِلْ عندي. قال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو، فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: قم أبا التراب(٤).

كلمات استعطاف ـ لله أبوك

عن سلمة، وقد نفَّله أبو بكر فتاة من السبي جميلة... قال: فلقيني

---

(١) خ: ٦٣ ـ مناقب الأنصار/٥ ـ باب قول النبي للأنصار: أنتم أحب الناس إليَّ وم: ٤٤ ـ كتاب الصحابة/٤٣ ـ باب فضائل الأنصار ح ١٧٦.

(٢) خ: ٨١ ـ الرقاق/٧ ـ كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه/ح ١.

(٣) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/١١١ ـ من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً/ح ١، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/١٣ ـ فضل عائشة/ح ٩٣.

(٤) خ: ٨ ـ الصلاة ٥٨ ـ باب نوم الرجل في المسجد/ح ٢ وم: ٤٤ ـ الصحابة/٤ ـ من فضائل علي/ح ٤٠.

رسول الله ﷺ في السوق، فقال: يا سلمة هب لي المرأة، فقلت: يا رسول الله والله لقد أعجبَتْني وما كشفت لها ثوباً ثم لقيني من الغد في السوق، فقال لي : يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك! فقلت: هي لك يا رسول الله فوالله ما كشفت لها ثوباً! فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أُسِروا بمكة(١).

وقالها عمر بن الخطاب لحذيفة حين سأل عمر عن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. . . قال حذيفة: فأُسكِت القوم، فقلت: أنا. قال: أنت لله أبوك(٢)!

جواز قول: جُعِلت فداءك

عن علي؛ قال: ما رأيت النبي ﷺ يُفَدِّي رجلاً بعد سعد. سمعته يقول: ارم فداك أبي وأمي(٣)! وذلك يوم أحد.

عن الزبير بن العوام، قال: أما والله لقد جمع لي رسول الله ﷺ يومئذ أبويه، فقال: فداك أبي وأمي(٤)!

وقال النبي ﷺ حين أتى النساء بعد صلاة العيد، وبلال باسط ثوبه: لَكُنَّ فِدًى أبي وأمي! فيلقين الفَتَخ والخواتيم في ثوب بلال(٥).

---

(١) م: ٣٣ ـ الجهاد/ ١٤ ـ التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى/ح ٢١٤.
(٢) م: ١ ـ الإيمان/بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً/ح ٢١٤.
(٣) خ وم: خ: ٥٦ ـ الجهاد/ ٨٠ ـ المجن ومن يتترس به/ح ٤، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/ ٥ ـ فضائل سعد/ح ٤٣
(٤) خ وم: خ: ٦٢ ـ مناقب أصحاب النبي/١٣ ـ مناقب الزبير بن العوام ح ٤ وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٦ ـ فضائل طلحة والزبير/ح ٥١ :.
(٥) خ وم: خ: ١٣ ـ العيدين/ ١٩ ـ موعظة الإمام النساء يوم العيد، وم: ح ٨/١ ـ كتاب العيدين.

التشجيع على العمل الصالح من منطلق الدعوة إلى الخير

عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ أتى زمزم وهم يَسقُون فيها، فقال: اعملوا فإنكم على عمل صالح، ثم قال: لولا أن تُغلَبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه يعني عاتقة، وأشار إلى عاتقه[1].

وعنه؛ أن رسول الله ﷺ استسقى فأتيناه بإناء من نبيذ، فشرب وسقى فضله أسامة، فقال: أحسنتم وأجملتم[2]!

دعاء الإنسان لنفسه

عن علقمة، قال: قدمت الشام، فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يَسِّر لي جليساً صالحاً، فأتيت قوماً فجلست إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، فقلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء... إلخ الحديث[3].

دعاء الإنسان لمن صنع إليه معروفاً

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله تعالى فأعطُوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فادعوا الله حتى تروا أنكم قد كافأتموه[4].

وعن أنس؛ قال: قدم عبد الرحمن بن عوف، فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاري امرأتان، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك! دُلّني على السوق... الحديث[5].

---

(١) خ: ٢٥ ـ الحج/٧٥ ـ سقاية الحاج/ ح ١.
(٢) م: ١٥ ـ الحج/ وجوب المبيت بمنى ليالي أيام التشريق/ح ٣١٧.
(٣) خ: ٦٢ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ /٢٠ مناقب عمار وحذيفة و ٢٧ ـ مناقب عبد الله بن مسعود.
(٤) أبو داود في الزكاة ٣٨ وفي الأدب ١٠٨ والنسائي في الزكاة ٧٢.
(٥) خ: ٦٣ ـ مناقب الأنصار/٣ ـ إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار.

وعن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءاً قال: من صنع هذا؟ فأُخبر، فقال: اللهم فَقِّهْهُ في الدين(1).

وعن أبي قتادة؛ قال: . . . فبينا رسول الله ﷺ يسير حتى ابهارَّ الليل (انتصف)، فنعَس رسول الله ﷺ، فمال عن راحلته، فأتيته فدعَمته، ثم سار حتى كان بين آخر السحر فدعَمته، وأخيراً قال: حفظك الله بما حفظت به نبيه . . . الحديث(2).

الدعاء للغير في حضوره

عن أنس؛ قال: دخل النبي ﷺ علينا، وما هو إلا أنا وأمي وأم حَرام خالتي فقال: قوموا فَلِأُصَلي لكم في غير وقت صلاة، فصلى بنا. . . ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير، وكان آخر ما دعا لي به: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه(3).

وعن أم سُليم؛ قالت: يا رسول الله أنس خادمُك! ادع الله له. قال: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيتَه(4).

وعن ابن عباس؛ قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: اللهم علمه الحكمة(5).

وفي رواية: اللهم فقهه في الدين(6).

وعن أبي موسى ـ لما مات أبو عامر عمُّه في غزاة أَوْطاس؛ قال: . . . فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مُرْمِل، وعليه فراش قد أثر

---

(1) خ وم: خ: ٤ ـ الوضوء/١٠ ـ وضع الماء عند الخلاء، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٣ ـ من فضائل ابن عباس. ح ١٤١.

(2) م: ٥ ـ المساجد/٥٥ ـ قضاء الصلاة الفائتة/ح ٢٩٨.

(3) م: ٥ ـ المساجد/٤٨ ـ جواز الجماعة في النافلة/٢٥٣.

(4) خ وم: خ: ٨٠ ـ الدعوات/٤٧ ـ الدعاء بكثرة المال مع البركة، وم: ٤٤ ـ ٣٢ ـ من فضائل أنس/ح ١٤٤.

(5) خ: ٦٢ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ /٢٤ ـ ذكر ابن عباس.

(6) خ: ٤ ـ الوضوء/١٠ ـ وضع الماء عند الخلاء.

رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وبخبر أبي عامر، وقال: قل له: استغفر لي (أي قال أبو عامر لأبي موسى: قل للرسول: استغفر لي) فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه، فقال: اللهم اغفر لعُبيدٍ أبي عامر، ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس، فقلت: ولي فاستغفر، فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مُدخلاً كريماً[1].

وفي حديث مرض سعد بن أبي وقاص، وعَرْضِه أن يتصدق بثلثي ماله دعا له النبي ﷺ: اللهم اشف سعداً، وأتمم له هجرته[2].

وفي رواية من الحديث دعا له النبي ﷺ، فقال: اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم[3].

وعن السائب بن يزيد؛ قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة[4].

وقد سبقت أمثلة كبيرة لدعاء الأنبياء والملائكة والصالحين من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

الدعاء لمن ليس حاضراً

وهو مشروع بل مطلوب وهو أقوى في إيجاد الترابط والتواد بين الناس من الدعاء لمن كان حاضراً.

---

(١) خ وم: خ: ٦٤ ـ المغازي/٥٥ ـ غزاة أوطاس/ح ١، وم: ٤٤ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ /٣٨ ـ من فضائل أبي موسى/٩ ح ١٦٨.

(٢) خ: ٧٥ ـ المرضى/ ١٣ ـ وضع اليد على المريض/ح ١.

(٣) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/٣٧ ـ رثى النبي ﷺ سعد بن خولة/ح١، وم: ٢٥ ـ الوصية/١ ـ الوصية بالثلث /ح ٣.

(٤) خ وم: خ: ٤ ـ الوضوء/ ٤٣ ـ استعمال فضل وضوء الناس/٩ ح ١، وم: ٤٣ ـ الفضائل/ ٣٠ ـ إثبات خاتم النبوة/ح ١٠٦.

فعن أبي الدرداء؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل[1].

وفي رواية أخرى عن أبي الدرداء؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول: دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة. عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك: آمين، ولك بمثل[2].

ومما ورد في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد، الآية ١٩].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الحشر، الآية ١٠].

ومما ورد من الدعاء لمن ليس حاضراً ما روى أبو هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: أَسْلَم سالمها الله! وغِفار غفر الله لها[3]!.

وعن عائشة؛ قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل (وفي رواية: يقرأ في المسجد) فقال: يرحمه الله! لقد أَذْكَرني كذا وكذا آيةً أُسقطتُها في سورة كذا وكذا[4].

وعن عبد الله بن مسعود؛ أن النبي ﷺ حين قال له ذو الخويصرة: إن هذه لَقِسمة ما عُدِلَ فيها، وما أريد بها وجهُ الله قال: يرحم الله موسى! لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر[5].

---

(١) م: ٤٨ ـ الذكر/ ٢٣ ـ فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب/ح ٨٤.

(٢) المرجع السابق الحديث رقم ٨٤.

(٣) خ وم: خ: ٦١ ـ المناقب/ ٦ ـ ذكر أسلم وغفار.. الخ/ح ٣، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٤٦ ـ دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم/ح ١٨٦.

(٤) خ وم: خ: ٦٦ ـ فضائل القرآن/٢٦ ـ نسيان القرآن/ح ٢، وم: ٦ ـ صلاة المسافرين/٣٣ ـ الأمر بتعاهد القرآن/ ح ٢١٨.

(٥) خ وم: خ: ٥٧ ـ فرض الخمس/١٩ ـ ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ح ٨، وم: ١٢ ـ الزكاة/ ٤٦ ـ إعطاء المؤلفة قلوبهم ح ١٤٤.

الدعاء لمن حصلت منك إليه إساءة

عن أبي هريرة؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: اللهم فأيما عبد سببتُه فاجعل ذلك له قربة إلى يوم القيامة[1].

الدعاء في أثناء الحوار لتلطيفه

عن جابر بن عبد الله في حديث شراء النبي ﷺ جملَه وسؤالِه عن زواجه. . . قال رسول الله ﷺ: أتبيعنيه بكذا وكذا، والله يغفر لك[2]؟.

وفي رواية من هذه القصة: فما زال يزيدني (أي في الثمن)، ويقول: والله يغفر لك!

وعن عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت، قال: . . . ثم مضينا حتى أتينا جابر بن عبد الله في مسجده، وهو يصلي في ثوب واحد مشتملاً به، فتخطيت القوم حتى جلست بينه وبين القبلة، فقلت يرحمك الله! أتصلي في ثوب واحد ورداؤك إلى جنبك[3]؟

الدعاء الطيب بديل من اللوم الخفيف

لما ذكر لعبد الله بن عمر قول أبي هريرة عن النبي ﷺ من استثناء كلب الماشية والصيد والزرع من أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب قال: يرحم الله أبا هريرة! كان صاحب زرع[4].

وقال حذيفة حين قتل المسلمون أباه خطأً يوم أحد: غفر الله لكم[5]!

وقال النبي ﷺ: يغفر الله للوط! إن كان ليأوي إلى ركن شديد[6].

---

(١) خ وم: ٨٠ ـ الدعوات/٣٤ ـ قول النبي ﷺ: من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة/ ح١، وم: ٤٥ ـ البر/ ٢٥ ـ من لعنه النبي ﷺ كان له زكاة وأجراً/ح ٩٠.

(٢) م: ١٧ ـ الرضاع/ ١٦ ـ استحباب نكاح البكر/ح ٥٥.

(٣) م/: ٥٤ ـ الزهد/ ١٨ ـ حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر/ح ٧١.

(٤) م: ٢٢ ـ المساقاة/١٠ ـ الأمر بقتل الكلاب/ح ٥٤.

(٥) خ: ٥٩ ـ بدء الخلق/١١ ـ إبليس وجنوده/ح ٢١.

(٦) خ وم: خ: ٦٠ ـ الأنبياء/١٥ ـ (ولوطا إذ قال لقومه) الـخ/ح ١، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٤١ ـ فضائل إبراهيم/ح ١٤٨.

تلميحاً إلى قول لوط لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة هود، الآية ٨٠].

ما يقال لمن يضحك

أضحك الله سنك! قالها عمر للنبي ﷺ حين رأى النبي ﷺ يضحك من ابتدار النساء الحجابَ حين سمعت صوت عمر يستأذن على النبي ﷺ[1].

الدعاء للغير دون نفس

استفاض في السنة الصحيحة الدعاء للغير دون النفس، وفي ٨٠ ـ كتاب الدعوات ١٩ ـ باب قول الله تعالى: وصل عليهم، ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه وفي ٤٥ ـ كتاب البر من مسلم قدر طيب قد وزع هنا في مناسباته.

طلب الدعاء للآخرين

عن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أُوَيس لا يَدعُ باليمن غير أم (وفي رواية من الحديث هو بها بَرٌّ) كان به بياض... فمروه فليستغفر لكم[2].

وفي رواية من الحديث عن جابر، قال عمر لأويس: فاستغفر لي، فاستغفر له.

طلب الدعاء من الآخرين

سبق منه ليس بالبعيد قدر، وللمزيد:

وعن أبي هريرة؛ قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة يومَ الذي مات فيه، فقال: استغفروا لأخيكم[3].

---

(١) خ وم: خ: ٥٩ ـ بدء الخلق/١١ ـ صفة إبليس وجنوده/ح ٢٥، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٢ ـ فضائل عمر/ح ٢٥.

(٢) م: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٥٥ من فضائل أويس القرني/ح ٢٢٥.

(٣) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/٦١ ـ الصلاة على الجنائز/ح ١، وم: ١١ ـ الجنائز/٢٢ ـ التكبير على الجنازة/ح ٦٤.

تشميت العاطس

للعطاس دلالة صحية، وتشميت العاطس من الواجبات (في بعض الأحاديث) على المسلم للمسلم، ومن حقوق المسلم على المسلم في بعضها، وهو من وسائل التودد بين الناس أو ما يسمى في هذا العصر بآداب المعايشة أو (الإتيكيت).

فعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ: خمس تجب للمسلم على أخيه المسلم: رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض واتباع الجنائز[1].

وعنه؛ أن رسول الله ﷺ: قال: حق المسلم على المسلم ستٌّ. قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، إلخ الخمس في الحديث السابق والسادسة: وإذا استنصحك فانصح له[2].

ما يقول العاطس وما يقال له

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ؛ قال: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله! فإذا قال له: يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم[3]!

لا يُشَمَّت من لم يحمد الله

عن أنس؛ قال: عَطس رجلان عند النبي ﷺ، فشمَّت أحدهما ولم يشمِّت الآخر فقيل له، فقال: هذا حمد الله، وهذا لم يحمد الله[4].

---

(١) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/٢ ـ الأمر باتباع الجنائز/ح ١، وم: ٣٩ ـ السلام/٣ ـ من حق المسلم على المسلم رد السلام./ح ٤.

(٢) المرجع السابق الحديث رقم ٥.

(٣) خ: ٧٨ ـ الأدب/١٢٦ ـ إذا عطس كيف يشمت/ح ١.

(٤) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/ ١٢٣ ـ الحمد للعاطس /ح ١، وم: ٥٣ ـ الزهد/٩ ـ تشميت العاطس/ ح ٥١.

وعن أبي موسى؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا عطَس أحدكم فحمد الله تعالى فشمِّتوه ـ فإن لم يحمد الله تعالى فلا تشمتوه[1].

التثاؤب

للتثاؤب دلالة صحية ليست ملائمة، ولهذا جاءت الأحاديث منفرة منه، وقد تكون دلالته الصحية منبئة بمتاعب صدرية فلا ينصرف إليه في هذه الحالة شيء من التنفير.

عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: إن التثاؤب من الشيطان ـ فإن تثاءب أحدكم فليكظِم ما استطاع[2].

إذا تكرر العطاس

عن سلمة؛ أنه سمع النبي ﷺ، وعَطس عنده رجل، فقال له: يرحمك الله! ثم عطس أخرى، فقال له: يرحمك الله! ثم عطس أخرى، فقال له رسول الله: الرجل مزكوم[3].

ما يقول إذا رأى على أخيه ثوباً جديداً

عن أم خالد بنت سعيد بن العاص، قالت: أُتِي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: من ترون نكسو هذه الخميصة؟ فسكت القوم. قال: ائتوني بأم خالد، فأُتي بها تُحمَل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: أبلِي واخْلِقي! وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: يا أم خالد هذا سناه (بالحبشية حسن)[4].

---

(١) م: ٥٣ ـ الزهد/٩ ـ تشميت العاطس/ح: ٥٢.

(٢) خ وم: خ: ٥٩ ـ بدء الخلق/١١ ـ إبليس وجنوده/ح ٢٠، وم: ٥٣ ـ الزهد/٩ ـ تشميت العاطس/ح ٥٤.

(٣) م: ٥٣ ـ الزهد/٩ تشميت العاطس/ح ٥٣.

(٤) خ: ٧٧ ـ الباس/٢٢ ـ الخميصة السوداء/ح ١.

الفصل الرابع
التكافل الفكري والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا بد للمعايشة السليمة المنتجة من التكافل الفكري الذي يعبر عنه في الثقافة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو النصيحة.

ولا بد لهذا التكافل من استطراق المعرفة والعلم بكل فروعه بين العارفين وغير العارفين، واستطراق التصحيح لما ينحرف من فكر، ويخطىء من عِلم، وينحرف من سلوك.

ويقع على العارفين والمصلحين عبء التغلب على عوائق هذا الاستطراق وتيسيره.

ويكتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهمية جديدة في هذا العصر بسبب زحف الفردية المندفع إلينا من الثقافات الأخرى تحت استار من اللياقة وآداب السلوك وحرية الفرد، وشعارات الأدب للأدب والفن للفن وصارت كلمة الوعظ وما يشم منه في الأعمال الفنية مثل المحرمات (التابو)، وبحيث صار استهداف الإصلاح من الأعمال الفنية مسقطاً في مقاييسهم للقيمة الفنية للعمل.

والإفاضة في عراقة هذا الأصل في الثقافة الإسلامية وفائدته في إصلاح الأمور أكبر من أن يتسع لها هذا الكتاب.

ويكفي أن نسوق حديثاً واحداً فيه المثل الحسي الرائع للتكافل الفكري والاجتماعي.

فعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ؛ قال: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا! فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً[1].

والتزام المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التزام يومي وليس موسمياً ولا خاصاً بالعلماء. فمن علم وأحسن الأداء فليؤدِّ.

فعن أبي ذر، عن النبي ﷺ أنه قال: يصبح على كل سلامى أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة[2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حق الجلوس على الطرقات[3] ونصح المسلم من عناصر مبايعة الرسول ﷺ لأصحابه.

فعن جرير؛ قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم[4].

نصح المتخاصمين

وفي أحاديث اللعان قال النبي ﷺ لأخوي بني العجلان في أثناء تلاعنهما: إن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب مرتين[5].

وفي رواية أخرى ثلاث مرات[6].

---

(١) خ: ٤٧ ـ الشركة/٦ ـ هل يقرع في القسمة؟/ح ١.

(٢) م: ٦ ـ صلاة المسافرين/٣ ـ استحباب صلاة الضحى/مع ٧٩.

(٣) خ وم: خ: ٤٦ ـ المظالم/٢٢ ـ أفنية الدور والجلوس فيها/ح ١، وم: ٣٨ ـ الآداب/٣٢ ـ النهي عن الجلوس في الطرقات/ح ١١٨.

(٤) خ وم: خ: ٢ ـ الإيمان/٤٣ ـ قول النبي ﷺ: الدين النصيحة لله ولرسوله إلخ/ح ١، وم: الإيمان/ ٢٢ ـ بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ح ٨٩.

(٥) خ: ٦٨ ـ الطلاق/٣٢ ـ صداق الملاعنة/ح ١.

(٦) ٦٨ ـ الطلاق/٣٣ ـ قول الإمام للمتلاعنين: أحدكما كاذب فهل منكما تائب ح ٢.

وفي أحاديث اللعان في مسلم، أن الرسول ﷺ تلا على الملاعن الآيات من سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾ الآيات، ووعظه وذكَّرَهُ وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة[1].

والنصيحة الكبرى لكل المتخاصمين جاءت في حديث أم سلمة؛ أن النبي ﷺ سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخَصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسِب أنه صدق، فأقضي له بذلك. فمن قطعت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها[2].

جزاء التنافض بين قول الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وفعله

عن أسامة بن زيد؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى! قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه[3].

حث من سئل علماً لا يعلمه أن يدل على من يعلمه

عن شريح بن هانئ ؛ قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين، قالت: عليك بابن أبي طالب فسله، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ إلخ[4].

وأحال ابن عباس من سأله عن وتر رسول الله ﷺ على عائشة، وقال: إنها أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ[5].

(١) م: ١٩ ـ كتاب اللعان.

(٢) خ وم: خ: ٤٦ ـ المظالم/١٦ ـ أثم من خاصم في باطل وهو يعلمه/ح ١، وم: ٣٠ ـ الأقضية/٣ ـ الحكم بالظاهر/ح ٤.

(٣) خ وم: خ: ٥٩ ـ بدء الخلق/١٠ ـ صفة النار/ح ٩، وم: ٥٣ ـ الزهد/٧ ـ عقوبة من أمر بالمعروف ولا يفعله/ح ٤٩.

(٤) م: ٢ ـ الطهارة/ ٢٤ ـ التوقيت في المسح على الخفين ح ٨٥.

(٥) م: ٦ ـ صلاة المسافرين/١٨ ـ جامع صلاة الليل/ح ١٣٣.

وإن لم يعلم الجواب، ولم يعلم من يجيب فليقل: الله أعلم ولا يفتي بغير علم.

فقد عتب الله على سيدنا موسى حين سئل: أي الناس أعلم، فقال: أنا أعلم إذ لم يَردَّ العلم إلى الله، وذلك في قصته مع الخضر(1).

ما يقول من دعي إلى حكم الله تعالى

يقول ما حكى الله تعالى عن شأن المؤمنين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [سورة النور، الآية ٥١].

إعلان التبرِّي من المعاصي والبدع

عن أبي بُردة؛ قال: وجِع أبو موسى، فغُشي عليه، ورأسه في حَجْر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً. فلما أفاق قال: أنا بريئ ممن برئ منه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة (الصائحة) والحالقة (للشعر) والشاقَّة (للملابس)(2).

الاقتصاد في الموعظة

عن شقيق (أبي وائل)؛ قال: كان ابن مسعود يُذكِّر الناس عند كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددْتُ أنك ذكَّرتنا كل يوم، فقال أمَا إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أمِلَّكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا(3).

---

(1) خ وم: خ: ٣ ـ العلم/٤٤ ـ ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله/ح ١، وم: ٤٣ ـ الفضائل/٤٦ ـ من فضائل الخضر/ ح ١٦٢.

(2) خ وم: خ ـ تعليقاً في كل نسخ البخاري إلا في نسخة ابي الوقت فهو فيها موصول في ٢٣ ـ الجنائز/٣٨ ـ ما ينهي من الحلق عند المصيبة/ح ١، وم: ١ ـ الإيمان/٤٢ ـ تحريم ضرب الخدود/ح ١٥٣.

(3) خ وم: خ: ٣ ـ العلم/١٢ ـ من جعل لأهل العلم أياماً معلومة/ح ١، وم: ٥٠ ـ صفات المنافقين/١٩ ـ الاقتصاد في الموعظة/ح ٥٨.

التوضيح في الوعظ والنصح

عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا سلَّم سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً[1].

وعن عائشة؛ أن النبي ﷺ كان يُحَدِّث حديثاً لو عده العادُّ لأحصاه[2].

---

(٢) خ: ٣ ـ العلم/ ٣٠ ـ من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه/ح ١.

(٣) خ وم: خ: ٦١ ـ المناقب/٢٣ ـ صفة النبي ﷺ /ح٢٨، وم: ٥٣ ـ الزهد/١٦ ـ التثبت في الحديث/ح/٦٨.

الفصل الخامس

حفظ اللسان ودوره في التعبير

العلاقة بين اللسان وبين ما يعبر عنه

يهدف هذا الجزء من فقه الذكر والدعاء إلى ما يساعد على ضبط اللسان عن التعبير السيِّئ عن الخلُق الكامن أوعن بدوات النفس الآنية الخالية من المسؤولية.

وعملية ضبط اللسان في حقيقتها عملية نفسية في مكافحة وتهبيط لسورة الأخلاق السيئة والتحكم فيها.

كما يهدف هذا الجزء إلى التخفيف من التزمت والتزيد في منع تعبيرات فيها تنفيس مسموح به عن حصَر الصدور عندما يحيق الظلم أو يشتد المصاب.

واللسان من أهم جوارح التعبير عن الكيان النفسي والخُلُقي للإنسان بدرجات مختلفة من الزيف أو الصدق.

وقد وضحت في أول الكتاب العلاقة بين اللسان وما يعبر عنه من خلق مكنون.

وهذا التعبير مستتبع للمسؤولية عما يعبر عنه، فقد جاء في حديث معاذ: ثم أمسك رسول الله ﷺ، بلسانه، وقال: كُفَّ عليك هذا. قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ﷺ: ثكلتك أمك! وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم[1].

---

(١) الترمذي وقال: حسن صحيح وابن ماجة.

وعن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ بكى لمرض سعد بن عَبادة. . فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه[1].

والخلق السيِّئ والفساد النفسي إذا تحقق ورسخ مستتبع للمسؤولية الدينية أمام الله إن شاء عفا عنها وإن شاء عاقب سواء ظهر على جارحة أو لم يظهر، ومستتبع لها أمام الناس إذا ظهرت على جارحة. أما إذا جاءت الخواطر السيئة عابرة فقد جاء فيها:

عن أبي هريرة - يرفعه - ؛ قال ﷺ: إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدَّثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلمْ[2].

وقد علق الطهطاوي في هداية الباري بترتيب أحاديث البخاري على الحديثين بأنه لا تنافيَ بينهما وبين الآية: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخْفُوه يُحَاسِبكُمْ بِهِ اللَّه**﴾ لأن حكم النظم الكريم فيما وصل من المعاصي القلبية إلى حد الرسوخ وقوة العزيمة، والحديث فيما خطر بالنفس، وهو أحد الأوجه التي ارتضاها الإمام محمد عبده[3].

أهمية حفظ اللسان

ولهذه الأهمية المستفيضة في الكتاب والسنة بوب أئمة الحديث في مصنفاتهم لحفظ اللسان، وصرح القرآن الكريم بأن اللسان أول الجوارح التي تشهد بما ارتكب الإنسان، ولم يخصص لغيره من الجوارح رقيب عتيد، ومنه تخرج الكلمة التي ترفعنا درجات أو نَهوِي بها في جهنم.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: إن العبد ليتكلم بالكلمة من

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري في ١٥ - باب إذا حنث ناسياً في الأيمان/١٤٩ العتق.

(٣) تفسير المنار للآية ٢٨٤ من سورة البقرة.

رضوان الله لا يُلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخَط الله لا يُلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم[1].

التوازن في حصاد الألسنة

هل يعني ما مضى أن نلزم الصمت فلا نتكلم؟ إن للصمت أوقاتاً يجب فيها وللكلام مثلَها.

إن حب الكلام غريزة فطرية للتعبير عن النفس لما تَطلُب ولما ترفُض ولما تشعُر. لكن نوع الكلام والقدر اللازم للحياة منه يختلفان من شخص إلى شخص وعند الشخص الواحد من موقف إلى موقف.

الصمت

الصمت ليس مرادفاً لحفظ اللسان. إن الأمر به موجه عندما لا يكون الكلام خيراً ـ فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ. . . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمُت[2].

وقد ورد النهي عن الصمت عن الكلام المباح ولو كان نذراً ـ فعن ابن عباس، قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظلَّ ولا يتكلمَ ويصوم، فقال النبي ﷺ : مروه: ليتكلم وليستظل وليقعُد وليتم صومه[3].

وعن قيس بن أبي حازم، قال دخل أبو بكر على امرأة من أخمس يقال لها زينب، فرآها لا تكلَّم، فقال: ما لها لا تكلم؟ قالوا: حجت مُصمِتةً. قال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل. هذا من عمل الجاهلية[4].

---

(١) رواه البخاري في ٨١ ـ كتاب الرقاق/ ٢٣ ـ باب حفظ اللسان ح ٥.
(٢) خ و م: خ: ٧٨ ـ كتاب الأدب/ ٣١ ـ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، وم: ح ٧٢/١٩ ـ باب الحث على إكرام الجار/ ١ ـ الأيمان.
(٣) خ: ٨٣ ـ كتاب الأيمان والنذور/ ٣١ ـ باب النذر فيما لا يملك ولي معصيته ح ٥.
(٤) ح : ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار/ ٢٦ ـ أيام الجاهلية/ ح ٤.

ومن المواضع التي يُطلب فيها الصمت:

١ ـ عند إرادة الحلف بغير الله لقوله ﷺ: . . . من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمُتْ[١].

٢ ـ عند سماع القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [سورة الأعراف، الآية ٢٠٤].

٣ ـ عند سماع الخطيب يوم الجمعة، فعن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلَّى ما قُدِّر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام[٢].

٤ ـ بعد صلاة العشاء لقول أبي برْزة: . . وأن النبي ﷺ يستحب أن يؤخر العشاء، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها[٣].

٥ ـ وقد مر وجوب الصمت حين لا يكون الكلام خيراً.

ما فيه سعة من الكلام: جواز أن يشكو المرء

على عكس ما يرى المتصوفة من أن الشكوى تنافي الورع، فإن للمرء أن يُنَفِّس عن ألم جسمي أو نفسي بالشكوى لله تعالى وللآدميين من غير جزع وللأطباء، وله أن يشكو ظالمه، وأن يدعو عليه.

فعن عبد الله بن مسعود، قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكا شديداً. قال: أجَلْ. إني أوعَك كما يوعَك رجلان منكم[٤].

---

(١) رواه البخاري في ٨٣ ـ كتاب الإيمان والنذور/٤ ـ باب لا تحلفوا بآياتكم.

(٢) رواه مسلم في ٧ ـ كتاب الجمعة/٨ ـ باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة/٢٩.

(٣) ح: ٩ ـ كتاب مواقيت الصلاة/١٣ ـ باب وقت العصر/ح ٤.

(٤) رواه الشيخان: البخاري في ٧٥ ـ كتاب المرضى/٣ ـ أشد الناس بلاء الأنبياء/ح ١، ومسلم في ٤٥ ـ كتاب البر/٤ ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ح ٤٤.

وقـال سيدنـا أيـوب: ﴿.. أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّـرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ ٱلـرَّاحِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٨٣].

وقالت عائشة: واراساه! فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه! (١).

المحظورات

قول أفٍّ

ورد النهي في القـرآن الكريم عن قـولها لـلأبوين، ممـا يفيد بمفهـومه النهي الشديد عما هو أشد، وعن أنس بن مالك، قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين. والله ما قال لي أفًّا قط! (٢).

قيل وقال

هما الرعي حول حمى الغيبة والنميمة والبهتان، والبلوى منهمـا عامـة. فعن ورَّاد مولى المغيرة عن المغيـرة؛ قال ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجـلَّ حرَّم عليكم عقـوق الأُمَّهات، ووأْد البنـات، ومنْعاً وهـات، وكرِه لكم ثـلاثاً: قيـل وقـال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال (٣).

الغيبة والبهتان

قـد عرَّفهـما رسول الله ﷺ، فعن أبي هـريرة، أن رسـول الله ﷺ قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الغيبة ذِكْرُك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه فقد بهَتَّه (٤).

وقال النووي في الأذكار: ذكرك الإنسـان بما يكـره يكون بلفظ أو كتـابة

---

(١) رواه البخاري في ٧٥ ـ كتاب المرضى/١٦ ـ باب قول المريض: إني وجع/ح ٢.

(٢) رواه مسلم في كتـاب الفضائـل/١٣ ـ باب حسن خلقـه ﷺ /٤٣ ـ كتاب الفضـائل/ح ٤٧ و خ: ٧٨ ـ كتاب الأدب/٣٩ ـ باب حسن الخلق والسخاء/ح ٦.

(٣) رواه الشيخـان: البخـاري في ٧٨ ـ الأدب، /٦ ـ عقـوق الـوالـدين/ح ١، ومسلم في ٣٠ ـ الأقضية. /٥ ـ باب النهي عن كثرة المسائل/ح ٢.

(٤) رواه مسلم في ٤٥ ـ كتاب البر/٢٠ ـ باب تحريم الغيبة/ح ٧١.

أو رمـز (كاريكـاتير) أو محـاكاة أو إشـارة مُفْهِمة للمقصـود وضابـطهـا أن كـل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة[1].

وقد تظاهر على تحريم الغيبـة والبهتان الـدلائل الصـريحة من الكتـاب والسنة.

الفساد النفسي الذي تعبر عنه الغيبة

تعبـر كتب التراث عن الفسـاد النفسي بأمـراض القلب، والغيبة محببـة إلى النفس بأسباب. فإذا انساق الإنسـان في إشباعهـا إلى مدى بعيـد صارت مرضاً قلبياً، ومن أسباب إغرائها:

١ ـ أنهـا وسيلة سهلة للانتقـام من الشخص الذي نكـرهه لعـدم القدرة على مواجهته.

٢ ـ إن تخفيض الآخرين والغض من أقدارهم يرضي الشعور بـالتسامي والاستعلاء عند ذوي النـفوس المنحطة.

٣ ـ وسيلة للتقرب إلى بعض الأشخاص بالغض من أقدار أعدائهم.

٤ ـ أنها منزلق خفي يبدأ من القيل والقال.

ماله شكل الغيبة وليس بغيبة

ويحتاج الأمر فيه إلى مزيد من الحيطة فهـو مزلقـة لا ينجو منهـا إلا كل حاذق. قد توجب المصلحة توضيح عيب بعض الناس في حالات منها:

١ ـ تظلم المظلوم إلى من ينصفه كالقاضي أو الحاكم.

٢ ـ الاستعـانـة على تغييـر المنكـر ورد العـاصي وبخـاصـة المجـاهـر بمعصيتـه أو بدعتـه، ويستطيـع العقـلاء الاحتيـاط لأن اغتيـاب بعض العصـاة يشجعهم على إظهـار ما يستـرون والمجاهـرة بما يُخفـون، ففـرق ـ كمـا قـال الماوردي ـ بين الإنكار على المجاهر وغيبة الساتر[2].

---

(١) الأذكار باب بيان مهمات تتعلق بحد الغيبة. (٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٤٠.

٣ ـ التحذير والنصيحة لقوله ﷺ: الدين النصيحة[١]، ومن ذلك تجريح الشهود ورواة الأحاديث والنصيحة عند المصاهرة أو الائتمان أو المشاركة، ويحتاج هذا إلى مزيد احتراس من النفس وحيلها. وقد خصص الإمام مسلم أبواباً في مقدمة صحيحة في إباحة تجريح رواة الحديث.

٤ ـ الاستفتاء لمعرفة حكم شرعي بأن يقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي في كذا وكذا، فهل له ذلك؟، وما تقول في رجل كان من أمره كذا وكذا[٢]؟ ومثله استفتاء هند زوج أبي سفيان أن تأخذ من ماله، وقالت: إنه رجل شَحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي[٣].

٥ ـ التعريف بما يشتهر به الشخص كالأعمش والأعرج بحيث لا يكون القصد الانتقاص.

النميمة

خصلة سيئة تتداخل في الغيبة، وهي محببة إلى النفس، وتتحول بتكرار الممارسة إلى مرض متمايز ومركب من عناصر من الأمراض النفسية الأخرى، منها:

أ ـ **الحسد**: إذا رأى الحسود شخصين تظلهما نعمة الصداقة تحرك في نفسه الميل إلى الحلول محل أحدهما عند الآخر في أخف الأحوال أو حب زوال النعم عن عباد الله في أسوئها.

وقد يصل ضيق الأفق والجهل عند بعض الناس إلى اعتبار أن أي اتفاق بين اثنين أو أكثر لا بد أن يتضمن مؤامرة ضد ثالث، وقد يسترسل في الاستدلال المريض إلى أنه لا بد أن يكون هو الشخص الثالث فيسعى للتفريق بين المتصادقين.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأيمان/ح ٨٧.

(٢) الأذكار للنووي باب بيان ما يباح من الغيبة.

(٣) رواه الشيخان: البخاري في ٦٩ النفقات/٩ ـ باب إذا لم ينفق الرجل/ح ١ ومسلم من ٣٠ ـ كتاب الأقضية/٤ ـ قضية هند/ح ٦.

ب ـ **سوء الظن**: يظن النمام أن صداقة اثنين أو أكثر لا بد أن تكون على الإثم والعدوان، ومن ثم فالتفريق واجب.

د ـ **الانتقام الرخيص** انتقام الجبان العاجز عن مواجهة خصمه، فيتقرب إلى عدو عدوه ليتظاهر به عليه أو يخلق من العدم عدواً يؤازره.

هـ ـ **الرغبة في الصيد في الماء العَكِر**. فإذا تعكر ما بين اثنين أو طائفتين فإن ثمة صيْدا.

حكم النميمة

حكمها التحريم الشديد. قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيرِ مُعْتد أثِيم**﴾[1] فهذه مجموعة من الأمراض النفسية المتداخلة مع النميمة، والمصاحبة لها، وعن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة نمَّام، وفي رواية لا يدخل الجنة قتَّات[2].

الاستماع إلى الغيبة والنميمة

وكما يحلو ارتكاب الغيبة والنميمة لبعض مرضى النفوس يحلو كذلك سماعها لهم ولغيرهم من أمثالهم بمآرب تتقابل وتتجاوب مع مآرب المغتابيين والنمامين، ومنها:

١ ـ بعض المستمعين ممن يلذ لهم أن يطلعوا على عيوب الناس ليحصل لهم ارتياح كاذب بالتفوق.

٢ ـ المستمع المنحرف حين يسمع انتقاص غيره يبرر لنفسه سوء خلقها.

حكم الاستماع إلى الغيبة والنميمة

كما يحرم ارتكابُهما يحرم الاستماع إليهما، وعدمُ رد الغيبة والنميمة

---

(١) سورة القلم، الآيات ١٠ ـ ١٢.

(٢) رواه الشيخان: البخاري في ٧٨ كتاب الأدب/ ٥ ـ باب ما يكره من النميمة ومسلم من ١ ـ كتاب الإيمان/ ٤٣ ـ باب غلظ تحريم النميمة/ ح ١٥٦.

عنـد سماعهـا كما يحـرم الإقبال على سمـاعهما لقـولـه تعـالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[1].

وقـد علمنا القـرآن الكريم المـوقف الشـديـد الـذي يجب أن نقفـه من المغتـابين والنمامين، وهـو ظن الخير بـالمؤمنين واستبعاد صـدور الشر منهم، والـرد على المغتاب، وجـاء ذلك التعليم في حـادثة من أشـد الحـوادث التي هـزَّت المجتمع الإسـلامي، تلك هي حديث الإفـك. قال تعـالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة النور، الآية ١٢]، وقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية ١٦].

وفي حـديث عِتبان بن مـالك، قـال: . . . قام النبي ﷺ يصلي فقـالوا: أين مالك بن الدخشم؟ فقال رجـل: ذلك منـافق لا يحب الله ورسولـه، فقال النبي ﷺ: لا تقل ذلك. ألاّ تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟[2].

وفي قصة توبـة كعب بن مالـك الرائعـة قال النبي ﷺ - وهـو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسـول الله حبسـه برداه والنـظر في عِطفَيـه، فقال لـه معاذ بن جبـل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً! فسكت رسول الله ﷺ. . . الحديث[3].

السخرية والاحتقار ولواحقهما

يتبـع السخريـة من الناس احـتقارهـم، ويصـاحبهـا مـرض أو أكثـر من الأمراض النفسية مثل الكبر، والاغترار بالمال والصحة والجاه، ومركبات النقص اللاشعورية والتي تتجسد في الشعور على هيئة التعالي والتسامي.

وقـد توجهت الآيـات والأحـاديث إلى النهي عن السخـريـة والأمـراض النفسيـة المصاحبـة لها، ومن ذلـك قوله عزَّ وجـلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

(٢) م: ١٠/٥١ ـ من لقي الله بالإيمان. . الخ/١ ـ الإيمان.

(٣) رواه الشيخـان: البخاري في ٦٤ المغـازي ٧٩ ـ حـديث كعب بن مـالـك/ح ١، ومسلم في ٤٩ ـ كتاب التوبة/٩ ـ باب حديث توبة كعب بن مالك/ح ٤٥.

يَسْخَر قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١١].

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: . . . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقِره. بحسب امرئ الشر أن يحقِر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمُه وماله وعرضه[1].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ؛ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً. قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكِبر بطَر الحق وغمْط الناس[2]. وفسر النووي الغمْط بأنه الاحتقار.

اللمز والهمز

الهمز واللمز لغةً العيب، وأصله الإشارة بالعين، وهو من باب السخرية. قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة، الحجرات، الآية ١١]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [سورة الهمزة الآية ١].

النهي عن الألقاب التي يكرهها صاحبها

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [سورة الحجرات الآية ١١].

قال النووي[3]: اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره سواء أكان صفة له أو لأحد أبويه، واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف وقد سبق حديث ذي اليدين.

النهي عن انتهار الوالدين

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا

(١) م: ٤٥ ـ كتاب البر/١٠ ـ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره/ح ٣٠.
(٢) م: ١ ـ الأيمان/٣٧ ـ تحريم الكبر/ ح ١٣٦.
(٣) الأذكار ص ١٢٩.

يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ [سورة الإسراء، الآية ٢٣].

النهي عن انتهار الفقراء والضعفاء

قد يبدو لبعض المنحرفين عن المعاني الإنسانية، وعن المصالح العليا للبشرية بعامة وللدول والأفراد بخاصة أن تفاوت الناس في الثروة والصحة والجاه واللون والسلالة يستلزم التفرقة في حق التمتع المتساوي في الحقوق الإنسانية.

ويوجد هذا الانحراف فيما نحسبه أرقى المجتمعات البشرية حتى يبدو التمييز العنصري في أبشع صورة، ويتخفى هناك بأبشع مما نتصور.

وقد قضى الإسلام على التفرقة لغير التمايز في العمل والتقوى مزاولة وعملاً وتشريعاً. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٣].

وعن عائذ بن عمرو؛ أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها! قال: فقال أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[1]!.

الفحش وبذاءة اللسان

قال النووي: معناه التعبير عن الأمور المستقبحة بعبارة صريحة وإن كانت صحيحة.

وينبع الفحش وبذاءة اللسان من أمراض نفسيه هي انعدام الضبط وامتلاك النفس أو ضعفهما، وانعدام المسؤولية الاجتماعية أو ضعفها، والعداء للمجتمع وقيمه فيما يلخص في تعبير انعدام الحياء.

---

(١) م: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٤٢ ـ فضائل سلمان وصهيب/ح ١٧٣.

عن عبد الله بن عمرو؛ قال: لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشا وكان يقول: إن مِن خياركم أحسَنكم أخلاقًا[1].

استخدم القرآن الكريم الكنايات عن الأمور التي يحسن سترها، فكنى عن الاتصال الجنسي بالرفث والإفضاء واللمس وعن إخراج فضلات الطعام بالمجيء من الغائط.

السب واللعن والدعاء على الغير

السب هو ذكر النقائص سواء أكانت حقيقية أم مختلقة في مواجهة المسبوب. فإذا لم يكن ذلك في مواجهته فهو غيبة إذا كان صدقاً، وهو بهتان إذا كان كذباً، واللعن هو الدعاء بالطرد والإبعاد من الخير.

حكم السب واللعان والدعاء

إن المنهج في هذا الكتاب قائم على قصد إيجاد الحساسية لأوامر الدين ونواهيه إلى الدرجة التي تكون فيها أكبر مستند للمؤمن فيما يأتي وفيما يدع، لأن كثيراً من الناس إذا دُعوا إلى السنة، فقيل لهم: هذا فعله النبي ﷺ قال قائلهم: وهل هو فرض؟ وإذا قيل لهم: هذا تركه النبي ﷺ أو نهى عنه قال قائلهم: وهل هو حرام؟، فلا يكفيهم ليفعلوا أن النبي ﷺ فعل أو أمر أو استحسن، كما لا يكفيهم ليتركوا أن النبي ﷺ ترك أو نهى أو استقبح.

قال النووي: يحرم سب المسلم من غير سبب شرعي يُجوِّز ذلك.

ففي خطبة الوداع قال النبي ﷺ: ... فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم... الحديث[2].

---

(١) خ و م: خ: ٦١ ـ المناقب/٢٣ ـ صفة النبي ﷺ /ح ١٨، وم: ٤٣ ـ الفضائل/١٦ ـ حياؤه ﷺ/٦٣.

(٢) خ وم: خ: ٦٤ ـ المغازي/٧٧ ـ حجة الوداع/ح ١١.
وم: ٢٨ ـ القسامة/تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال/ح ٢٦.

وعن ثابت بن الضحَّاك؛ قال ﷺ: . . . ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله[1].

وعن أنس؛ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سبَّاباً. كان يقول عند المعتبة: ما له! ترب جبينه[2]!.

وعن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر[3].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال ﷺ: المستبَّان: ما قالا، فعلى البادي منهما ما لم يعتدِ المظلوم[4].

وعن ابن عمر؛ قال: قال رسول الله ﷺ: أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما[4]. إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه[5].

عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: المسلم من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخِذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار[6].

---

(١) خ وم: ٧٨ ـ الأدب/٤٤ ـ ما ينهى عن السباب واللعن/ح ٤.
وم: ١ ـ الإيمان/٤٥ ـ غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه/ح ١٦٥.

(٢) خ: ٧٨ ـ الأدب/٤٤ ـ ما ينهى عن السباب واللعن/ح ٣.

(٣) خ وم: خ: ٢ ـ الأيمان/٣٧ ـ خوف المؤمن أن يحبط عمله/ح١.
وم: ١ ـ الأيمان/٢٨ ـ قول النبي ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر/ح ١٠٢.

(٤) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٧٣ ـ من كفر أخاه بغير تأويل/ح١.
وم: ١ ـ الأيمان/٣٤ ـ من قال لأخيه المسلم: يا كافر/ح ٩٨.

(٥) هذه الزيادة من رواية مسلم للحديث المتفق السابق.

(٦) م: ٤٥ ـ البر/١٥ ـ تحريم الظلم/ح ٥٩.

النهي عن سب آلهة الكفار

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل، الآية ١٢٥].

وترسم الآيتان الكريمتان المنهج اللازم للمسلمين في الرفق في العلاقات مع أهل الأديان الأخرى، وتجنب إثارتهم بما لا عائد له سوى إرضاء نزعات طفولية غير مسؤولة لا تقدم بل تؤخر في التقدم العام الذي يجب أن نجعله نصب أعيننا كفيصل بين أن نسود أو نُسَاد بل بين أن نكون أو لا نكون، ويكتسب هذا المنهج حتمية لا مفر منها في هذا العصر الذي تتنامى فيه قوة أهل الأديان الأخرى، ولا يعرف المسلمون أو يبدو في غالب الأحيان أنهم لا يريدون رُقيًّا، في هذا العصر الذي هذا شأنه تكونه الخشونة غير المقننة والغوغائية وبالاً علينا.

النهي عن لعن العصاة

لئلا يغريهم ذلك بالتمادي، وهذا معنى رد النبي ﷺ على من دعا على محدود في الخمر، فعن أبي هريرة: أُتي النبيُّ ﷺ برجل قد شرب. قال: اضربوه فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه. فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله!. قال: لا تقولوا هكذا. لا تعينوا عليه الشيطان(١).

وفي رواية عن أبي هريرة: ... لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم(٢).

النهي عن سب الصحابة

عن أبي سعيد الخدري، قال: كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن

---

(١) خ: ٨٦ ـ الحدود/ ٤ ـ الضرب بالجريد والنعال/ح ٣.

(٢) خ: ٨٦ ـ الحدود/ ٥ ـ ما يكره من لعن شارب الخمر/ح ٢.

عوف شيء فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: لا تسبُّوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه[1].

النهي عن سب الأموات

عن عائشة؛ قالت: قال النبي ﷺ: لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفْضَوْا إلى ما قدَّموا[2].

النهي عن سب الحيوان والأشياء

يسب بعض الناس الأشياء والحيوان والظواهر الكونية مثل المطر والرياح والأمراض مثل الحمى.

وهذه الأشياء محايدة ومسخرة تجري على قوانين خاصة بها، ولا إرادة لها ولا عقل، فلا تكون محلاً للمؤاخذة. ويسود ذلك في المجتمعات المتخلفة. وقد كانت الأشياء والحيوانات تحاكم في أوروبا في العصور الوسطى[3].

النهي عن سب الريح

عن أُبي بن كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا الريح. فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمِرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها، وشر ما أُمِرت به[4].

النهي عن سب الحمى

عن جابر، أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسَّيب، فقال: ما لكِ يا أم السائب تزفزفين؟؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها! فقال:

---

(١) خ وم: خ: ٦٢ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ /٥ ـ قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً/ح ١٦. وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٥٤ ـ تحريم سب الصحابة/ح ٢٢٣.

(٢) خ: ٢٣ ـ الجنائز/٩٨ ـ ما ينهى عن سب الأموات/ح ١.

(٣) انظر كتاب المسؤولية والجزاء للدكتور على عبد الواحد وافي، ومقاله عن عقوبة الحيوان والجماد في عدد منبر الإسلام شوال ١٣٨٢ ومارس١٩٦٣.

(٤) الترمذي: ٣٤ ـ الفتن/٦٥ ـ ما جاء في النهي عن سب الرياح/ح ٢٥٢.

الا تسبي الحمى فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خَبث الحديد[1].

سب الدهر

عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار[2].

وعنه؛ قال: قال ﷺ: لا يسب أحدكم الدهر، فإن الله هو الدهر ولا يقولن أحدكم للعنب الكَرْم، فإن الكرم الرجل المسلم[3].

وعنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر! فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره. فإذا شئت قبضتهما[4].

سب الأبوين

عن عبد الله بن عمرو؛ قال ﷺ: إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ـ قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه[5].

لا يُعاب الطعام

عن أبي هريرة؛ قال: ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط. إن اشتهاه أكله وإلا تركه[6].

---

(١) م: ٤٥ ـ البر/٤٤ ـ ثواب المؤمن فيما يصيبه إلخ/ح ٥٣.
(٢) خ: ٧٨ ـ الأدب/١٠١ ـ لا تسبوا الدهر/ح ١.
(٣) م: ٤٠ ـ الألفاظ من الأدب/٢ ـ كراهية تسمية العنب كرماً/ح ٦.
(٤) م: المرجع السابق، الحديث رقم ٣.
(٥) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٤ ـ لا يسب الرجل والديه/ح ١.
وم: ١ ـ الأيمان/٣٦ ـ الكبائر وأكبرها/ح ١٣٥.
(٦) خ وم: خ: ٦١ ـ المناقب/٢٣ ـ صفة النبي ﷺ /ح ٢٤.
وم: ٣٦ ـ الأشربة/٣٥ ـ لا يعيب الطعام/ح ١٩٤.

ولما قُدِّم الضب إلى رسول الله ﷺ رفع يده، فقال خالد بن الوليد: أحرام الضب يا رسول الله؟ قال: لا ولكن لم يكن بأرض قومي، فأجدني أعافه[1] ولم يعبه رسول الله ﷺ: فيجوز أن يقول المرء: لا أشتهي هذا الطعام ولا يعيبه.

استثناءات من عموم النهي عن السب واللعن والدعاء

مبدأ الاستثناء مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [سورة النساء، الآية ١٤٨].

وورد في القرآن الكريم كثير من دعاء الأنبياء على أقوامهم، وقد سبق منه في أول الكتاب قدر، ونذكر هنا قدراً.

الدعاء على معينين بأسمائهم

عن ابن عباس؛ بلغ عُمَر أن سَمُرة باع خمراً، فقال: قاتل الله سمرة! ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: لعن الله اليهود حُرِّمت عليهم الشحوم فجمَلوها (أذابوها) فباعوها[2].

وعن عائشة في حديث طويل؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ في بيتي هذا: اللهم من ولي من أمر أمتي فشقَّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفَق بهم فارفُق به[3].

وقنت رسول الله ﷺ شهراً بعد الركوع يدعو على أحياء من العرب[4] عن البراء؛ أن النبي ﷺ قال لحسان: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك[5].

---

(١) خ وم: خ: ٧٠ ـ الأطعمة ٩ ـ ما كان النبي ﷺ لا يأكل حتى يسمي له/ح ١. وم: ٣٤ ـ الصيد/٧ ـ إباحة الضرب/ح ٤١.

(٢) خ وم: خ: ٣٤ البيوع/١٠٣ ـ لا يباع شحم الميتة لا يباع ودكه/ح١، وم: ٢٢ ـ المساقاة/تحريم بيع الخمر والميتة الخ/ح ٦٨.

(٣) م: ٣٣ ـ الإمارة/٥ ـ فضيلة الإمام العادل/ح ١٩.

(٤) خ: ٦٤ ـ المغازي/٢٨ ـ غزوة الرجيع/ح ٥.

(٥) خ: ٧٨ ـ الأدب/٩١ ـ هجاء المشركين/ح ٥.

عن عائشة؛ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى!، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. لولا ذلك أبرزوا قبره غير أنه خَشِيَ أن يُتَّخَذ مسجداً[1].

المعينون بالإشارة

عن سعيد بن جبير؛ قال: مر ابن عمر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامَوْنها. فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا[2]!.

المعينون بأوصافهم

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة؛ قال كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل، فقال: ما كان النبي يُسِرُّ إليك؟. قال: فغضب، وقال: ما كان النبي ﷺ يسر إليَّ شيئاً يكتمه الناس، غير أنه قال: حدثني بكلمات أربع. قال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غيَّر منار الأرض[3].

وعنه؛ قال: سئل علي: أخصكم رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا. فأخرج صحيفة مكتوب فيها.. وساق الكلمات الأربع في الحديث السابق[3].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال ﷺ: إذا باتت المرأة مُهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع[4].

وعن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ، فقالت:

---

(١) خ: ٢٣ - الجنائز/٩٧ - ما جاء في قبر النبي ﷺ/ح ٢.

(٢) م: ٣٥ - الأضاحي/٨ - تحريم الذبح لغير الله/ح ٤٠.

(٣) المرجع السابق الحديث ٤٢.

(٤) خ وم: خ: ٦٧ - النكاح/٨٦ - إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها/٢، وم: ١٦ - النكاح/ ١٩ - تحريم امتناعها عن فراش زوجها/ح ١١٣.

يا رسول الله إن لي ابنة عُرَيِّساً أصابتها حصبة فتمرَّق شعرها، أفأصله؟ قال: لعن الله الواصلة والمستوصلة[1].

وعن جابر؛ أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وُسم في وجهه، فقال: لعن الله الذي وسمه[2]!.

جواز لعن الشيطان في الصلاة

عن أبي الدرداء، قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: أعوذ بالله منك!، ثم قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً[3].

النهي عن الدعاء بإثم أو قطيعة رحم وعن الاستعجال

عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل. قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت. قد دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدَع الدعاء[4].

النهي عن الدعاء باستعجال الموت

عن قيس بن حازم، قال: دخلنا على خبَّاب وقد اكتوى سبع كيات، فقال: لوما أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به[5].

النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا

عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَت، فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟ قال:

---

(١) خ و م: خ: ٧٧ ـ اللباس/ ٨٥ ـ الموصولة/ح ٢، وم: ٣٧ ـ اللباس/٣٣ ـ تحريم فعل الواصلة إلخ/ح ١١٩.

(٢) م: ٣٧ ـ اللباس/ ٢٩ ـ النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه/ح ١١٢.

(٣) م: ٥ ـ المساجد/ ٨ ـ جواز لعن الشيطان في الصلاة والتعوذ منه/ح ٣٧.

(٤) م: ٤٨ ـ الذكر والدعاء/ ٢٥ ـ يستجاب للداعي ما لم يعجل/ح ٨٩.

(٥) خ و م: خ: ٨٠ ـ الدعوات/ ٣٠ ـ الدعاء بالموت والحياة/ح ٢، وم: ٤٨ ـ الذكر/ ٤ ـ كراهة تمني الموت لضر نزل به/ح ١١.

نعم. كنت أقول: اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا، قال رسول الله ﷺ: سبحان الله! لا تُطيقه أو لا تستطيعه أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟ قال: فدعا الله له فشفاه[1].

جواز استعمال بعض ألفاظ من السب

أولاً: في حالة قصد السب: كلمة اخسأ، وكلمة ويلك.

ففي حديث ابن عمر في انطلاق النبي ﷺ إلى ابن صائد في رهط من أصحابه، قال النبي ﷺ لابن صائد: إني قد خبأت لك خبيئاً. قال ابن صائد: هو الدُّخُّ. قال النبي ﷺ: اخسأ! فلن تعدو قدرك[2]!.

وعن أبي سعيد الخدري؛ قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يَقسم قَسْماً أتاه ذو الخويصرة رجل من تميم، فقال: يا رسول الله اعدل! فقال رسول الله ﷺ: ويلك! خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل! فقال عمر: يا رسول الله ائذن فيه، فأضرب عنقه... الحديث[3].

ثانياً: للزجر الخفيف عندما لا يقصد السب والدعاء، ومن الكلمات المستخدمة في ذلك: ويحك وويلك وتربت يمينك وترب جبينك وثكلتك أمك ولا أم لك.

عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة، فقال: اركبها قال: يا رسول الله إنها بدنة! قال: اركبها ويلك! في الثانية أو في الثالثة[4].

---

(١) م: ٤٨ ـ الذكر/٧ ـ كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا/ح ٢٢.

(٢) خ وم: خ: ٥٦ ـ الجهاد/١٧٨ ـ كيف يعرض الإسلام على الصبي/ح ١، وم: ٥٢ ـ الفتن/١٩ ـ ابن صائد/ح ٨٩.

(٣) خ وم: ٦١ ـ المناقب/ ٢٥ ـ علامات النبوة في الإسلام/ح ٣٩، وم: ١٢ ـ الزكاة/٤٧ ـ ذكر الخوارج/ح ١٥٢.

(٤) خ وم: خ: ٢٥ ـ الحج/١٠٣ ـ ركوب البدن/ح١، وأيضاً في ٧٨ ـ الأدب/٩٥ ـ قول الرجل؛ ويلك/ح ٢، وم: ١٥ ـ الحج/ ٦٥ ـ جواز ركوب البدنة/ح ٣٤١.

وعن أنس؛ أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول متى الساعة قائمة؟ قال: ويلك! ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: إنك مع من أحببت[1].

وعنه؛ قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، وكان معه غلام له أسود يقال له أنجَشة يحدو، فقال رسول الله ﷺ: ويحك يا أنجشة! رويدك بالقوارير[2].

وعن أبي هريرة؛ أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله هلكت! قال: ويحك! قال: وقعت على أهلي في رمضان. قال: أعتق رقبة. قال: ما أجد. . . الحديث[3].

وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ؛ قال: ويلكم أو ويحكم! لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض[4].

وعندما أبت عائشة أن تأذن لأبي القُعيس أن يدخل عليها بعدما نزلت آية الحجاب، قال لها النبي ﷺ: ائذني له، فإنه عمك. تربت يمينك[5]!.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك[6]!.

وعن أنس؛ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعَّاناً ولا سبَّاباً. كان يقول عند المعتبة: ما لَه؟ تَرِب جبينه[7]!.

---

(١) خ: ٧٨ ـ الأدب/٩٥ ـ ما جاء في قول الرجل ويلك/ح ٩.

(٢) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٩٥ ـ ما جاء في قول الرجل: ويلك/ح ٣.
و م: ٤٣ ـ الفضائل/١٨ ـ رحمة النبي ﷺ للنساء/ح ٦٥.

(٣) خ: ٧٨ ـ الأدب/٩٥ ـ ما جاء في قول الرجل: ويلك/ح ٦.

(٤) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٩٥ ـ ما جاء في قول الرجل: ويلك/ح ٨.
و م: ١ ـ الإيمان/٢٧ ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض/ح ١٠٤.

(٥) خ وم: خ: ٦٥ ـ التفسير/٣٣ ـ سورة الأحزاب/ ٩ ـ باب قوله: إن تبدوا شيئاً أو تخفوه/ح ١، وم: ١٧ ـ الرضاع/تحريم الرضاعة من ماء الفحل/ح ٥.

(٦) خ وم: خ: ٦٧ ـ النكاح/ ١٦ ـ الأكفاء في الدين/ح ٣، وم: ١٧ ـ الرضاع/ ١٥ ـ استحباب نكاح ذات الدين/ح ٤٩.

(٤) خ ـ: ٧٨ ـ الأدب/٤٤ ـ ما ينهى عن السباب واللعن/ح ٣.

وحين استكثر رجل ما أعطى عمر لبنت خُفاف بن إيماء الغِفاري، قال له عمر: ثكلتك أمك! والله إني لأرى أبا هذه وأخاها حاصراً حصناً زمناً فافتتحناه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه(1)!.

وعن عبد الله بن شقيق العُقيلي، قال: قال رجل لابن عباس الصلاة! فسكت، ثم قال: لا أم لك! أتعلمنا بالصلاة(2)؟

الزجر للأولاد والأقارب بإطلاق الأسماء القبيحة

عن عبد الرحمن بن أبي بكر في حديث طويل فيه أن أبا بكر دعا ثلاثة من أهل الصفة، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فتعشى عنده. فلما حضر سأل عن عشاء ضيوفه فقالت امرأته: أبوا حتى تجيء. قال عبد الرحمن: فذهبت فاختبأت، فقال: يا غُنثَر فجدَّع وسب (والغنثر اللئيم)(3).

وعن ابن أبي عتيق؛ قال: تحدثت أنا والقاسم (بن محمد بن أبي بكر) عند عائشة حديثاً، وكان القاسم رجلاً لحانة، وكان لأم ولد (أي أم غير عربية)، فقالت له: ما لك لا تَحدث كما يتحدَّث ابن أخي هذا؟ أما إني قد علمت من أين أُتيت. هذا أدبته أمه، وأنت أدبتك أمك، فغضب القاسم وأضَبَّ عليها (حقِد). فلما رأى مائدة عائشة قد أُتي بها قام. قالت: أين؟ قال: أصلي. قالت: اجلس. قال: إني أصلي. قالت: اجلس غُدَر! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان(4).

---

(1) خ: ٦٤ ـ المغازي/٣٥ ـ غزوة الحديبية/ح ١٢.

(2) م: ٦ ـ صلاة المسافرين/٦ ـ الجمع بين الصلاتين في الحضر/ح ٥١.

(3) خ وم: خ: ٩ مواقيت الصلاة/٤١ ـ السمر مع الأهل والضيف/ح ١، وم: ٣٦ ـ الأشربة/٣٢ ـ إكرام الضيف/ح ١٨٣.

(4) م: ٥ ـ المساجد/١٦ ـ كراهة الصلاة بحضرة الطعام الخ/ح ٦٣.

أقوال يطلب تجنبها

الكلمات التي تعبر عن الكفر والشرك

من الواضح أن كلمة الكفر لا يعادلها ذنب، ولا يقبل معها عمل، لكن إذا أُكرِه مسلم على النطق بكلمة الكفر، فقالها وقلبه مطمئن بالإيمان لم يكفر بنص القرآن الكريم وإجماع المسلمين.

وفي أفضلية الصبر على النطق بكلمة الكفر أوجه ذكرها النووي، والصحيح عند الشافعية أن يصبر للقتل.

وقد أطلقت الأحاديث كلمة الكفر على بعض الأفعال:

فعن أبي ذر؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، وفي رواية مسلم من الحديث زيادة: ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدوُّ الله إلا حار عليه[1].

وعن جرير؛ أنه سمعه (أي النبي ﷺ) يقول: أيما عبد أبق من مواليه، فقد كفر حتى يرجع إليهم[2].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت[3].

وعن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر[4].

---

(١) خ وم: خ: ٦١ ـ المناقب/٥ ـ باب حدثنا معمر/ح ١، وم: ١ ـ الإيمان/٢٥ ـ بيان الرجل حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم/ح ٩٩.

(٢) م: ١ ـ الإيمان/٢٨ ـ تسمية العبد الآبق كافراً/ح ١٠٦.

(٣) م: ١ ـ الإيمان/٢٨ ـ إطلاق اسم الكفر على الطعين في النسب والنياحة على الميت/ح ١٠٥.

(٤) خ وم: خ: ٢ ـ الإيمان/٣٧ ـ خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر/ح ١، وم: ١ ـ الإيمان/٢٦ ـ بيان قول النبي ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر/ح ١٠٢.

وعن جرير؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن بين الرجل وبين الشرك والكفر تركَ الصلاة[1].

وعن زيد بن خالد الجُهني؛ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب[2].

وفي رواية عن ابن عباس... أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نَوْءُ كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إلى قوله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٨٢][3].

قول: خَبُثت نفسي

عن عائشة وسهل بن حُنيف عن النبي ﷺ، قال: لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسَت نفسي[4].

قول: ربي وعبدي

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال لا يقل أحدكم: أَطعِم ربك. وضِّئ ربك. اسق ربك، وليقل: سيدي. مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي. أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي[5].

---

(١) م: ١ - الإيمان/٣٣ - إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة/ح ١٢١.

(٢) خ وم: خ: ١٠ - الأذان/١٥٦ - يستقبل الإمام الناس إذا سلم/ح ٢، وم: ١ - الإيمان/٣٠ - بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء/ح١٠٩.

(٣) م: ١ - الإيمان/٣٠ - بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء/ح ١١٢.

(٤) خ وم: خ: ٧٨ - الأدب/١٠٠ - لا يقل؛ خبثت نفسي/ح ١ و٢، وم: ٤٠ - الألفاظ من الأدب/ ١٠٠ - لا يقل: خبثت نفسي/ح ١٥ و١٦.

(٥) خ وم: ٤٩ - العتق/١٧ - كراهية التطاول على الرقيق/ح ٣، وم: ٤٠ - الألفاظ من الأدب/٣ - حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد/ح ١٤.

وعن أبي هريرة؛ قـال: قال رسـول الله ﷺ: لا يقولن أحـدكم: عبدي فكلكم عبيـد الله، ولكن ليقـل: فتـاي، ولا يقـل العبـد ربي، ولكن ليقـل: سيدي(1).

قـال النووي: قـال العلماء: لا يـطلق الرب بـالألف واللام إلا على الله تعالى خاصة. أما مع الإضافة فيقال: رب المال ورب الدار، ومنه:

قول النبي ﷺ في ضالة الإبل: دعها، فإن معها حذاءها وسقاءهـا، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها(2).

عن أنس، من كتاب أبي بكر إليه في الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين والتي أمر الله بهـا رسـوله. . . ومن لم يكن معـه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها. . .(3).

قول: هلك الناس

ويبالغ في هذا معظم الناس في أحاديثهم، وحتى الوعاظ على منـابرهـم مما يعطي لبعض النفـوس الضعيفة مبـرراً لما تنـطوي عليه نفـوسهم من حقد على الناس وكراهية لهم.

عن أبي هريرة؛ أن رسـول الله ﷺ قال: إذا قـال الرجـل: هلك الناس فهو أهلكهم(4).

قول: ما شاء الله وشاء فلان

عن حـذيفة، عن النبي ﷺ؛ قـال: لا تقولـوا ما شـاء الله وشـاء فـلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان(5).

---

(1) م: ٤٠ ـ الألفاظ من الأدب/٣ ـ حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والسيد/ح ١٣.
(2) خ وم: خ: ٤٢ ـ الزكاة/٣٨ ـ زكاة الغنم/ح ١.
(3) خ: ٤٢ ـ الشرب/١٢ ـ شرب الناس والدواب من الأنهار/ح ٢ وم: ٣١ ـ اللقطة/ح ١.
(4) م: ٤٥ ـ البر/ ٤١ ـ النهي عن قول: هلك الناس/ ح ١٣٦.
(5) أبو داود في كتاب الأدب/٨٤ ـ باب لا يقال خبثت نفسي بـرقم ٤٩٨٠ ص ٢٩٥/ح ٥، وقال النووي: بإسناد صحيح.

وفي حـديث ابتلاء الله تعـالى للثلاثـة جاء الملك إلى كـل من الثـلاثـة فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بـلاغ اليوم إلا بـالله ثم بك. . . الحديث[1].

قول: لو

عن أبي هريرة؛ قـال: قال رسـول الله ﷺ: المؤمن القوي خيـر وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعـك واستعن بالله ولا تعجِز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّرُ الله وما شاء فعل فإن «لو» تفتح عمل الشيطان[2].

قـد جـاء النهي عن قـول: لـو بعـد الأمـر بـالحـرص على مـا لا ينفـع والاستعانة بالله وعدم العجز.

ومع ذلك فالنهي عن قول «لو» مشكل لأن التخطيط والتدبير والتفكير في حل المشكلات وللمستقبـل مبني كله على قول «لو». ففي التخطيط يقـال: لو عملت فيما مضى كذا وكذا بدل كذا لاحتمل الأمر كذا، ويقال: لو أني أعمل كذا فيما يستقبل من الأمر لاحتمـل الأمر كـذا وكذا، فهـل الحديث ينهى عن هذا؟.

ويبـدو أن المنهي عنه هـو اعتقاد تـرتب جواب «لو» على شرطهـا تـرتبـاً ضرورياً مستغنياً عن إرادة الله تعالى، والمنهي عنه كذلـك أن تحصر الشـروط التي يتـرتب عليها الجـواب في فعلنـا نحن بينمـا قـدرتنـا لا تتنـاول من هـذه الشروط إلا قدراً ضئيلاً.

ولـو صغنا تـرتب الجواب على الشـرط بما يفيـد الاحتمال الأرجـح لما انفتح للشيطان في تخطيطنا وتفكيرنا وتدبيرنا أي عمل والله تعالى أعلم.

---

(١) خ وم: خ: ٦٠ ـ أحاديث الأنبياء/٥١ ـ حديث الأبرص والأعمى والأقـرع/ح ١، وم: ٥٣ ـ الزهد/ح ١٠.

(٢) م ٤٦ ـ القدر/٨ ـ الأمر بالقوة وترك العجز/ح ٣٦.

ما يجوز من قول: «لو»

بوب البخاري ٩ ـ باب ما يجوز من الـ «لو» وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [سورة هود، الآية ٨٠].

والأدلة على جواز قول «لو» أكثر من أن تحصى في القرآن الكريم:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٨].

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [سورة الحاقة، الآية ٤٥].

ومن الحديث الشريف:

قوله ﷺ: لو مُدَّ بي الشهر لواصلت (أي الصيام) وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم... الحديث[1].

وقوله ﷺ: لو سلك الأنصار وادياً... لسلكت وادي الأنصار[2].

وقوله ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت[3].

وقوله ﷺ: لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى أي قتلى المشركين في بدر لتركتهم له[4].

الكذب

تعريف الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه.

---

(١) خ وم: خ: ٩٤ التمني/٩ ـ ما يجوز من اللو/ح ٥، وم: ١٣ ـ الصيام/ ١١ ـ النهي عن الوصال في الصوم/ح ٦٢.

(٢) خ ٩٤ ـ التمني/٩ ـ ما يجوز من اللو/ح ٨.

(٣) خ: ٢٥ ـ الحج/٨١ ـ تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف/ح ٢.

(٤) خ: ٦٤ ـ المغازي/١٢ ـ من ١١ ـ شهود الملائكة بدراً/ح ٢٧.

وقد يعتري الكذب بعضُ العوارض فيكتسب أسماء أخرى مثل الخداع لرياء والبهتان والغدر والخيانة.

ومن خصال الخير وخصال الشر ما هو بسيط وما هو مركب.

فخصلة النفاق مركبة من ثلاث صور من الكذب: الكذب الصريح وخلف الوعد وخيانة الأمانة، فعن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان[1].

وفي رواية بمثله، وزاد فيها: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم[2].

ويضيف حديث عبد الله بن عمرو خصلة رابعة هي الفجور في الخصومة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر[3].

الكذب خصلة مكتسبة. كيف؟

إن الكذب كأي خلق وأي مهارة، وأي عادة يكتسب بالتعلم الذي عرفت قوانينه.

ويبدأ التعود أو التعلم ببروز دافع لقول أو فعل لا يوقفه صارف كافٍ من دين أو عقل أو خوف، فإذا تكررت دوافع الكذب، وتكرر إشباعها به عدداً من المرات ثبت وصار الفعل أو القول عادة وخلقاً، وهذا ما يقوله علم النفس وهو

---

(١) خ وم: خ: ٢ ـ الإيمان/٢٤ ـ علامات المنافق/ح ١، وم: ١ ـ الإيمان/٢٣ ـ خصال المنافق/ح ٩٥.

(٢) رواية من حديث مسلم المتفق السابق.

(٣) خ وم: خ: ٢ ـ الإيمان/٢٤ ـ علامة المنافق/ح ٢، وم: ١ ـ الإيمان/٢٣ ـ بيان خصال المنافق/ح ٩٤.

مصداق لقول النبي ﷺ فيما روى عبد الله بن مسعود عنه: إن الصدق يَهدي إلى البر، وإن البر يَهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإنِ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً[1].

ويشير الحديث الشريف إلى ما يقول به علم النفس في تكوُّن خلق الصدق، إذ عندما يتكرر بروز الدافع ويفلح الصارف في الصرف عن الكذب عدداً من المرات يثبت الصدق.

ومن الدوافع التي تدفع إلى الكذب التخلص من المآزق وإخفاء المسؤولية، وإضفاء الأهمية، وتحصيل المنافع العاجلة والانتقام الرخيص والتظارف، وتقليد الكبار ولا سيما الأبوين.

ولا يسهل إشباع هذه الدوافع وأمثالها بالكذب إلا عند ضعف الثقة في النفس، ولذا قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: لم يكذب أحد قط إلا لصغر في نفسه عنده[2].

والمزاح مزلقة خطيرة لا يسلم إلا القليل ممن وضع رجله في أولها من الانحدار إلى قرار الكذب، ويترخص الناس في الكذب في المزاح ويحسبونه هيناً وهو في تكوين عادة الكذب عظيم.

والمزاح ترف مسموح به في الإسلام، وقد مزح النبي ﷺ، وسمع المزاح، غير أنه كان لا يقول إلا حقاً.

عن أنس بن مالك؛ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله احملني. قال: أنا حاملك على ابن الناقة، فقال: يا رسول الله وما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبي ﷺ: وهل تلد الإبل إلا النوق[3]؟.

---

(1) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٦٩ ـ قول الله تعالى: ﴿يـاأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ح ١، وم: ٤٥ ـ البر/٢٩ ـ قبح الكذب وحسن الصدق وفضله/ح ١٠٠.

(2) صفحة ٢٣٦.

(3) الترمذي: ٢٨ ـ البر والصلة/٥٧ ـ ما جاء في المزاح/ح ١٩٩١، وقال: حسن صحيح غريب، وأبو داود: كتاب الأدب/٨٤ ـ ما جاء في المزاح/ح ٤٩.

وعن أبي هريرة؛ قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا. قال: إني لا أقول إلا حقاً[1].

وقد وفد علينا من الغرب وافد الكذب في يوم أول إبريل على سبيل المزاح والتظارف.

عن بهز بن حكيم، قال: حدثني أبي عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويل للذي يُحدِّث ليضحك القوم! ويل له! ويل له[2]!.

أمارات الكذب

قال الماوردي: أعلم أن للكذب أمارات تدل عليه منها أنك إذا شكّكت الكاذب فيه تشكك حتى يكاد يرجع عن كذبه، ومنها أنك إذا رددت عليه حَصِر وارتبك، ومنها ما يظهر على الكاذب من ريبة الكذابين، لأن المريب يكاد يقول: خذوني[3].

وإذا اتسم شخص بالكذب نسبت إليه شوارد الكذب المجهولة المصدر، ثم إنه إن تحرى الصدق اتهم، وإن جانب الكذب كُذِّب[4].

مضاعفات الكذب

الحلف مشروع لتأكيد القول والفعل بطلب وبغير طلب، والاستحلاف مشروع للتأكد من القول أو الفعل.

وقد أقسم الله عز وجل في كتابه العزيز بالنجوم والشفق، والليل وما وسق والقمر إذا اتسق، وبالعصر إلخ.

وأقسم رسول الله ﷺ، لكن المنهي عنه كثرة الحلف بالله، والحلف الكاذب والحلف بغير الله.

---

(١) الترمذي: ٢٨ ـ البر والصلة/٥٧ ما جاء في المزاح.

(٢) أبو داود: كتاب الأدب/باب في التشديد في الكذب/ح ٤٩٩٠.

(٣) كتاب أدب الدنيا والدين ص ٢٣٧.

(٤) المصدر السابق.

كثرة الحلف

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٢٤].

وعن أبي قتادة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إياكم وكثرة الحلف فإنه يُنفِّق ثم يَمْحق(١).

الحلف الكاذب أو تأكيد الكذب بالحلف

وهو إضافة مقيتة إلى أبعاد الكذب، وتعقيد لجريمته، ومضاعفة لمسؤوليته. فإذا ترتب على الحَلِف ضياع حق أو إثبات باطل تضاعفت المسؤولية مراراً.

فعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: ألكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس، واليمين الغموس(٢).

وعن أبي ذر؛ قال: قال ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يُزكِّيهم ولهم عذاب أليم. قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا! من هم يا رسول الله؟ قال: المُسْبل والمنَّان والمُنَفِّقُ سلعتَه بالحلف الكاذب(٣).

وفي رواية أبي هريرة أن الثلاثة هم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا! فصدقه رجل، ثم قرأ الآية(٤).

---

(١) م: ٢٢ ـ المساقاة/٤٨ ـ النهي عن الحلف في البيع: ح ١٢٧.

(٢) خ؛ ٨٣ ـ الأيمان والنذور/١٦ ـ اليمين الغموس/ح ١.

(٣) م: ١ ـ الأيمان/٤٤ ـ بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، وتنفيق السلعة بالحلف الكاذب إلخ/ح ١٥٨.

(٤) خ وم: خ: ٤٢ ـ المساقاة/٥ ـ إثم من منع ابن السبيل من الماء ح ١، وم: ٤٤ ـ بيان غلظ تحريم إسبال الإزار وتنفيق السلعة بالحلف الكاذب/ح ١٦١.

الحلف بغير الله

عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ؛ أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت[1].

وفي رواية عن ابن عمر؛ قال: رسول الله: من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله، وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم[2].

الحلف بملة غير الإسلام كاذباً

عن ثابت بن الضحَّاك؛ قال: قال النبي ﷺ: من حلف بملة سوى الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم[3].

الحلف يكون بالله وبعزته

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: بينا أيوب يغتسل عرياً فخرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك! ولكن لا غنى بي عن بركتك[4].

وعن أبي هريرة في حديث طويل في وصف يوم القيامة يقول آخر أهل الجنة دخولاً الجنة حين يخاطبه الباري: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره؟ يقول هذا الرجل: لا وعزتك لا أسألك غيره[5]!.

---

(١) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٧٤ ـ من لم يـر إكفـار من قـال ذلـك متـأولاً ح ٣ وم: ٢٧ ـ الأيمان/١ ـ النهي عن الحلف بغير الله/ح ٢.

(٢) م: المرجع السابق من مسلم الحديث رقم ٣.

(٣) م: ١ ـ الأيمان/٤٥ ـ غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه/ح ١٦٦.

(٤) م: الغسل/٢٠ ـ من اغتسل عريانا وحده في الخلوة/ح ١.

(٥) خ وم: خ: ١٠ ـ الأذان/١٢٩ ـ فضـل السجـود/ح ١ وم: ١ ـ الأيمـان/٧٩ ـ في طـريق معرفة الرؤية/ح ٢٧٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستحلاف

الاستحلاف مشروع وهو مستفيض في الأحاديث الصحيحة، ففي حديث مالك بن أوس الطويل في خصومة العباس وعلي استحلفهما عمر مراراً قائلاً: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم[1].

اليمين على نية المستحلف

من المزالق التي يستهين بها الناس التلاعب في الإيمان بأن يحلف على نية غير نية المستحلف.

فعن أبي هريرة؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: اليمين على نية المستحلف[2].

التحلل من اليمين والنذر بالكفارة

عن عبد الرحمن بن سمُرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: يا عبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الإمارة، فإنك إن أُعْطيتها عن مسألة وُكِلت إليها، وإن أُعطِيتها من غير مسألة أُعِنْت عليها ـ وإذا حلفت على يمين فرأيت غِيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك، وائت الذي هو خير[3].

عن عقبة بن عامر، عن رسول الله؛ قال كفارة النذر كفارة اليمين[4].

لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك

عن عائشة؛ قالت: قال النبي ﷺ: من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصِه[5].

---

(١) خ وم: خ: ٦٤ ـ المغازي/١٤ ـ حديث بني النضير/ ح ٦، وم: ٣٢ ـ الجهاد/ ١٥ ـ حكم الفيء/ ح ٤٦.

(٢) م: ٢٧ ـ الأيمان/ ٤ ـ اليمين على نية المستحلف/ ح ١٩.

(٣) خ وم: خ: ٨٣ ـ الأيمان والنذور، = ـ باب قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾/ح ٢، وم: ٢٧ ـ الأيمان/ ٣ ـ من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها. . .إلخ/ح ١٧.

(٤) م ـ ٢٦ ـ النذر/٥ ـ في كفارة النذر/ح ١١.

(٥) خ: ٨٣ ـ الأيمان والنذور/٣١ ـ النذر فيما لا يملك وفي معصية/ح ١.

أسر المشركون امرأة من المسلمين، وأُخِذت العضباء ناقة رسول الله ﷺ، فانفلتت المرأة من الوَثاق، وأتت الإبل فوجدت العضباء، فقعدت في عَجُزها وانطلقت بها. فلما قدمت المدينة قالت: إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: سبحان الله! بئسما جَزَتْها! نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها! لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد[1].

وعن أنس؛ أن النبي ﷺ رأى شيخاً يُهادَى بين ابنيه. قال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي. قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغني، وأمره أن يركب[2].

وفي رواية عن أبي هريرة؛ قال ﷺ: اركب أيها الشيخ، فإن الله غني عنك وعن نذرك[3].

ما يستثنى من الكذب

وفيه مزالق يقع بها الكثيرون في مهاوي الحرام.

وقال أناس منهم الطبري: ما جاء من الإباحة في هذا فإن المراد به التورية واستعمال المعاريض لا صريح الكذب، وساق النووي في شرح مسلم أمثلة لذلك.

ومما استثنوه من الكذب الممنوع الصلح بين الناس، وفي الحرب، وفي حديث الزوجين بعضهما لبعض.

فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من المهاجرات الأول

---

(١) م: ٢٦ ـ النذر/٣ ـ لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك/ ح ٧.

(٢) خ وم: خ: ٢٨ ـ جزاء الصيد/٢٧ ـ من نذر المشي إلى الكعبة/ح ١، وم: ٢٦ ـ النذر/٤ ـ من نذر أن يمشي إلى الكعبة/ح ٨.

(٣) م: الموضع السابق الحديث رقم ٩.

اللاتي بايعن رسول الله ﷺ، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً، وَيَنْمِي خيراً[1].

وزاد في رواية مسلم من الحديث: قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخَّص في شيء مما يقول الناس كذبٌ إلا في ثلاث: الحربُ، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأتَه، وحديث المرأة زوجَها.

في التورية والمعاريض مندوحة عن الكذب

تعريف التورية: أن تطلق لفظاً له معنى ظاهر، وتريد به معنى آخر يتناوله اللفظ، ولكنه خلاف ظاهره.

وفي حديث كعب بن مالك في قصد توبة الله عليه في تخلفه عن غزوة تبوك، قال: ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك، فجلَّى للناس أمرهم[2].

وعن أنس بن مالك، في حديثه الطويل عن الهجرة، قال: أقبل النبي ﷺ إلى المدينة وهو مُردِف أبا بكر، فيلقى الرجل أبا بكر، فيقول الرجل: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل. قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير[3].

شهادة الزور

صورة صارخة من الكذب، ففيها تبرئة مذنب، وعقوبة بريء وإهدار حق وإقرار باطل.

---

(١) خ: ٥٣ ـ الصلح/ ٢ ـ ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس/ح ١.

(٢) خ وم: خ ؛ ٦٤ ـ المغازي/ ٧٩ ـ حديث كعب بن مالك/ح ١، وم: ٤٩ ـ التوبة/ ٩ ـ حديث كعب بن مالك وصاحبيه/ح ٤٥.

(٣) خ وم: خ: ٥٢ ـ الشهادات/ ١٠ ـ ما قيل في شهادة الزور/ح ٢، وم: ١ ـ الأيمان/ ٣٦ ـ الكبائر وأكبرها/ح ١٣١.

وقد نهى عنها القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [سورة الحج، الآية ٣٠].

وعدَّها الرسول الكريم من أكبر الكبائر، وأكد قوله فيها بالتحول من الاتكاء إلى الجلوس.

فعن أبي بَكْرة؛ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً. قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[1]!.

النهي عن الشهادة على جور

عن النعمان بن بشير، قال: سألت أمي بعض الموهبة لي من ماله، ثم بدا له فوهبها لي، فقالت: لا أرضى حتى تُشهِد النبي ﷺ، فأخذ بيدي وأنا غلام، فقال: إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا. قال: ألك ولد سواه؟ قال: نعم. قال: فأراه قال: لا تشهدني على جور وفي رواية: لا أشهد على جور[2].

قذف المحصنات

صورة من الكذب تجمع بشاعته وبشاعة الغيبة والنميمة وقول الزور لأنها تمس أرق أوتار الحس من حياة الإنسان وتهزها هزاً عنيفاً، وفيها إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

وحسبك من جريمة أن ينهى ربنا عن قبول شهادة الواقع فيها. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً﴾ [سورة النور، الآية ٤].

كما بينت السنة الشريفة أن قذف المحصنات من الموبقات، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات. قيل: يا رسول الله

---

(١) خ وم: خ: ٥٢ ـ الشهادات/١٠ ـ ما قيل في شهادة الزور/ ح ٢ وم: ١ ـ الإيمان/٣٦ ـ الكبائر وأكبرها/ح ٢.

(٢) خ وم: خ: ٥٢ الشهادات/٩ ـ لا يشهد على شهادة جور/ح ١، وم: ٢٤ ـ الهبة/٣ ـ كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة/ح ١٣.

وما هن؟ قال: الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[1].

الطعن في النسب

صورة من صور القذف، وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت[2].

علاج الأمراض النفسية أو أمراض القلوب

إن علاج الأمراض النفسية أو ما يسمى بأمراض القلوب أصعب بكثير من علاج الأمراض الجسمية، وأهم الأسباب في ذلك أن طبيب الجسم يحصل على معاونة المريض بينما المعالج النفسي طبيباً كان أو واعظاً محروم من هذه المعاونة، لأن المريض النفسي لا يقتنع بمرضه، وإذا اقتنع لا يعترف حفظاً لصورة نفسه أمام الناس أو رضاً بحالته، وفي الحالتين لا يذهب إلى المعالج النفسي، وإذا ذهب قاوم العلاج.

وأهم ما يعمل له المعالج هو إيجاد الدافع للتوبة والتخلص من المرض النفسي ولا بد في هذا من حصيلة كبيرة من آيات الترغيب والترهيب وأحاديثهما، ومن قدر كبير من المعرفة بعلم النفس وعلم الاجتماع لمعرفة الأضرار الفردية والاجتماعية لكل مرض من أمراض القلوب.

وإذا أفلح المعالج في إيجاد الدافع، فلا بد من أن يتابع المريض لمساعدته على تكرار التمرين حتى يتم التخلص بالتعود المضاد.

أما العلاج بطريقة التحليل النفسي فقد برهن على عجزه الذي يكاد أن يكون تاماً، فضلاً عما يترتب عليه من انحرافات واستبدال مرض بمرض، فضلاً عن تكلفته الباهظة.

---

(١) خ وم: خ: ٥٥ ـ الوصايا/٢٣ ـ قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾/ح ١، وم: ١ ـ الأيمان/٣٦ ـ الكبائر/ح ١٣٤.

(٢) خ: ٦٣ ـ مناقب الأنصار/٢٧ ـ القسامة في الجاهلية/ح ٥.

تحريم انتهار الوالدين

قد ورد تشديد النهي عن الإساءة إلى الوالدين في القرآن الكريم حتى عن قول أفٍّ. قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٢٣].

وقد سبق حديث أبي بكرة، وفيه أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر. وحتى لو كان الوالدان مشركين، وحتى لو أمراه بالكفر. قال تعالى: ﴿وإنْ جاهَدَاكَ على أن تُشرِكَ بي ما ليس لَكَ بِهِ علمٌ فلا تُطِعْهُما وصَاحِبْهُمَا في الدُّنيا معروفاً﴾ [سورة لقمان، الآية ١٥].

وقد أكد الرسول الكريم ﷺ حسن الصحبة للأم أكثر من الأب، فعن أبي هريرة؛ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله مَن أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك ـ قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك[1].

وعنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: رغم أنفه! ثم رغم أنفه! ثم رغم أنفه! قيل: منْ يا رسول قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدَهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة[2].

تحريم المن بالعطية

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦٤].

---

(١) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٢ ـ من أحق الناس بحسن الصحبة؟/ح ١، وم: ٤٥ ـ البر/١ ـ بر الوالدين/ح ١.

(٢) م: ٤٥ ـ البر/٣ ـ رغم أنف من أدرك أبويه إلخ/ح ٨.

وقد سبق في الحلف الكاذب حديث أبي ذر، وفيه أن المنان من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

النهي عن الافتخار وتزكية النفس وحب المدح

الافتخار والكبر سببهما الإعجاب بالنفس والصعود بها فوق قدرها.

وقسم النووي[1] ذكر محاسن النفس إلى ضربين: محمود ومذموم.

أما المذموم فالافتخار وحب التميُّز وغمط الناس، والمحمود أن يكون فيه مصلحة دينية، بأن يكون المزكِّي لنفسه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر أو ناصحاً أو مشيراً أو معلماً أو واعظاً بنية أن يكون هذا وسيلة إلى قبول قوله. ومن المحمود التخويف في الحرب للعدو وإرعابه.

فمما جاء في ذم الافتخار والكبر والإعجاب بالنفس:

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [سورة النجم، الآية ٣١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [سورة النساء الآية ٣٦].

عن عائشة؛ أنها أوصت عبد الله بن الزبير: لا تدفني معهم، وادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكَّى به أبداً[2].

وفي رواية: فإني أكره أن أُزكَّى[3].

وعن أبي مالك الأشعري؛ أن النبي ﷺ قال: أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة[4].

---

(١) الأذكار ص ١٢٣.

(٢) خ: ٢٣ ـ الجنائز/٩٧ ـ ما جاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر/ح ٥.

(٣) خ: ٩٦ ـ الاعتصام/١٦ ـ ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم/ح ٦.

(٤) م: ١١ ـ الجنائز/١٠ ـ التشديد في النياحة/ح ٢٩.

وعن عِياض بن حِمار؛ قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً، فقال إن: الله أمرني . . . ، وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد [1].

ونزل من القرآن الكريم الإشارة إلى ما يترتب على الإعجاب بالكثرة من تراخ أتى بالهزيمة في حنين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [سورة التوبة، الآية ٢٥].

الاستثناءات من تزكية النفس

قد افتخر الأنبياء وزكَّوا أنفسهم.

فقال يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف، الآية ٥٥].

وقال عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ﴾ [سورة مريم، الآية ٣٠].

وافتخر النبي ﷺ ومدح نفسه فقال: . . . والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له [2].

وقال: . . . أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مُشفَّع [3].

وعن أنس؛ قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب،

---

(١) م: ٥١ ـ الجنة/١٦ ـ الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار/ ٦١.
(٢) خ وم: خ: ١٣ ـ الصوم/١٢ ـ بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة/ح ٧٦.
(٣) م: ٤٣ ـ الفضائل/٢ ـ تفضيل نبينا على جميع الخلائق/ح ٣.

واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يُبَدِّله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية(١).

وعن سَلَمة بن الأكوع في حديثه الطويل الممتع في غزوة خيبر؛ أن علياً لما بارز مرحباً الخيبري قال:

أنا الذي سمَّتني أُمّي حيدرة   كليث غابٍ كريه المَنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السَّندرة

قال: فضرب رأس مرحب فقتله. ثم كان الفتح على يديه(٢).

وعن ابن عباس، أنه سئل عن البدنة إذا أُزحِفت، فقال: على الخبير سقطت(٣).

ويجمع بين النصوص الناهية عن تزكية النفس وتلك التي أثبتته لعدد كبير من الناس بأن تزكية النفس لا تكون بما ليس فيها، وأن تكون تعبيراً عن واقع، وأن يكون المزكون لأنفسهم بمأمن من الاغترار.

النهي عن التمادح

عنون البخاري في ٧٨ ـ كتاب الأدب الباب رقم ٥٤ ـ ما يكره من الإطناب في المدح، وعنون مسلم في ٥٣ كتاب الزهد ١٤ ـ باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط.

فعن أبي موسى، قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يُثني على رجل، ويطريه في مدحه، فقال ﷺ: أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل(٤).

عن أبي بَكْرة، قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ، فقال:

---

(١) خ/٨ ـ الصلاة/٣٢ ـ ما جاء في القبلة (قبلة الصلاة)/١٢.

(٢) م: ٣٢ ـ الجهاد/٤٥ ـ غزوة ذي قرد/ح ١٢١.

(٣) م: ١٥ ـ الحج/٦٦ ـ ما يفعل بالهدي إذا عطب في الطريق/ح ٣٤٥.

(٤) خ وم: خ: ٥٢ ـ الشهادات/١٧ ـ ما يكره من الإطناب في المدح/ح ١٤، وم: ٥٣ ـ الزهد/ النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط/ح ٦٤.

ويلك! قطعت عنق صاحبك مراراً، ثم قال: مَنْ كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسِب فلاناً والله حَسيبه، ولا يزكّي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه[1].

وعن همَّام بن الحارث، أن رجلاً جعل يمدح عثمان، فعمَد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلاً ضخما، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب[2].

استثناءات من التمادح

استفاض في السنة مدح النبي ﷺ لكثير من الصحابة، ومدح الصحابة بعضهم لبعض، وقد كان الأمن من الاغترار متوفراً.

ففي حديث أبي الدرداء عن إغضاب عمر لأبي بكر ومجيء عمر نادياً. . . فجعل وجه رسول الله ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين! فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله. فهل أنتم تاركون لي صاحبي[3]؟.

وعن سعد بن أبي وقاص في حديثه عن مبادرة النساء اللائي كن عند رسول الله ﷺ الحجابَ لما دخل عمر. . . قال ﷺ: إيهاً يابن الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجًّا قط إلا سلك فجًّا غيره[4]!.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح[5].

---

(١) خ وم: خ: ٥٢ ـ الشهادات/ ١٧ ـ ما يكره من الإطناب في المدح/ح ١، وم: ٤٣ ـ الزهد/١٤ ـ النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط. /ح ٦٤.

(٢) م: المرجع السابق في مسلم الحديث رقم ٦٤.

(٣) خ: ٦٢ ـ فضائل أصحاب النبي/ ٥ ـ فضائل أبي بكر/ح ٧.

(٤) خ وم: خ: ٥٩ ـ بدء الخلق/١١ ـ صفة إبليس/ح ٢٥، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٢ ـ فضائل عمر/ح ٢٢.

(٥) خ وم: ٦٢ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ /٢١ ـ مناقب أبي عبيدة بن الجراح/ ح ١، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٧ ـ فضائل أبي عبيدة/ح ٥٦ ـ.

وعن ابن عباس، ومن أحاديث وفد عبد القيس؛ قال رسول الله ﷺ للأشج أشج عبد القيس: إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة(١).

وعن أبي ذر؛ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن(٢).

وعن البراء في أحد أحاديث صلح الحديبية حين تنازع علي وجعفر وزيد في ابنة حمزة أيهم يكفلها...؛ قال ﷺ لعلي: أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا(٣).

ثنا-الإمام على من أظهر براعة في الحرب.

وعن سلمة بن الأكوع في حديثه الطويل الممتع في آخره عن غزوة ذي قرد. قال رسول الله ﷺ: كان خيرَ فرساننا اليوم أبو قتادة. وخيرَ رجّالتنا سلمة(٤).

جواز إطلاق لفظ السيد

قال تعالى: ﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢٥]. وعن جابر؛ قال: كان عمر يقول أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا يعني بلالاً(٥).

ذم المراء والجدل بالباطل

قد يكون الجدل في حق أو في باطل.

ومن الممدوح قوله تعالى: ﴿ولا تَجادِلوا أهلَ الكتابِ إلاّ بالتي هي أحسنُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

وهو مذموم إذا كان في باطل. قال تعالى: ﴿ما يجادل في آيات الله إلاّ الذِين كفروا﴾ [سورة غافر، الآية: ٤].

الفجور في الخصومة

هو من علامات النفاق، بل هو الركن الرابع من أركان النفاق في حديث عبد الله بن عمرو: أربع من كن فيه إلخ.

(١) م: ١ ـ الإيمان/٧ ـ الأمر بالإيمان بالله إلخ/ح ٢٥.

(٢) م: ٤٥ ـ البر/٥١ ـ إذا أثنى على الصالح فهي بشرى/ح ١٦٢.

(٣) خ: ٥٣ ـ الصلح/٦ ـ كيف يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان/ح ٢.

(٤) م: ٣٢ ـ الجهاد/٤٥ ـ باب غزوة ذي قرد وغيرها/ م ١٢١.

(٥) خ: ٦٢ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ/٢٣ ـ باب مناقب بلال بن رباح/ ح ١.

البلاغة في الخصومة

عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ؛ أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم، فقال: إنما أنا بشر، وأنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ فأحسِب أنه صدق، فأقضي له بذلك. فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها[1].

حديث النفس

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [سورة ق، الآية ١٦].

أولاً: بالمباح والطاعات

بالتفكير في خلق الله ونعمه، وقد وجه القرآن إلى ذلك فيما لا يحصى من الآيات، وقد سبق القول في أول الكتاب عن الذكر بالتفكير فيما يفيد الفرد والمجتمع من علوم ومشروعات.

وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة، فأنا أكتبها له حسنة، ما لم يعمل. فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها. فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها[2].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: من مات ولم يغزُ، ولم يُحدِّثْ نفسه به مات على شُعبة من النفاق[3].

ثانياً: حديث النفس بالممنوع والمعاصي

عن النوَّاس بن سمعان الأنصاري؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس[4].

---

(١) خ: وم: خ: ٤٦ ـ المظالم/١٦ ـ إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه/ح ١، وم: ٣٠ ـ الأقضية/٣ ـ الحكم بالظاهر واللحن بالحجة/ح ٤.

(٢) م: ١ ـ الإيمان/٥٧ ـ إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب/ح ١٩١.

(٣) م: ٣٣ ـ الإمارة/٤٦ ـ من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو/ح ١٥٤.

(٤) م: ٤٥ ـ البر/٥ ـ تفسير البر والإثم/ح ١٢.

وعن أبي هـريرة؛ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم(١).

وعنـه، عن النبي ﷺ؛ قال: يـأتي الشيطان أحـدَكم، فيقول: مَنْ خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول له: من خلق الله؟. فـإذا بلغ لذلـك فليستعذ بالله وَلْيَنْتَهِ(٢).

سوء الظن

هو من حديث النفس.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٢].

وعن أبي هـريرة؛ أن رسـول الله ﷺ قـال: إيـاكم والـظن، فـإن الـظن أكذب الحديث ولا تحسَّسوا ولا تجسسوا، وكونوا عباد الله إخواناً(٣).

الشعر ـ قوله واستماعه

الشعـر من ضمن القول ينـطبق عليه مـا ينـطبق على القـول من أحكـام بحسب صوابه وصلاحه، وخطئه وفساده، وقد وصف القـرآن الشعراء واستثنى منهم في قـوله تعـالى: ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ [سـورة الشعراء، الآيات ٢٢٤ ـ ٢٢٧].

يهيمون أي بخيالهم ويقولون مـا لا يصدر منهم بمبـالغاتهم، وقـد ختم الله تعالى الآيات باستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وقد لخص البخاري المذهب الحق في الشعر حين بوب: ٩٢ ـ كراهية أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصّده عن ذكر الله والعلم والقرآن. في

(١) خ وم: خ: ٦٨ ـ الطلاق/١١ ـ الطلاق في الإغلاق والكره الخ/ح ١.
وم: ١ ـ الإيمان/٥٦ ـ تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر إذا لم تستقر/ح ١٨٧.

(٢) خ وم: خ: ٥٩ ـ بـدء الخلق/١١ ـ صفـة إبليس وجنـوده/ح ٧، وم: ١ ـ الإيمـان/٥٨ ـ الوسوسة في الإيمان/ح ١٩٧.

(٣) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٥٨ ـ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الـظن وم: ٤٥ ـ البر: ٩ ـ تحريم الظن والتجسس/ح ٢٥.

٧٨ ـ كتاب الأدب، وساق من الأحاديث فيه ما رواه أبو هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: لإن يمتلئ جوف رجل قيْحاً يُريه (يأكله) خير من أن يمتلئ شعراً (١).

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرْج إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ﷺ: خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان. لإن يمتلئ جوف رجل قيحاً خير من أن يمتلئ شعراً (٢).

ما يجوز من الشعر والرجَز والحُداء

عن أبي بن كعب؛ أن رسول الله ﷺ قال: إن من الشعر حكمة (٣) وقد حكى النبي ﷺ الشعر ورواه.

فعن جندب؛ قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدمِيت إصبعه، فقال:

هل أنت إلا أصبع دميتِ ... وفي سبيل الله ما لقيت (٤)؟

وعن أبي هريرة في قصصه يذكر النبي ﷺ يقول: إن أخاً لكم لا يقول الرفث يعني بذاك ابن رواحة، قال:

فينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع (٥)

وسمع النبي ﷺ حداء أنجشة، وقال: ويحك أنجشة! رويدك سوقاً بالقوارير (٦)!.

---

(١) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٩٢ ـ ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر ح ٢ وم: ح ٤١/٧ ـ كتاب الشعر.

(٢) م: ح ٤١/٩ ـ كتاب الشعر.

(٣) خ: ٧٨ ـ الأدب/٩٠ ـ ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره/ح ١.

(٤) المرجع السابق الحديث رقم ٢.

(٥) خ: ٧٨ ـ الأدب/٩١ ـ هجاء المشركين/ح ٣.

(٦) خ: ٧٨ ـ الأدب/٩٠ ـ ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره/ح ٥.

وسمع عامر بن الأكوع يرتجز وهم ذاهبون إلى خيبر، فعن سلمة، قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لـولا أنت مـا اهتـدينا   ولا تـصـدَّقنـا ولا صـلينـا

إلخ[1].

واستنشد النبي شعراً إسلامياً وشعراً جاهلياً.

فعن أبي هريرة؛ أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه، فقال: كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة؛ فقال: أنشدك بالله! أسمعت رسول الله ﷺ يقول: أجب عني؟ اللهم أيده بروح القدس؟ قال: اللهم نعم[2].

وعن الشَّريد؛ أنه: رَدِف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ فقلت: نعم. قال: هيه فأنشدته بيتاً فقال: هيه ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه حتى أنشدته مائة بيت[3].

وزاد في رواية من الحديث: فلقد كاد ليسلم في شعره.

الغناء والموسيقى تأليفهما وأداؤهما وسماعهما

مجمل ما أثير حول إباحتهما ومنعهما ليس له ما يبرر كثرته وبروزه من آن إلى آخر، وساعد على هذا الإكثار أن المقصود للمبيحين هو الإباحة المطلقة، وأن المقصود للمناعين هو المنع المطلق.

ومما جاء في المنع قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ

---

(١) خ وم: خ: ٦٤ ـ المغازي/٣٨ ـ غزوة خيبر/ح ٢، وم: ٣٢ ـ الجهاد/ ٤٣ ـ غزوة خيبر/ح ١١٢.

(٢) خ وم: خ: ٥٩ ـ بدء الخلق/٦ ـ الملائكة/ح ٦، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/٣٤ ـ فضائل حسان/ح ١٥٤.

(٣) م: ٤١ ـ كتاب الشعر/ح١.

إنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٣٢].

وروى البخاري تعليقاً عن هشام بن عمار عن. . . عن أبي مالك الأشعري: سمع النبي ﷺ يقول: ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف[1].

ورواه ابن ماجة عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقَيْنات[2].

ومما جاء في الإباحة سماع النبي ﷺ حداء أنجشة لكنه خشي على النساء من ترقيق الحُداء، وقد سبق حديث أنجشة.

وعن عائشة؛ قالت: دخل أبو بكر، وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث. . . قالت: وليستا بمغنيتين (أي محترفتين)، فقال أبو بكر: مزامير الشيطان في بيت رسول الله؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا[3]. ورواه ابن ماجة[4].

وعن عائشة؛ أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو[5].

وعن خالد بن ذكوان؛ قال: قالت الربيِّع بنت معوِّذ بن عفراء: جاء النبي ﷺ حين بُني عليَّ فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت

---

(١) خ: ٧٤ ـ الأشربة/٥ ـ ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ح ١.

(٢) ابن ماجة: ٣٦ ـ الفتن/٢٢ ـ باب العقوبات/ح ٤٠٢٠.

(٣) خ وم: خ: ١٣ ـ العيدين/٣ ـ سنة العيدين لأهل الإسلام/ح ٢، وم: ٨ ـ العيدين: ٤ ـ الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ح ١٦.

(٤) في النكاح/٢١ ـ باب الغناء والدف برقم ٧.

(٥) خ/٦٧ ـ النكاح/٦٤ ـ النسوة اللاتي يهدين العروس إلى زوجها/ح ١.

جـويريـات يضربن بـالدف، وينـدبن مَنْ قتل من آبـائهن يـوم بـدر، إذ قـالت إحـداهن: وفينا نبي يعلم مـا في غد، فقـال: دعي هذه وقـولي بـالـذي كنت تقولين[1].

ورواه ابن ماجة، وزاد فيه قول النبي ﷺ: ما يعلم ما في غـد إلا الله[2] ورواه أبو داود[3].

وفي الأحـاديث الثـلاثـة أن مـوضـوع الغنـاء كـان نـدب مَنْ قتـل من المسلمين يوم بدر.

والخلاصة أن ما يثير الشهوات (أو كما يسميه الصوفية الوجـد والحنين) ويُطمع الذي في قلبه مرض حتى ما لا يقصد به ذلـك في الأصل فهـو ممنوع تأليفاً وأداءً وسماعاً.

والانحراف بالإباحة المقيـدة قد انفـرجت زاويته إلى مـا نراه في الغنـاء الحالي في الإذاعة والتليفيزيون والملاهي وحلقات الذكر ممـا نُعف القلم عن الـولوغ فيـه، ودائماً فـإن زاوية الانحـراف تبدأ وتتخلق من نقـطة واقعـة على المسار السوي.

أمـا المـوسيقى فيبـدو لي ـ والله العـاصم ـ أن مـا يضخم النغم الآدمي المثير ويزيد في إثارته فحكمه المنع، وما لا فلا.

التقعر في الكلام وسجع الكهان وإملال الناس بالوعظ

في حـديث دية الجنين عن أبي هـريـرة: . . . قـال حَمَـل بن النـابغـة الهُـذلي كيف أُغْرم مَنْ لا شـرب ولا أكل، ولا نـطق ولا استهل، فمثـل ذلك يُطَلُّ، فقال رسول الله ﷺ: إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سجعـه الذي سجع[4].

---

(١) خ: ٦٧ ـ النكاح/ ٤٩ ـ ضرب الدف في النكاح والوليمة/ح ١.

(٢) في ـ النكاح/ ٢١ ـ الغناء والدف/ح ١٨٩٧.

(٣) في الأدب/ ـ باب كراهية الغناء والزمر/ح ٤٩٢٢.

(٤) خ وم: خ: ٧٦ ـ الطب/ ٤٦ ـ الكهانة/ح ١، وم: ٢٨ ـ القسامة/ ١١ ـ دية الجنين/ح ٣٢.

وعن عبد الله بن مسعود؛ قـال: قال رسـول الله ﷺ: هلك المتـنطّعـون ثلاثاً[1].

وعن ابن عباس؛ قال: حدث الناس كل جمعة مرة. فإن أبيت فمرتين. فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تُمِلَّ الناس هـذا القرآن، ولا أُلْفِينَّك تأتي القـوم وهم في حـديث من حديثهم فتقصُّ عليهم فتقـطعُ عليهم حديثهم، فتُمِلُّهم، ولكن أنصِتْ فـإذا أمروك فحـدِّثهم وهم يشتهونـه. فانـظر السجع من الـدعـاء فـاجتنبه، فإني عهـدت رسـول الله ﷺ وأصحـابـه لا يفعلون إلا ذلـك يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب[2].

تحريم إفساد العبد والزوجة والابن

هذا يشبه أن يكون بدهياً، لأنه من السعي في الأرض بالفساد وتخـريب البيـوت. قال تعـالى: ﴿وَتَعَاوَنُـوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْـوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُـوا عَلَى الإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢].

وعن أبي هـريرة؛ قـال: قال رسـول الله ﷺ: ليس منـا من خبَّب امـرأة على زوجها أو عبداً على سيده[3].

النهي عن الدعاء على النفس

عن أنس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل بـه... فإن كـان لا بد متمنيـاً للموت، فليقـل: اللهم أحيِني ما كـانت الحياة خيراً لي وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي[4].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ لا يتمنَّ أحدكم المـوت، ولا

(١) م: ٤٧ ـ العلم/ ٤ ـ هلك المتنطعون/ح ٧.

(٢) خ: ٨٠ ـ الدعوات/ ٢٠ ـ ما يكره من السجع في الدعاء/ح ١.

(٣) أبو داود في الأدب/ باب فيمن خبب امرأة على زوجها/ح ٢١٧٥.

(٤) خ وم: خ: ٨٠ ـ الدعوات/ ٣٠ ـ الدعاء بالموت والحياة ح ٣، وم: ٤٨ ـ الذكر/ ٤ ـ كراهة تمني الموت/ح ٩.

يـدْعَ به من قبـل أن يأتيـه. إنه إذا مـات أحدكم انقـطع عمله، وإنه لا يـزيـد المؤمنَ عمرُه إلا خيراً(١).

استثناء من الدعاء على النفس

سبق حـديث دعاء عـائشة على نفسهـا حين تواطـأت هي وحفصة على تبادل بعيريهما ليريا ما يصنع النبي ﷺ.

وعن عـائشة؛ أن سعـداً قال وتحجَّـر جُرحـه للبرء، فقـال: اللهـم إنـك تعلم أنْ ليس أحـد أحبَّ إلي أن أجاهـد فيك من قـوم كذبـوا رسـولـك ﷺ، وأخرجوه اللهم فإن كان بقي من حـرب قريش شيء فـأبقني أجاهـدْهم فيك. اللهم إني أظن أنــك قـد وضعت الحــرب بيننـا وبينهم. فــإن كنت وضعت الحــرب بيننـا وبينهم فــافجُرهــا، واجعـل مــوتي فيهـا، فــانفجــرت من لَبَّته... إلخ(٢) وهذه رواية مسلم.

قيد على التناجي مراعاة لشعور الآخرين

عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال: إذا كانوا ثلاثـة فلا يتنـاجى اثنان دون الثالث(٣).

وعن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال رسـول الله ﷺ: إذا كنتم ثلاثـة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، أجْلَ أن يحزنه(٤).

وغنيٌّ عن الذكر أن التناجي في كل الأحوال لا يكون بـالإثم والعدوان. قـال تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّـذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَـاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـاجَوْا بِـالإِثْمِ وَٱلْعُـدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة الحشر، الآية ٩].

---

(١) م: ٤٨ ـ الذكر/ ٤ ـ كراهة تمني الموت/ح ١٢.

(٢) خ وم: خ: ٦٤ ـ المغـازي/ ٣٠ ـ مـرجـع النبي ﷺ مـن الأحـزاب/ح ٧، وم: ٣٢ ـ الجهاد/ ٢٢ ـ جواز قتال من نقض العهد/ح ٦٤.

(٣) خ وم: خ: ٧٩ ـ الاستئـذان/ ٤٥ ـ لا يتنـاجى إثنـان دون الثـالـث/ح ١، وم: ٣٩ ـ السلام/ ١٥ ـ تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث/ح ٣٤.

(٤) خ وم: خ: ٧٩ ـ الاستئذان/ ٤٧ ـ إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بـالمسـارة ح ١، وم: ٣٩ ـ السلام/ ١٥ ـ تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث/ح ٣٥.

ومن التناجي أن يتكلم اثنان بلغة لا يفهمها الثالث. وهذا استنتاج.

النياحة على الميت والدعاء بدعوى الجاهلية

ليس معنى الصبر إلغاء الحزن والتعبير عنه أو إلغاء البكاء، فقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ بكى وأبكى على أمه وعلى ابنه، وعلى سعد بن عبادة وغيرهم، لكن معناه عدم التفوه بما يغضب الله أو استبطان السخط على الله والاسترسال في الحزن مما يضعف الضبط ويغري بالاندفاع، لذلك جاء الشرع بالضوابط لما يباح من الحزن والبكاء وما لا يباح.

عن عبد الله بن مسعود؛ قال: قال ﷺ: ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية[1].

وعن عائشة؛ قالت: لما جاء النبيَّ ﷺ قتلُ ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن، وأنا أنظر من صائر (شق) الباب، فأتاه رجل، فقال: إن نساء جعفر، وذكر بكاءهن، فأمره أن ينهاهن فذهب، ثم أتاه الثانية: لم يطِعْنه، فقال: انهَهُنَّ، فأتاه الثالثة، قال: والله غلبننا يا رسول الله! فزعمت أنه قال: فَاحْثُ في وجوههن التراب، فقلت: أرغم الله أنفك! لم تفعل ما أمرك رسول الله ﷺ، ولم تترك رسول الله ﷺ من العناء[2].

عن أم عطية؛ قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة ألا ننوح فما وفت منا غير خمس نسوة: أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبْرة امرأة معاذ أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى[3].

وعن أبي موسى؛ قال: لما أصيب عمر جعل صهيب يقول: وا أخاه!

---

(١) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/ ٣٩ ـ ليس منا من ضرب الخدود، وب ٤٠ ـ ما ينهى عن الويل ودعوى الجاهلية/ح ١، وم؛ ١ ـ الإيمان/ ٤٢ ـ تحريم ضرب الخدود الخ/ح ١٥٤.

(٢) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز ٤١ ـ من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن/ح ١، وم: ١٠ ـ التشديد في النياحة/ح ٣٠.

(٣) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/ ٤٦ ـ ما ينهى عن النوح والبكاء/ح ٢، م: ١١ ـ الجنائز/ ١٠ ـ التشديد في النياحة/ح ٣١.

فقال له عمر: يا صهيب أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إن الميت يعذب ببكاء الحي[1].

وعن أنس؛ أن عمر بن الخطاب لما طُعن عوَّلت عليه حفصة، فقال: يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: المعوَّل عليه يعذب[2]؟.

وعن عمر عن النبي ﷺ؛ قال: الميت يعذب في قبره بما نيح عليه[3].

وعن المغيرة بن شعبة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة[4].

ولعائشة فيما روي عن عذاب الميت بما يناح عليه ويعوَّل رأيٌ قد حكَّمت فيه الآية في حديث الثقات، فعنها ـ عندما حُدِّثت بقول ابن عمر: يعذب الميت ببكاء أهله عليه ـ قالت: لا والله ما قال رسول الله من قط: إن الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنه قال: إن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذاباً، وإن الله لهو أضحك وأبكى ولا تزر وازرة وزر أخرى[5].

جواز البكاء على الميت

قلت: لعل سيدنا عمر يقصد بالبكاء النياحة، وهنا يرتفع الإشكال، ولعل الصحابة فهموا من نهي النبي ﷺ عن النياحة والأمر بالصبر يعني أيضاً النهي عن البكاء، لكنه ﷺ وضح لهم الفرق بين الاثنين، فعن ابن عمر؛ قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود. فلما دخل عليه وجده في غاشية أهله، فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى

(١) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/٣٣ ـ قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء الحي/ح ٧، وم: ١١ ـ الجنائز/٩ ـ الميت يعذب ببكاء أهله عليه/ح ١٩.

(٢) م: ١ب ـ الجنائز/٩ ـ الميت يعذب ببكاء الحي عليه/٢١.

(٣) خ وم: خ: ٢٣ ـ الجنائز/٣٤ ـ ما يكره من النياحة على الميت/ح ٢، وم: ١١ ـ الجنائز/٩ الميت يعذب بكاء أهله عليه/ح ١٧.

(٤) خ وم: خ: ٢٣: الجنائز/٣٤ ـ ما يكره من النياحة على الميت/ح ١، وم: ١١: ـ الجنائز/٩ ـ الميت يعذب ببكاء أهله عليه/ح ٢٨.

(٥) م: ١١ ـ الجنائز/٩ ـ الميت يعذب ببكاء أهله عليه/ح ٢٢.

رسول الله ﷺ. فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه وكان عمر يضرب فيه بالعصا ويرمي بالحجارة ويحثي بالتراب[1].

وعن أنس بن مالك؛ قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تدمعان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعه بأخرى، فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضَى ربُّنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون[2].

قال النووي: وأما الأحاديث الصحيحة أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هي مؤولة ومحمولة على أن يكون في وصيته لهم البكاء والنياحة[3].

قلت: أو يكون من عادته ذلك في حياته، وليس معنى نفي عائشة لتعذيب الميت بالبكاء عليه إباحة النياحة.

النهي عن الإسعاد وهو المساعدة في البكاء والنوح

عن أم سلمة؛ قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة، لأبكينه بكاء يُتحدَّث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة من الصعيد (عوالي المدينة) تريد أن تُسعدني، فاستقبلها رسول الله ﷺ،

---

(١) خ وم: خ: ٢٣ - الجنائز/٤٥ - البكاء عند المريض/ح ١، وم: ١١ - الجنائز ٦ - البكاء على الميت/ح ١٢.

(٢) خ وم: خ: ٢٣ - الجنائز/٤٤ - قول النبي ﷺ: إنا بك لمحزونون/ح١، وم: ٤٣ - الفضائل/١٥ - رحمته ﷺ الصبيان والعيال/ح ٥٧.

(٣) الأذكار ص ٦٧.

وقال: أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً أخرجه الله منه مرتين؟ فكففت عن البكاء فلم أبك[1].

وما جاء في حديث أم عطية كان استثناء، فعن أم عطية؛ قالت: بايعنا رسول الله ﷺ، فقرأ علينا ﴿ألا يشركن بالله شيئاً﴾[2]، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها، فقالت: أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت فبايعها[3] وفي رواية مسلم من الحديث فقال رسول الله ﷺ: إلا آل فلان.

النهي عن الحديث بما لا يفهم السامعون وما يخاف من تحريف معناه

ينبغي التنزل إلى عقول الناس بقدر، وتحديثهم بما يفهمون. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٤].

وعن ابن مسعود؛ قال: ما أنت بمحدِّث قوم حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[4].

وعن علي؛ قال: حدِّثوا الناس بما يعرفون. أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله[5]؟.

النهي عن الحديث بكل ما يسمع المرء

عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع[6].

---

(١) م: ١١/الجنائز/٦ ـ البكاء على الميت/ح ١٠.

(٢) خ وم؛ خ: ٦٥ ـ التفسير /٦٠ ـ سورة الممتحنة/٣ ـ جاءك المؤمنات يبايعنك/ح ١، وم: ١١ ـ الجنائز/١٠ ـ التشديد في النياحة ح ٣٣.

(٣) سورة الممتحنة، الآية ١٢.

(٤) م: المقدمة/ح ١٢.

(٥) خ: ٣ ـ العلم/٢٩ ـ من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ح ١.

(٦) م: المقدمة/ح ٦.

وعنه عن رسول الله ﷺ، أنه قال: سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم[1].

إفشاء السر بصفة عامة

وعن عائشة ما ملخصه: إن رسول الله ﷺ سارَّ فاطمة في حضور نسائه جميعاً، فبكت، ثم سارَّها الثانية فضحكت. فلما سألتها عائشة قالت: إنه سارَّها في الأولى بأن أجله قد اقترب فبكت، وسارَّها في الثانية بأنها سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت[2].

وعن أنس بن مالك: أسرَّ إليَّ النبي ﷺ سراً، فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سُليم فما أخبرتها به[3]

إفشاء سر المرأة

عن أبي سعيد الخدري؛ قال ﷺ: إن من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجلَ يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها[4].

وعنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها، وقال ابن نمير (أحد رواة الحديث): إن أعظم[5].

إفشاء سر النفس أو المجاهرة

عن أبي هريرة؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح قد ستره

---

(١) م: المقدمة/ح ١٣.

(٢) ملخص من المتفق، وهو في البخاري في ٧٩ ـ الاستئذان/٤٣ ـ من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه الخ ح ١، وم: ٤٤ ـ فضائل الصحابة/١٥ ـ فضل فاطمة/ح ١٠٠.

(٣) خ وم: خ: ٧٩ ـ الاستئذان/٤٦ ـ حفظ السر/ح ١، وم: ٤٤ ـ فضائل أصحاب النبي ﷺ /٣٢ ـ من فضائل أنس/ح ١٤٩.

(٤) م: ١٦ ـ النكاح/٢٠ ـ تحريم إفشاء سر المرأة/ح ١١٦

(٥) المرجع السابق الحديث ١١٧.

الله، فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه[1].

ومن إفشاء سر النفس ـ كما كشف العلم الحديث، وسبقه إلى ذلك الحديث الشريف ـ الإخبار بتلعب الشيطان بالإنسان في المنام.

فعن جابر عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال لأعرابي جاءه، فقال: إني حلِمتُ أن رأسي قُطِعَ فأنا أتْبعه، فزجره النبي ﷺ، وقال: لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام[2].

الشفاعة في الحدود وغيرها

لا تجوز الشفاعة في الحدود، فقد غضب النبي ﷺ من شفاعة أسامة في المرأة المخزومية التي سرقت[3].

أما الشفاعة في المباح فجائزة.

عن أبي موسى؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلب إليه حاجة، قال: اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء[4].

تغيير الأسماء غير المرغوب فيها

عن أبي هريرة؛ أن زينب كان اسمها بَرَّة، فقيل: تُزَكِّي نفسها، فسماها رسول الله ﷺ زينب[5].

---

(١) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/٦٠ ـ ستر المؤمن على نفسه/ح ١، وم: ٥٣ ـ الزهد/٨ ـ النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه/ح ٥٠.

(٢) م: ٤٢ ـ الرؤيا/٢ ـ لا يخبر بتلعب الشيطان به/ح ١٧.

(٣) خ وم: خ: ٦٠ ـ الأنبياء/٥٤ ـ ما ذكر عن بني إسرائيل/ح ١١، وم: ٢٩ ـ الحدود/٢ ـ قطع السارق الشريف والنهي عن الشفاعة في الحدود/ح ٨.

(٤) خ وم: خ: ٢٤ ـ الزكاة/٢١ ـ التحريض على الصدقة وعلى الشفاعة فيها/ح ٢، وم: ٤٥ ـ البر/٤٤ ـ استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام/ح ١٤٢.

(٥) خ وم: خ: ٧٨ ـ الأدب/١٠٨ ـ تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه/ح ٢، وم: ٣٨ ـ الآداب/٣ ـ استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن/ح ١٨.

وعن ابن عباس؛ قال: كانت جويرية اسمها برة فحول رسول الله ﷺ اسمها جويرية، وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة[1].

وعن ابن عمر؛ أن ابنة لعمر كانت يقال لها عاصية فسماها رسول الله ﷺ جميلة[2].

النهي عن المسألة والتكسب منها والإلحاح فيها

عن ابن عمر؛ أن النبي ﷺ قال: ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعة لحم[3].

وعن معاوية؛ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُلحِفوا في المسألة. فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً فتخرج له مسألته مني شيئاً، وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته[4].

وعن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: من سأل الناس أموالهم تَكثُّراً فإنما يسأل جَمْراً، فليستقلَّ أو ليستكثر[5].

وعنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: لإن يحتطب أحدكم حُزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيَه أو يمنعه[6].

وعن عمر بن الخطاب؛ قال: كان رسول الله ﷺ: يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني، فقال رسول الله ﷺ: خذه، وما جاءك من هذا المال، وأنت غير مُشرِف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك[7].

---

(١) م: ٣٨ ـ الآداب/٣ ـ استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن/ح ١٨.

(٢) م: المرجع السابق من مسلم الحديث رقم ١٧.

(٣) خ وم: خ: ٢٤ ـ الزكاة/٥٢ ـ من سأل الناس تكثراً/ح ١، وم: ١٢ ـ الزكاة/٣٥ ـ كراهة المسألة للناس/ح ١٠٨.

(٤) م: ١٢ ـ الزكاة/٣٣ ـ النهي عن المسألة/ح ١٠٣.

(٥) م: ١٢ ـ الزكاة/ ٣٥ ـ كراهة المسألة للناس/١٠٩.

(٦) خ: ٤٣ ـ المساقاة/١٣ ـ بيع الحطب/ح ٢.

(٧) خ وم: خ: ٢٤ ـ الزكاة/٥١ ـ من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف نفس الخ/ح ٢. وم: ١٢ ـ الزكاة/٢٧ ـ إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف نفس/ح ١١٤.

متى تحل المسألة؟

في حديث يلخص الخدمة الاجتماعية أوفى تلخيص: عن قَبيصة بن مُخارق الهلالي؛ قال: تحملت حَمالة، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها. قال: ثم قال: يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمَّل حَمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قِواماً من عيش أو قال: سِداداً من عيش، ورجل أصابته فاقه حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحِجَى من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قِواماً من عيش أو قال: سِداداً من عيش. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً[١].

اللجاجة في السؤال وكثرة الافتراضات

وضرب القرآن الكريم لهذا مثلاً لجاجة بني إسرائيل في السؤال عن أوصاف البقرة التي أمرهم الله بذبحها[٢].

وعن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحُجوا، فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك مَنْ كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه .

وفي الأحاديث التي سيقت لتطييب نفس المغضب كان غضب رسول الله ﷺ لمّا أكثر الناس سؤاله حتى أحفوه في المسألة.

---

(١) م: ح ٣٦/١١٣ ـ باب من تحل له المسألة/١٤ ـ الزكاة.

(٢) البقرة من ٦٧ ـ ٧١.

الفهـرس

الباب الرابع القرآن الكريم

الباب الخامس الذكر والدعاء من حيث الإفراد والتعدد

الباب السادس الأذكار المقيدة بالعبادات

الباب السابع أذكار الأحوال الخاصة بالإنسان

الباب الثامن العلاقات والآداب الاجتماعية